المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية

قسم التربية الإسلامية والمقارنة




# دور التربية الإسلامية
# في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي

**إعداد الطالب**

**حامد بن أحمد بن إبراهيم الإقبالي**

**إشراف الأستاذ الدكتور**

**محمود بن محمد بن عبدالله كسناوي**

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية

العام الدراسي 1432هـ/1433هـ

## **ملخص الدراسة** :

**عنوان الدراسة** : دور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي.
**الباحث** :حامد أحمد إبراهيم الإقبالي ، **الدرجة** : الماجستير،**المشرف** : الأستاذ الدكتور محمود بن محمد كسناوي
**القسم :** التربية الإسلامية والمقارنة ، **الكلية** : التربية ، **الجامعة** : أم القرى .

## **أهداف الدراسة** :

التعرف على مفهوم التخلف الاجتماعي والوقوف على أهم أسباب التخلف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية. والتعرف على أهم مظاهر التخلف الاجتماعي التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية مع تحديد دور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي .

**منهج الدراسة** : المنهج الوصفي **الأداة** : الوثائقية ( المكتبية) .

## **فصول الدراسة** :

**الفصل الأول** :مدخل إلى الدراسة
**الفصل الثاني** :مفهوم التخلف الاجتماعي
**الفصل الثالث** :أسباب التخلف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية
**الفصل الرابع** :مظاهر التخلف في المجتمعات الإسلامية
**الفصل الخامس** :دور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي
**الفصل السادس** :النتائج و التوصيات

## **أهم النتائج**:

١ - التخلف الاجتماعي يعيق التقدم والتنمية ، ويسهم في تأخر المسلمين عن اللحاق بركب الحضارة .
٢ - إن التربية الإسلامية لو أُحسن تطبيقها بشكل جيد في مؤسسا ت التربية كالمدرسة والأسرة ووسائل الإعلام والمسجد لعالجت هذا التخلف وقدمت العديد من الحلول للتقدم الاجتماعي .
٣ - أن هناك العديد من الأسباب الداخلية والخارجية تقف في وجه التقدم والتنمية – كما كشفتها الدراسة- وأبرز هذه الأسباب غياب الروح الإسلامية وضعف الأنظمة التربوية وجمود الفكر العربي ، فيما يقف الاستعمار والتبعية على رأس الأسباب الخارجية .
٤ - للتقدم والحضارة عناصرها المادية والمعنوية والتنظيمية والتشريعية، وذلك مثل: الدين والقيم والمجتمع بنظمه ومؤسساته، وكذلك المنتجات المادية والتراث واللغة وغيرها من مقومات المجتمع والأمة.

## **أهم التوصيات** :

١ - إنشاء مراكز متخصصة ببحوث التقدم و الحضارة والتنمية في الجامعات وبيوت الخبرة ، وفي وزارات التربية والتعليم في العالم ا لإسلامي، مهمتها فحص النقاط الحرجة في تاريخ الأمة الإسلامية وال وقوف عندها ومعرفة مظاهرها و أسبابها .
٢ - تكليف فريق عمل متخصص من العلماء الباحثين والأكاديميين المتخصصين لعمل خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية في البلدان العربية والإسلامية وذلك لترتيب أولوياتها وإدراج احتياجاتها بشكل يضمن تحقيقها بفعالية ، وهذه خطوة تسبق إقرارها من قبل الوزراء المعنيين .
٣ - إنشاء وزارة للتنمية البشرية في كل دولة عربية وإسلامية ، تنطلق من حاجات هذه الشعوب ، وتدرس أسبلب تأخر المسلمين وتضع الحلول الناجعة لها ، وتضع الإنسان في مقدمة أولوياتها .

# ***Abstract:***

***Study Title:***The Role of Islamic Education in Facing Some Aspects of Social Backwardness
***Researcher:***Hamed Ahmad Ibrahim Al-Ekbaly **Degree**: Master
***Supervisor:***Dr. Mahmoud Ben Mohammed Kesnawy
***Department:***Islamic Education and Comparison **Faculty:** Education
***University*****:** Umm Al-Qura

***Study Objectives:***

- Identifying the concept of social backwardness
- Identifying the most important reasons of social backwardness in Muslim societies
- Identifying the most important aspects of Islamic education in facing some aspects of social backwardness
- Definingthe role of Islamic education in facing some aspects of social backwardness

***Study Methodology:***

Descriptive methodology ***Tool****:* Documentary (Library)

***Most Important Results:***

1. Social backwardness impedes progress and development, and contributes to the delay of Muslims in catching up with the process of civilization.
2. Islamic education, if properly applied in educational institutions such as the school, the family, the media, and the mosque, would handle such backwardness and offer several solutions to social progress.
3. There are many internal and external reasons that stand in the way of progress and development- as revealed by the study. The most prominent of those reasons are the absence of the Islamic spirit, weakness of educational systems, and rigidity of Arab thought, as well as, dependency and colonialism that stand at the head of the external reasons.
4. Progress and civilization have their physical, spiritual, regulatory and legislative elements, such as: religion, values, society with its systems and institutions, also physical products, heritage, language and others of the elements of society and the nation.

***Most Important Recommendations:***

1. Establishing specialized research centers of civilization and development in universities and consulting firms, also in the ministry of Education in the Islamic world, with the mission of examining the critical points in the history of the Islamic nation, identifying them, their aspects and their reasons.
2. Assigning a dedicated team of scientists, researchers and specialized academics to form plans for social and economic development in the Arab and Islamic countries in order to arrange for their priorities and ensure the inclusion of their needs in such a way that secures their achievement effectively, a step that precedes the approval of the ministers concerned.
3. Establishing a ministry for human development in Arab and Moslem countries, inspired by the needs of people, examines the reasons of Moslems' delay, and puts solutions as appropriate, placing Man at the forefront of its priorities.

**المقدمة** :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، فلقد كانت الأمة الإسلامية منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أمة حضارية مشرِّفة ؛ في دينها وفكرها وسلوكها ، مما انعكس على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فكانت مثالا للدولة المتقدمة فازدهرت الحركة الثقافية والتأليف والترجمة والصناعة، واختفت فيها العادات والتقاليد السيئة، لكن بعد سقوط الأندلس بدأت الأمة بالتفكك ، والانحدار ، والاختلاف حتى القرن الواحد والعشرين ، فتبادلت الأدوار مع الأمم الأخرى ، التي صعدت إلى العالم الأول فيما رضي العالم الإسلامي بالبقاء في مؤخرة الركب .

وتكاد تجمع أغلب المصادر الاجتماعية والسياسية والتاريخية على أن بعض المجتمعات العربية قد عانت من الضعف والتدهور في أنظمته السياسة وقيمه الاجتماعية وإرثه الحضاري منذ القرن العاشر الميلادي ( نجم الدين ، 1425هـ، ص 11 ) على اعتبار أنها بمجموعها تشكّل حلقات متصلة من التخلف الحضاري ، والتي أوصلته إلى حالة من التخبط والفوضى والتخلف الاجتماعي وإهدار الوقت . وهذه المظاهر التي شابت هذه المجتمعات أسفرت عن بطء في التقدم الاجتماعي.

لقد كانت النقطة الخاصة بانفصام دورة الحضارة الإسلامية بعد قرن من سقوط بغداد ، وقبل قرن من سقوط غرناطة وهي النقطة التي ابتدأ منها عصر ما بعد الموحدين ، أي عصر التخلف الحضاري في العالم الإسلامي " وما زال بعضاً من بلدان العالم العربي تعاني من التخلف الاجتماعي، مع أنها تؤمن بالتخطيط وأساليبه منهاجاً للتنمية الشاملة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والتربوي، وتؤمن بالتخطيط التربوي محوراً لهذه التنمية الشاملة " (الكاشف ، 2007م ، ص 1 ) لذلك فإن التخلف الاجتماعي الذي يؤخر نهوض الأمة الإسلامية، ساهم بدوره في نشوء التخلف الفكري والاقتصادي والثقافي والسياسي ، مما أضحى معه التفكير بمواجهته أمرا حتمياً ، وهذه المواجهة لا تتم إلا بالعودة إلى المعين الذي لا ينضب وهو التربية الإسلامية عبر مؤسساتها المختلفة .

فالتخلف الاجتماعي الذي يتسم بالعجز والفشل ، والقصور في تبني أنماط جديدة من الفكر والسلوك ، والذي يقود المجتمع إلى وضع أفضل ، من حيث استغلال الإمكانيات والموارد المادية،

والمعنوية والسياسية والإنتاجية ، والعلمية والتكنولوجية وعدم توفير الرفاهية للمواطن ، ويمكن إجماله بأنه وراثة الأمراض والعلل الاجتماعية ( نجم الدين ، 2005م ، ص 58) " لذا فإننا بحاجة إلى معجزة عقلية ، لأن التقدم يأتي أولا من خلال تلافيف العقل قبل أن يأتي من نقل التقنيات واستيراد أدوات التقدم "(الرميحي ، 1998 ، ص 18).

وعلاج التخلف الاجتماعي لا يتأتّى إلا بالإسلام والذي هو المنقذ الوحيد من الأخطار والتخلف والضعف؛ لأنه يعني وضوح الهوية الإنسانية والهدف الحياتي، كما يعني بعث القوى المبعثرة لتتماسك في كيان واحد يصد عن المسلمين القوى المتربصة بهم، لكن الطريق إلى الإسلام في المجتمعات الإسلامية محفوف أحيانا بالجهل ، وبقايا تفسيرات جزئية ، أو سطحية ، أو مهمشة لدور الإسلام في رقي الحياة، وكان من نتيجة ذلك تصادم القول مع الفعل في المجتمعات العربية والإسلامية، ومن هنا تبدو أهمية التربية الإسلامية التي تُحَوِّل القول إلى واقع فعلي ملموس يعيشه المسلمون في عزة وسيادة (الخولي، 1992م، ص1).

لذلك فإن قضية التنمية تعتبر التحدي الأساسي ، أمام الأمة العربية في سباقها مع الزمن، حيث مرت على هذه الأمة أجيال عديدة ، عانت فيها من التخلف الاجتماعي في صور مختلفة ، فلما استيقظت وجدت غيرها من الدول وقد سبقتها في مجالات التنمية ، وتضاعفت مسافة التخلف بينهما ( حموده ، 1981م، ص1) .

أن ثمة حاجة ماسة لمعالجة فجوة التخلف الحضاري التي يعيشها العالم العربي والإسلامي ولا يمكننا عبور هذه الفجوة إلا باكتشاف الإسلام في داخل القيم الإنسانية الحديثة في هذه الحضارة التي أعطت الإنسان انجازات عظيمة ، والواقع أنه عندما يحكم على أمة بالتخلف، لابد من مقياس يستند إليه في ذلك الحكم، ولكن الذي ينبغي أن ينعقد عليه اليقين، أن ذلك المقياس ليس هو إطلاقًا نموذج الغرب وحضارته المادية، وإنما هو النموذج الإسلامي المتكامل الذي تجسد على أرض الواقع ردحًا من الزمان وأشع بأنواره على البشرية كلها، فالتقدم الغربي قام على مبادئ مادية بحتة ، كما قام على نظرة إلحادية مرتبكة مشتقة من رؤيته للكون والإنسان والحياة وهي رؤية لا تحتل منها القيم الأخلاقية أي مقدار .

إن مظاهر ومقاييس التخلف الاجتماعي نسبيا وذاتياً تختلف من مجتمع لآخر ، فهي متعددة ومتنوعة ، فمنها ضيق الولاءات ، وتأصل الفردية والعشائرية، والنفاق الاجتماعي ، والاستمتاع

المادي الذي يعكس أثر الاستعراض، وعدم استثمار الوقت وتفشي الأمية وانخفاض مستوى الدخل الفردي وانتشار الفقر ، بالإضافة للتخلف التقني (عمر ، 1998م، ص 224–230)

والمتأمل لبعض أوضاع المجتمع العربي والإسلامي بشكل عام يلحظ وجود فجوة بين الأدبيات التي يؤمن بها الناس وبين الواقع ، فالتخلف الاجتماعي يُعرف بأنه : نمط معقّد من الوجود يعبر عن ركود المجتمع وتأخره والتناقض بين معتقداته وأفكاره وبين سلوكه الواقعي، وله مظاهره المتنوعة، وأسبابه المتعددة، فالوقت الذي جاءت الحكمة تدعمه ب( الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) لا تجد له حضوراً في المشهد الاجتماعي ، كما أن البعض من الناس لا يبرح يتمثل بالآية الكريمة " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ " ( المائدة ، الآية : 8) ولكنها لا تجد طريقا إلى الرضوخ حين يكون البديل التضحية بقيمة التعصب القبلي وإن كان الباحث هنا لا يجد غضاضة في نعتها بالقيمة لتؤصلها في إفهام الناس ، أما تفشي الأمية فهي داء عضال يتفق المجتمع على محاربتها للتخلص منها ويختلف التربويين على محوها ببرامج دورية ، لكن لم تصل جهودهم إلى القضاء عليها تماما ، ناهيك عن الأمية الثقافية والحضارية وغيرها من أنواع الجهل التي تتلبس المجتمع كل برهة .

ومن ثم تحاول هذه الدراسة أن ترسم أبعاد الدور المأمول الذي يمكن أن تسهم به التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي ، منطلقة من أن الإسلام المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية يتضمن علاج هذه القضية ، وذلك لو تم العودة إليهما ومن ثم الانطلاق من مشكاتهما القويمة.

**مشكلة الدراسة** :

التراجع الذي منيت به الأمة الإسلامية منذ قرون خاصة في النواحي الاجتماعية، فالعالم في القرن الحادي والعشرين تحكمه حضارة أحادية ، تمكنت من الارتقاء بحضارتها ومدنيتها بفضل تخطيطها ، والصناعات الحقيقية التي أسعدت البشرية وساهمت في التطور التقني الهائل هو في الحقيقة مقصور على أمم كانت توصم بالتخلف والرجعية من أمثال دول الغرب الحالية

وتعاني بعض المجتمعات الإسلامية من التخلف الاجتماعي ، وتتعدد مظاهر هذا التخلف كما تستطيع التربية الإسلامية بما لها من مميزات مواجهة مظاهر التخلف الاجتماعي بما تحويه من رؤى وأيدلوجيات ومنهجية .

ثم تسعى الدراسة أن تكشف عن أبعاد الدور المأمول الذي يمكن أن تسهم به التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي .

**أسئلة الدراسة** :

تحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

**ما دور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي ؟**

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

- ما مفهوم التخلف الاجتماعي ؟
- ما أسباب التخلف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية ؟
- ما مظاهر التخلف الاجتماعي والمرتبطة بالتعصب القبلي في المجتمعات الإسلامية؟
- ما مظاهر التخلف الاجتماعي والمرتبطة بإهدار الوقت في المجتمعات الإسلامية؟
- ما مظاهر التخلف الاجتماعي والمرتبطة بتفشي الأمية في المجتمعات الإسلامية؟
- ما الدور المقترح للتربية الإسلامية في مواجهة مظاهر التخلف الاجتماعي ؟

**أهداف الدراسة** :

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- التعرف على مفهوم التخلف الاجتماعي .
- الوقوف على أهم أسباب التخلف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية.
- التعرف على مظاهر التخلف الاجتماعي المرتبطة بالتعصب القبلي وإهدار الوقت وتفشي الأمية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية .
- تحديد دور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية .

**أهمية الدراسة** :

تكمن أهمية الدراسة من وجهة نظر الباحث في التالي :

- قلة الدراسات الإسلامية والبحوث العلمية والتربوية التي تتناول جوانب التخلف الاجتماعي وسبل مواجهتها .

- إبراز المنهج الإسلامي في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي.
- وضع تصور للدور الذي يمكن أن تقوم به التربية الإسلامية في القَضاء على أسباب التخلف الاجتماعي0
- يأمل الباحث أن تفيد نتائجها في لفت أنظار الجهات المعنية نحو بعض جوانب القصور في المجتمع، ومن ثم يتم توجيه الاهتمام لمواجهتها ، والعمل على تلافيها والتغلب عليها.
- يأمل الباحث أن تفيد هذه الدراسة في الاستفادة من توصياتها .

**حدود الدراسة**:

سوف تقتصر حدود هذه الدراسة على دراسة مظاهر التخلف الاجتماعي التالية :

التعصب القبلي ، وإهدار الوقت ، وتفشي الأمية .

**مصطلحات الدراسة** :

**الــدور:**

يعرف الدور بأنه: ما يقدم من أنشطة ومناهج(مطاوع، 1981م ، ص 37) وهو "مجموعة من الأفعال والواجبات التي يتوقعها المجتمع من هيئاته وأفراده، ممن يشغلون أوضاعا معينة، في مواقف معينة"(خطاب ،1995م ، ص129)

ويقصد الباحث هنا بالدور : السلوكيات والمعالجات والأهداف والمهام سواء كانت واقعية أو مأمولة التي يجب أن تقوم – أو قامت بها – التربية الإسلامية بكافة مؤسساتها في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي .

**التربية الإسلامية:**

وهي "الآراء والمبادئ والمفاهيم والممارسات التربوية، المستمدة من الأصول الإسلامية بالمناهج التربوية، مستهدفة تربية إنسان عابد عامل طائع، مؤتمر بأوامر الله، منتهٍ عن نواهيه"(الخولي ويوسف، 2003م ، ص 8) وقد عرَّفها (يالجن ، 1409هـ ) بأنها " إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام " (ص 20).

ويقصد بها الباحث هنا : التربية التي تنبثق من إيمان الفرد بربه عز وجل إيمانا مطلقا ، وتستمد تشريعاتها وتصوغ أهدافها من مصادر التشريع الإسلامي وتهدف لبناء الفرد بناء صالحا عبر مؤسساتها المختلفة.

**مواجهة :**

المواجهة لغة : جاء في مختار الصحاح ، في مادة ( و ج هـ) قوله " والمواجهة : المقابلة" (الرازي ، د. ت ، ص 711) ويقصد الباحث هنا : الدور الوقائي الذي تضطلع به التربية الإسلامية لعلاج التخلف الاجتماعي ، والمساهمة في التقدم والحضارة الإنسانية.

**التخلف الاجتماعي :**

التخلف بشكل عام هو: التأخر، من خلَّفت فلانا ورائي فتخلف عني، أي تأخر، ومجرده: خلفه يخلفه، أي صار خلفه، والخلف: البقية السوء، أو الرديء من القول، وعلى كل ذلك حُمِلَ قوله تعالى: " فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ۝٥٩ " ( مريم : 59) ، والخلف هو الظهر أو الوراء، كما في لسان العرب (ابن منظور، 1972م، ص260)

والتخلف في منظوره الاصطلاحي : التأخر الزمني والقيمي والسلوكي عن ركب الحضارة فالإنسان أو الجماعة حينما تكون القيم السائدة في حياتهما، تدعوهما إلى التكلس والجمود والرتابة، ويبرر لهما واقعهما المتأخر والسيئ فإن ذلك يعتبر تخلفاً ( محفوظ ، 2004م ) كما أنه عملية تأخر إنساني حضاري أخلاقي قيمي وسلوكي( دنيا ، 1982م ، ص 15 ) وهو نقيض التنمية ، غير انه لا يوجد بين المفكرين اتفاق على ماهية التخلف ومن ثم ماهية الدول المتخلفة ففي فترة معينة من التاريخ .

ويعدد بعض الباحثين خمسة محكّات للمجتمع المتخلف اجتماعيا وهي :انتقال السلوك من جيل إلى جيل بشكل شبه جامد وتحكم العادة ، والتقليد في السلوك لا القانون، ونظام اجتماعي تحكمه مرتبية جامدة وتحديد المكانة الاجتماعية للفرد ولادياً أكثر مما تتحدد بالكفاءة ، وإنتاجية منخفضة جداً ، وأهم من ذالك كله وأخطر هنالك مقاومة للتغيير تنبع من النظرة الرضوخية السلبية للعالم الطبيعي ، والقوى الماورائية مع بنى اجتماعية ذات رؤى تسلطية (حجازي ، 2005م، 30).

وهذه المحكّات هي التي انطلق منها الباحث في تعريفه للتخلف الاجتماعي والذي يعتبر: الارتكاس والنكوص الذي يصيب المجتمع نتيجة أفكار وسلوكيات سلبية معينة ، تسهم في تأخير التنمية والتقدم الحضاري ، وتفرق الدراسة هنا بين مظاهر التخلف الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية ، حيث أن الأولى تعبر عن ظاهرة تصيب المجتمع دون أن يشعر بخطرها ويختلف المجتمع في تحديد درجتها ومؤشراتها ، فيما المشكلة يشعر بها المجتمع ويعترف بها ، وإن تغافلوا عن علاجها .

**منهج الدراسة** :

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي ؛ للوقوف على ماهية ظاهرة التخلف الاجتماعي، والأسباب المؤدية إليها، والتعرف على مظاهرها ومجالاتها المتنوعة، والكشف عن دور التربية الإسلامية في مواجهتها وعلاجها، والتعرف على بعض أدوار المؤسسات التربوية في المجتمع في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي، من خلال تفعيل وتطبيق تلك المؤسسات لمبادئ ومناهج التربية الإسلامية ، فالمنهج الوصفي يُمَكِّنُ من دراسة الواقع وجوانبه، ويسهل تفسيره، كما يحدد ويهتم بالممارسات الشائعة، والمعتقدات، والاتجاهات، وطرائق النمو والتطور عند الأفراد والجماعات(عبد العال ، 2000م، ص 164).

ولكون المعلومات تؤخذ عن طريق الوثائق المختلفة والمتنوعة فإنه يستحسن استخدام أحد فروع المنهج الوصفي وهو المنهج الوثائقي أو (المكتبي) ، حيث أن الدراسة لم تكتفِ بوصف الظاهرة فقط بل تحاول دراسة أبعاد التخلف الاجتماعي وآثاره وانعكاساته وتحليل المعلومات والوثائق فإن ذلك يستدعي استخدام هذا المنهج وهو " الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق ذات العلاقة بمفهوم ومشكلة البحث ، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث " (العساف ، 1416هـ، ص 206)

ومن هنا فإن الباحث سيقوم بدراسة بعض الوثائق والكتابات المتعلقة بظاهرة التخلف الاجتماعي ؛ دراسة بحثية ، تحليلية ، متعمقة لمرتكزاتها ، وتجلياتها ومظاهرها ، وأسبابها ومحاولة الوقوف على آثارها ثم تحديد موقف التربية الإسلامية حيال هذه الظاهرة.

**الدراسات السابقة** :

لا توجد في حدود علم الباحث دراسة مباشرة تناولت موضوع الدراسة قيد البحث، وإنما هناك دراسات معينة، أفاد بعضها الباحث كمنطلقات للدراسة، كما أفاد بعضها الآخر في الإطار النظري للدراسة حيث تقترب وتبتعد بحسب عناصرها، ومن ذلك:

**دراسة : معوض ، جلال عبد الله ( 1982م) بعنوان : ظاهرة التخلف، حول التعريف بعلاقة المتغير الاقتصادي بالتطور السياسي** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

وقد استهدفت تحليل العلاقة بين المتغير الاقتصادي والتطور السياسي في الدول المتخلفة بوجه عام، وقد استخدم الباحث في الدراسة منهجا يضم ثلاثة مسالك: المسلك البنائي الاستاتيكي، والمسلك الديناميكي الحركي، والمسلك الوظيفي.

وكان من أهم نتائج الدراسة: أن ظاهرة التخلف حظيت بالكثير من الدراسات الغربية، وقد تعددت اتجاهات تناولهم لها، ورغم ذلك فلا زالت هناك محدودية في الدراسات العلمية التي تتناول ظاهرة التخلف في العالم العربي ، كما توصلت الدراسة إلى أن النظرية الماركسية في ثوبها التقليدي . تقيم علاقة تبعية بين العامل الاقتصادي والعامل السياسي، كما كان من نتائج الدراسة أن ظاهرة التخلف كظاهرة كمية ، قابلة للتحليل العلمي، وهي في هذا الإطار ظاهرة اقتصادية في المقام الأول، غير أن لها أبعادا وملامح سياسية واجتماعية، كما أن الدول المتخلفة تشهد اختلالا واضحا في العمل القيادي، ومن ثم تعجز مؤسسات المجتمع عن أداء دورها كما ينبغي، ومن ثم فإن من متطلبات الخروج من التخلف ضرورة الاهتمام بإعداد القيادات وحسن اختيارها؛ وذلك لأن القيادات الواعية هي التي تقدر على توحيد كافة طاقات الجسد الاجتماعي، ثم دفعه في مسارات محددة، ونحو غاية واحدة، وهي التطوير الدائم، كما أن القيادات الواعية هي التي تملك الثقة والفاعلية في التعامل مع القوى الداخلية والخارجية التي قد تعرقل حركة إصلاح المجتمع.

**دراسة القريشي ، علي حسن ( 1983م) بعنوان : الأسس التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي** ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس .

وهذه الدراسة استهدفت إبراز محاور التغيير والثقافة والبناء الاجتماعي، والتي تشكل موضوعات أساسية في الفكر الإنساني والعربي عموما، من وجهة نظر مالك بن نبي، كواحد من أبرز المعنيين بقضايا التخلف والتقدم في المجتمعات العربية والإسلامية، كما استهدفت الدراسة ضرورة أن يكون التنظير السوسيولوجي في المجتمعات العربية قائما على خصوصيات وضروريات وحاجات المجتمع، وما يثار فيه من أنماط المشكلات، واستيعاب المنطلقات والمعالجات الاجتماعية التي تكرس هذا الاتجاه على نحو نقدي، كما استهدفت الدراسة عرض أفكار مالك بن نبي وتصوراته التربوية التي يطرحها كأسس لبناء الشخصية والثقافة والتغيير، وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي، والمنهج النقدي، وأسلوب تحليل المحتوى.

وكان من أهم نتائج الدراسة: أن انتهاء العالم الإسلامي إلى حالته التخلفية الراهنة، وفقدانه لفاعليته الحضارية قد دفع البعض من أبنائه إلى البحث عن خروج من هذا المأزق، فكان اتجاه بعضهم نحو أيديولوجية مثل: الليبرالية والماركسية وغيرهما، وكان اتجاه بعضهم الآخر نحو تبني اتجاهات زائفة كالتحديث والتمدن ونحوهما، وكانت النتيجة أن جميع تلك الحلول لم توفر حلا موضوعيا ملائما، وعليه فإن المنطلق الوحيد والصحيح للإصلاح والتغيير هو الانطلاق من حيث يريد الله.

**دراسة : أحمد ، ناصر علي( 1407هـ) بعنوان : التحديات المعاصرة التي تجابه المجتمع الإسلامي كما يراها مفكرو الإسلام ودور التربية الإسلامية في مواجهتها** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة طنطا .

كشفت الدراسة عن التحديات التي تواجه العالم الإسلامي وخطورة تلك التحديات وتأثيرها في التربية من وجهة نظر المفكرين الإسلاميين، وهدفت إلى التعرف على ملامح التربية الإسلامية القادرة على مواجهة تلك التحديات، وقد استخدم الباحث في الدراسة المنهج الوصفي، كما استخدم أسلوب دلفاي لتحديد التحديات من وجهة نظر بعض الخبراء أفراد العينة، والذين تراوح عددهم بين ( 10 – 20) خبيرا، واشترط في الخبير حصوله على درجة الدكتوراه أو ما يعادلها.

وقد كان من أهم نتائج الدراسة: كشفها عن وجود تحديات تواجه العالم الإسلامي في مجالات متعددة، كالمجال العقائدي، والمجال الفكري، ومجال التشريع، ومجال الاقتصاد، ومجال الاجتماع،

ومجال السياسة، ومجال التربية، ومجال التقنية، وانتهت الدراسة بوضع تصور مقترح لدور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات ، من خلال إعطاء الدين دوره الحقيقي ، وربط طرق التدريس بالمنهج الإسلامي، وإزالة سوء الفهم والتعمية لمفهوم الإسلام، وتنقية مناهج التعليم، والسعي نحو إصلاح المجتمع وتنقيته من الفساد بوجه عام .

**دراسة : عبد النبي ، كمال عجمي ( 1426هـ) بعنوان : دور المؤسسات التربوية في مواجهة بعض مظاهر التخلف من منظور التربية الإسلامية** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية، جامعة الأزهر .

استهدفت الدراسة الوقوف على أهم أسباب وعوامل التخلف في المجتمعات العربية والإسلامية والتعرف على أهم مظاهر التخلف التي تعاني منها المجتمعات العربية والإسلامية في المجالات المختلفة: السياسية، والاقتصادية الاجتماعية، والثقافية العلمية والكشف عن أبعاد دور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف التي تعاني منها المجتمعات العربية والإسلامية في المجالات المختلفة .

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وخلصت إلى عدد من النتائج تمثلت في : أن التخلف ليس ظاهرة بسيطة يمكن الوقوف على مفهومها أو مضمونها بسهولة، بل هو عملية معقدة، مركبة، متعددة الأبعاد والجوانب و أثبتت نتائج الدراسة أيضا أن أبرز أسباب التخلف هي: الفوضى (سوء التخطيط) بمؤسسات المجتمع بصفة عامة، والتربوية منها بصفة خاصة و يعتبر الاستبداد والتبعية من أبرز مظاهر التخلف في المجال السياسي.

ويكمن الفرق بين هذه الدراسة ودراسة الباحث في أن الأخيرة تناولت جانب واحد من التخلف وهو التخلف الاجتماعي وتعمقت فيه كثيرا ، كما تناولت عددا من مظاهر التخلف الاجتماعي كالتعصب القبلي وإهدار الوقت ، وتفشي الأمية بأنواعها ، وهو الأمر الذي لم تتطرق له الدراسة السابقة

**دراسة : المغربي ، أيمن بن نبيه ( 1427هـ) بعنوان : السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعاً ودراسة** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى .

وقد هدفت الرسالة إلى ترسيخ مفهوم قوله تعالى " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ " ( الرعد : آية 11) وذلك في أذهان الناس ، فالتغيير يبدأ من النفس ، فإذا وجدت الأسباب فالنتائج تتبعها ، وأن حدوث التغيير من الله عز وجل مترتب على حدوثه من البشر سلباً وإيجاباً.

استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي ، وتوصلت إلى عدد من النتائج ، أبرزها : أن التغيير لا يتحقق إلا بتغيير الأفراد ، ولو بجزء قليل منهم . وأن تتصف هذه الفئة القليلة منهم بالإيمان العميق بالله والإعداد الجيد للتغيير ، والتنظيم المحكم ، والتخطيط الدقيق . وأن يعمل العلماء والدعاة في الأمة على نشر هذه السنن بين الناس ونشرها بينهم وتربيتهم عليها .

**التعليق على الدراسات السابقة :**

استعرض الباحث فيما سبق عددا من الدراسات المساعدة للباحث في دراسته، وقد استهدفت بعض تلك الدراسات التأكيد على دور التربية الإسلامية في إصلاح المجتمع بوجه عام، مع التركيز على بعض المتغيرات، وذلك انطلاقا من صلاحية الإسلام ذاته، في كل زمان ومكان، وفي كافة مجالات ومناحي الحياة، كما أن البعض الآخر من الدراسات التي عرضها الباحث ركز على تناول التخلف كظاهرة أكاديمية في بُعْدِها الاقتصادي أو السياسي وبعضها الآخر تناول بُعدها الثقافي والفكري ، أي أنه لم يتم تناول ظاهرة التخلف في إطارها الاجتماعي التربوي، ورغم ذلك فقد استفاد منها الباحث كثيرا في تحديد بعض مظاهر التخلف ومسبباته كمقدمة أساسية لتناول ظاهرة التخلف وسُبُلِ مواجهتها من منظور التربية الإسلامية، ثم تحديد دور المؤسسات التربوية في مواجهة بعض مظاهرها، ومن أمثلة تلك الدراسات: دراسة " كمال عبد النبي عجمي" .

ومن هذا المنطلق ، فإن الدراسة الحالية تختلف عن الدراسات السابقة من ناحية أنها تركز في المقام الأول، في إطارها النظري من خلال الأدبيات ذات الصلة الوثيقة بالدراسة على رصد مظاهر معينة للتخلف في المجال الاجتماعي تشتمل على التعصب القبلي وإهدار الوقت وتفشي الأمية، ثم تحليل تلك المظاهر جميعا، ثم ذكر أسباب هذا التخلف ، ثم العرض بتفصيلٍ لدور التربية الإسلامية في مواجهتها.

# الفصل الثاني

## مفهوم التخلف الاجتماعي

**تمهيد**

**المبحث الأول : تعريف التخلف الاجتماعي لغةً و اصطلاحاً .**

**المبحث الثاني: التخلف الاجتماعي من المنظور الإسلامي**

أولاً : مواجهة القرآن الكريم للتخلف الاجتماعي

ثانياً : علاج التخلف الاجتماعي في القرآن الكريم

**المبحث الثالث : التخلف الاجتماعي (الملامح ، المؤشرات)**

أولاً : ملامح التخلف الاجتماعي

ثانياً: مؤشرات التخلف الاجتماعي

**المبحث الرابع : آثار التخلف الاجتماعي**

أولاً : دوران الأفكار في فلك الأشخاص وتقديس الأشخاص

ثانياً : الغياب الاجتماعي

ثالثاً : فقدان القيم الأخلاقية

رابعاً : انعدام المناخ الثقافي .

خامساً : التنافر بين السلوك والأفكار

**المبحث الخامس : العلاقة بين التخلف الاجتماعي وأنماط التخلف الأخرى**

أولا: العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتخلف الاقتصادي

ثانياً: العلاقة بين التخلف الاجتماعية والتبعية

ثالثاً: العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتخلف السياسي

رابعاً: العلاقة بين التخلف الاجتماعي والسنن الاجتماعية الكونية

## المبحث الأول : تعريف التخلف الاجتماعي لغة واصطلاحاً

### أولاً: التخلف الاجتماعي لغةً .

تتقارب تعريفات باحثي المعاجم اللغوية حول مفهوم التخلف في بُعْدين: هما البُعْد اللغوي، والبُعْد الاصطلاحي، فأما من ناحية البُعْد اللغوي فإن التخلف هو: التأخر، من خلَّفت فلانا ورائي فتخلف عني، أي تأخر، ومجرده: خلفه يخلفه، أي صار خلفه، والخلف: البقية السوء، أو الرديء من القول، أو القرن يأتي بعد القرن، أو الولد الطالح، والخلف هو الظهر أو الوراء(مدكور ، 1972 م، ص 882 -883 ) ومن هنا يستخلص الباحث من هذه التعاريف أن التخلف في مفهومه اللغوي أنه نقيض التقدم وهو بمعنى التراجع والتأخر والبطء والتثاقل .

### ثانياً : مفهوم التخلف الاجتماعي اصطلاحاً .

وفيما يتصل بالتخلف اصطلاحا، فقد تعددت مفاهيم التخلف أيضا وتباينت ، ويعود ذلك إلى تباين الزوايا التي نظر منها الباحثون إلى التخلف، أو ربما يعزى ذلك إلى اختلاف الاهتمامات الثقافية والعلمية للذين تناولوا التخلف بالدراسة، فمن الباحثين مَنْ تناول التخلف من منظور سياسي، ومنهم مَنْ تناوله من زاوية اقتصادية أو اجتماعية، وآخرون تناولوه من ناحية علمية أو تكنولوجية، أو غير ذلك من اهتمامات انعكست على تناول الباحثين للتخلف، ومن ثم وجِدت مفاهيم متعددة ومتنوعة للتخلف في بعده الاصطلاحي .

يعَرَّفَ التخلف في إطاره العام الشامل بأنه : ظاهرة تصيب النمو في بعض المجتمعات، وتعني بطء الحركة في تحقيق النمو الذاتي لها، وليس في اللحاق بغيرها، ولكنها نتجت أصلا من تأثيرات تفاعلية خارجية، وليست متأصلة في كيان المجتمع بيولوجيا أو وراثيا، وتتجسد تلك الظاهرة بأوضح ما يكون في سوء استخدام واستغلال الطاقات المادية والمعنوية الموجودة في المجتمع، وكذلك ضعف البناء الاجتماعي والإطار الثقافي للمجتمع، وضعف كفاية النظام السياسي، وبالتالي حدوث خلل في استقرار المجتمع، وقد أُطْلِقَ على المجتمعات التي يحدث فيها ذلك الدول المتأخرة ، أي الدول التي لم تبلغ مستوى مرتفعا من الرقي ، والتقدم الفني، والاقتصادي، والاجتماعي، والتكنولوجي، ويرتبط بذلك شيوع الفقر، والجهل، والمرض بنسبة كبيرة (شامة، 1997م، ص12 ).

ومن يمعن النظر جيدا في مظاهر التخلف الاجتماعي فإنه من الصعب نسبة التخلف إلى عوامل خارجية فقط ليس للمجتمع يدٌ فيها وينفي أن يكون التخلف أحدثته النفس البشرية ، لكن الواقع

هو أن التخلف يأتي بأسباب خارجية وأخرى داخلية وليس مقصورا فقط على عوامل خارجة عن صنع الإنسان المتخلف ، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث الذي يتناول أسباب التخلف الاجتماعي.

ويقارن ( الجابري، 1994م) بين التنمية و التخلف بقوله " و هكذا إذا كانت التنمية هي العلم حين يصبح ثقافة فإن التخلف سيكون هو " العلم حين ينفصل عن الثقافة " ، أو هو " الثقافة حين لا يؤسسها العلم ( ص 191 ) .

وقد أشار بعض الباحثين في تعرّضه لمعنى التخلف الاجتماعي إلى أنه : نمط من الوجود تنحط فيه الأوضاع النفسية والذهنية والسلوكية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية عن المستوى المقبول ، في معايير المنهج الرباني ، وعن الوفاء بمتطلبات العيش الكريم الملائم للإنسان المسلم ، ويُستشف من هذا أن التخلف ذو بعدين رئيسيين وهما:

**الأول** : تخلف عن المنهج الرباني .

**الثاني** : تخلف في المستوى المعيشي والمهني والاجتماعي الذي يمكن الإنسان المسلم من تلبية حاجاته الأساسية ، ويوفر له المناخ الذي يساعده على القيام بواجباته ( بكار ، 1426هـ، ص 111-112)

فالتخلف الاجتماعي إذن هو الفشل في تبني أنماط جديدة من الفكر والسلوك العقلاني، والذي من المفروض أن يقود المجتمع إلى وضع أفضل، ومن ثم يؤدي ذلك الفشل إلى الجمود، وبالتالي يصير هذا المجتمع ذيلا للأمم عند نقاط معينة من التصورات اللاعقلانية واللا فكرية التي لا تفيده، بل تضره، طبقا للتحركات والتغيرات التي تحدث في الأماكن الأخرى من العالم ( الجوهري وآخرون، 1999م، ص18)

والباحث هنا يستخلص أن التخلف الاجتماعي : مجموعة من الأفكار والسلوكيات المعيقة للتقدم والتنمية تصيب بعض أفراد المجتمع .

## المبحث الثاني : التخلف الاجتماعي من المنظور الإسلامي .

أولاً : مواجهة القرآن الكريم للتخلف الاجتماعي

إن النظر السليم في السنن الاجتماعية القدرية يدفع الإنسان إلى العمل بالسنن الاجتماعية الشرعية التي سطرها القرآن الكريم، والتي هي مجمل القوانين والأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن

لتستهدي بها البشرية في سيرها وخطاها . ولأهمية هذه السنن في حياة الإنسان يشد القرآن فيه أنظار المخاطبين وعقولهم إلى النظر والاعتبار والتبصر في ملكوت السماوات و الأرض، والاعتبار بأحوال المجتمعات الغابرة والكشف عن أسرار هذا الكون العجيب وقوانينه التي يسير وفقها، وطرق هذه القوانين في الأنفس والآفاق، وذلك في مثل قوله تعالى "قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ " ( آل عمران ، الآية : 137).

ولم ترد كلمة التخلف بلفظها في القرآن الكريم ، وإنما وردت مشتقات لها، تكاد تقترب أو تتطابق معها في الدلالة اللغوية دون التخلف بمعناه الاصطلاحي، ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ "(البقرة: 255) أي: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم (النسفي: د . ت، ص 128 )، وقوله تعالى: " وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ "(الأنعام: 165)، فكلمة خلائف: جمع خليفة، ومعناها: أي يخلف بعضكم بعضا في الأرض(السيوطي، 1987م، ص177 ).

أما عن التخلف الاجتماعي كمضمون في القرآن الكريم، فورد وفق رؤية بعض الباحثين : أنه إصابة المجتمع الإنساني بالضعف أو الوهن أو الانحلال، على أن أول نسيج يصيبه الوهن والخلل في المجتمع هو النسيج العقائدي والفكري، ثم تليه بقية علاقات المجتمع السلوكية والأخلاقية، ثم يتبع ذلك فساد الأجهزة ، والمؤسسات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغير ذلك من مؤسسات المجتمع، مع الوضع في الاعتبار أن المجتمع قد يصيبه الوهن الحضاري وهو في أوج تقدمه وتحضره المادي؛ وذلك لأن مضمون التخلف في القرآن الكريم يختلف عن مضمون أغلب التصورات والفلسفات المعاصرة التي تناولت التخلف، فبينما مقياس التخلف من منظور تلك التصورات والفلسفات هو ضعف الجانب الاقتصادي والتكنولوجي في المقام الأول، بمعنى أن التخلف لدى تلك التصورات والفلسفات يقتصر على الجانب المادي، فإن مضمون التخلف في القرآن الكريم لا يقتصر على الجانب المادي وحده" وإنما يُعْنَى بالفساد والخلل في جانبيه: المادي والمعنوي، بل قد ينصب التركيز بصورة أكبر على الجانب المعنوي، ورغم ذلك فإنه لا يغفل الجانب المادي، فأي مجتمعٍ أصابه الخلل والوهن في جانبيه: المادي والمعنوي أَفَلَت حضارته وتراجعت، أو بالمعنى المعاصر تخلفت " (بوسلهام ، 1988م، ص230).

وقد تناول ابن خلدون في مقدمته تلك الحقيقة، حينما استعرض عُمْرَ الدولة وأجيالها، فقد ذكر أن الدولة تمر في الغالب بثلاثة أجيال:

الجيل الأول: الذين لم يبرحوا مرحلة الخشونة والبداوة ، من شظف العيش وصعوبة تحصيله، فلا تزال بذلك صورة العصبية محفوظة فيهم . أما الجيل الثاني فتَحَوَّل حالهم بالملك من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب. وأما الجيل الثالث: فينسون عهد البداوة والخشونة ، ويبلغ الترف فيهم غايته ؛ فيصبحون عالة على الآخرين( ابن خلدون ، د. ت، ص153).

فهي في البداية تعيش طور البداوة والحياة البسيطة، ثم تنتقل إلى مرحلة أعلى من الحضارة، ثم تعيش قمة الحضارة والنعيم والترف، ثم يحصل الهرم والتخلف، بعد أن يكون الترف المبالغ فيه قد بلغ مبلغه، وأدى إلى انتشار الفساد في المجتمع، مما يؤذن بقرب نهاية الحضارة والسيادة، ولعل ذلك ما يُفهم من قوله تعالى " وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ " (الإسراء: 16) واختلف المفسرون في معناها ، فقيل : معناها أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدريا ، فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا : معناه : أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب .وقيل : معناه : أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة ( ابن كثير ، 1420هـ، ص62) " وتعتبر نظرية ابن خلدون عن الدورة الحضارية ، من ذلك النوع من النظريات الذي يرى أن المجتمع والدولة ، يمران بمراحل معينة تبدأ بالميلاد ، وتسير إلى النضج ثم تتجه إلى الشيخوخة ، وتتسم كل مرحلة بصفات معينة تطبعها بطابع خاص يفرقها عن سواها من المراحل " ( السعد ، 1997م، ص79)

إن الناظر لحقيقة التقدم الاجتماعي ليلحظ أنه يجب أن يضع الإنسان محوره الأساسي ، ويوازن بين المادة والروح في كينونة هذا الإنسان " والحقيقة أن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دول العالم المتقدم في أوربا وأمريكا واليابان قد نجحت في حل مشكلات الإنتاج الذي يخضع لقدرات بشرية ، ولكنها لم تستطع حتى اليوم أن تحل مشكلة الإنسان ، وهو هدف التنمية بسبب عزوف الإنسان عن التشريعات الإلهية السامية المتعلقة به والتي ترشده نحو تحقيق سعادته ورضاه في الدنيا والآخرة " ( السيف ، 1424هـ، ص 51).

والساعون إلى نيل أوطار التقدّم ، يدركون أن ذلك يتطلب حلولاً لا على مستوى الدول فحسب؛ بل أن يكون قبل ذلك على مستوى الفرد ومن ثم المجتمع ؛ فنجاح أي بناء مادي أو

اجتماعي يعتمد أولاً على مدى قوة أصغر وحدة؛ فإن كانت قوية كان البناء في المرحلة الثانية قوياً، أما إذا كان الاهتمام بالشكل النهائي للبناء فقط وعدم الاكتراث بوحداته الصغيرة؛ فالإنسان هو الفاعل الذي تبدأ منه عملية التغيير الاجتماعي وأن دور هذا الإنسان في المجتمع لا يتوقف على حفظ النوع بل هو خليفة الله في أرضه ، وهذه الوظيفة الاستخلافية توجب إجراء عملية تغيير نفسي واجتماعي يخضع لها الإنسان من خلال الثقافة المستمدة أنساقها من العقيدة الدينية . وثبات الدورة الحضارية لا يمكن تفسيره إلا بالعسير من التركيبات والحجج الفلسفية ، ويمكن ترتيب مراحل الدورة الحضارية في نشوء الحضارة ، ثم تقدمها وارتقائها ، ثم اجترارها ، ثم هبوطها وانحطاطها ، ومن ثم جمودها وانكماشها لتبدأ دورة حضارية جديدة على أطلال الدورة الحضارية السابقة في أغلب الأحوال ( سفر ، 1404هـ، ص14)

لقد وضع الإسلام حلولاً لمشاكل البشرية لأن هذا الدين قد ختم الرسالات وجاء بمجاميع الخير فيها والاتجاه الإسلامي المنبثق من القرآن الكريم والسنة النبوي في فلسفة التغيير الاجتماعي يظهر في فكر مالك بن نبي حيث يرى أن الدين هو مركب الحضارة ، وبواسطته يمكن إعادة التركيب ، إذ أن الانطلاق من القاعدة الدينية ، ينعكس على باقي مناشط الحياة ، وسلوكيات الأفراد وخاصة الأثر الكوني للدين ، وأنه الأساس في جميع التغييرات الإنسانية الكبرى ، وأن نجاح أي أمة هو الأخذ بتلك السنن لمواجهة واقعها المستقبلي ( السيف ، 1424هـ ، ص 51)

وما ينبغي أن يُلاحَظَ من العرض السابق لمضمون التخلف الاجتماعي أنه ليس ظاهرة بسيطة ، بل هو عملية مركبة، متعددة الأبعاد والجوانب، وتتفاعل في إيجادها جميع جوانب حياة المجتمع؛ فلا يوجد تخلف في الحياة الاجتماعية لمجتمع ما، بمعزل عن تخلف بقية الجوانب الأخرى لذلك المجتمع، بل يستتبعه أو يتزامن معه أو يسبقه تخلف في النواحي الاقتصادية ، أو السياسية، أو الثقافية والعلمية؛ لأن تلك الجوانب تمثل منظومة مترابطة، إذا حدث خلل في أحد جوانبها تبعته بقية الجوانب، ومن ثم فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل قصر التخلف على الجانب الاقتصادي وحده، أو قصره على الجانب السياسي وحده، أو قصره على الجانب الثقافي وحده، وهكذا، بل لا بد عند تحليل ظاهرة التخلف من النظر إلى تلك الجوانب جميعا، ووضعها في الاعتبار ككلٍ أو جسد متكامل، وذلك إذا أريد لعملية التحليل أن تتم بصورة تعطي نتائج سليمة، وغير مُضَلِلَة، وتعبر عن الواقع الذي انبثقت منه وجسدته ، فالتحدي الحضاري الذي يواجه المسلمين في مرحلة الإقلاع يكمن أساساً في الثبات على القيم والمبادئ والتمسك بالشخصية المسلمة .

**ثانياً : علاج التخلف الاجتماعي في القرآن الكريم .**

يورد القرآن الكريم في سورة الكهف قصة ذي القرنين والتي جاءت توضح العلاقة بين الضعف والتخلف ، وبرغم أن القوم الذين وقف عليهم ، يتمتعون بتنمية اقتصادية وقوة بشرية إلا أنهم لم يستطيعوا الانفكاك من ربقة التخلف الاجتماعي؛ لأنهم لم يستثمروا هذه العناصر استثماراً صحيحا، وحين تكون عناصر التنمية من العقيدة ، والقوة والإيمان ، والإرادة في شخص القائد فإنها تسهم في علاج إشكالية التخلف الاجتماعي.

وتحيط السورة بأناس يعيشون في مكان تنعدم فيه مظاهر التنمية والتقدم ، فالقوم متصفون بصفات الضعف والوهن، والتخلف والجهل، وهذه هي صفات المتخلف اجتماعياً ، حيث أنهم لم يستطيعوا مواجهة قوم يأجوج ومأجوج الذين تسلّطوا عليهم وأفسدوا أرضهم، أمّا القائد ذو القرنين فقد كان يملك صفات صانع التنمية ، فمكَّن الله تعالى له في الأرض، من السلطان والقوة والمنعة والفكر الإداري ، وتوجيه الطاقة وضبط الغاية ، وتحديد الأهداف .

ومع أنهم كانوا يملكون المال واليد العاملة، لذلك أمرهم ذو القرنين بالعون والمساعدة فقط ، قال تعالى "قَالُواْ يَـٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا" ( الكهف ، الآية : 94-95) غير أنَّهم يفتقرون إلى أهمِّ أسباب التنمية على الإطلاق؛ وهو تمكين الله تعالى ، إضافة إلى العلم والتكنولوجيا ، والتخطيط ، ووضوح الغاية والأهداف، وقد تجلّي المنهجَ القرآني في بناء تنمية شاملة، أساسها الإنسان الكفء والفعال، حتى وإن كان غير مالك للمادة والوسائل( بابا عمى ، 2006م ، ص 34 ).

فالإنسان الفاعل هو محور التنمية في هذه الآيات ، فضلا عن ذلك، فإنّ مما يزيد التعليم أولوية من حيث التقديم والاعتناء به قبل غيره أنه يعدّ التنمية الأم لبقية المجالات التنموية، إذ إنّ تعليم الإنسان المسلم وتربيته، بحيث يصبح بذلك مهيئا للقيام بالعملية التنموية في أيّ مجال، بمعنى أنّ الفرد المتعلم أينما توجهه فلا يأتي إلا بخير؛ فإذا توجه إلى مجال الاقتصادي ساهم في تنميته وتطويره، وكذلك إذا توجه إلى المجالات الاجتماعية أو المجالات العلمية والتقنية أو غيرها. و إرادة المجتمع وقدرته تضيفان على وظيفة الحضارة موضوعية وفعَّالية ، أي أن جملة العوامل المعنوية

والمادية اللازمة لتحقيق تقدم الفرد تصبح موضوعية ؛ وذلك بأن تتحول إلى سياسة وتشريع ، فيمثلان عالم الأفكار في هذا المجتمع على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي تمثيلاً مباشراً ( مالك بن نبي ، 1988م ، ص 151) .

وبعض الدول الإسلامية تفتقر إلى جميع القيم الحضارية التي تعلي من شأن الإنسان، وهذه الأمم تناقض دينها وتسير في غير هدى؛ فلا هي تمتلك التكنولوجيا والعلم، ولا هي تتحكم في الأبعاد الإيمانية والأخلاقية؛ وسوف لن يغنيها نقل مناهج الغرب في التنمية حرفيا، لكن عليها أن تفرِّق بين الروح والشكل ( بابا عمى ، 2006م ، ص 34 ) ، فالمجتمع المسلم وإن كان قد حاد بعض أفراده عن جادة الصواب إلا أن القول بأنه قد فقد القيم الإنسانية الحضارية بكافة أنواعها انحراف عن القول السليم لا يستند الى دليل حي .

## المبحث الثالث : التخلف الاجتماعي ( الملامح، المؤشرات) .

أولاً : ملامح التخلف الاجتماعي.

غلب على مضمون التخلف الطابع الاقتصادي، في معظم البحوث ، وعلى الرغم من أهمية العامل الاقتصادي عند تفسير التخلف إلا أن التعويل عليه وحده ، أمر يحمل في طياته كثيرا من المبالغة، كما يطغى على عوامل أخرى لا يستطيع أحد إنكار أهميتها، كالعامل السياسي ، أو الثقافي، أو العلمي أو غير ذلك من عوامل ستتضح فيما بعد، ومما ينبغي التأكيد عليه هنا أن التخلف في مجتمع ما ليس عملية وراثية أو بيولوجية؛ فالمجتمع المتخلف لن يظل متخلفا على اعتبار أن ذلك وراثة، والمجتمع المتقدم لن يبقى متقدما لذات الاعتبار ، بل يتنافى ذلك كلية مع حقائق التاريخ، فالمجتمع الإسلامي عاش فترة من الازدهار ؛ لأخذه بأسباب التقدم، ثم اجتمعت عليه أسباب التخلف فتخلف، والمجتمع الأوربي ساده التخلف في العصور الوسطى، ثم ارتقى وتقدم نسبيا في مجاله المادي؛ لأخذه بأسباب التقدم، وهكذا فتلك سنة الله في الأرض.

إن التخلف الاجتماعي من وجهة نظر الباحث هو السمات أو المؤشرات التي تعوق العملية التنموية، وتحمل الصبغة الاقتصادية التي لها مردود اجتماعي، أو تحمل الصبغة الاجتماعية ولها تبعات اقتصادية، وطالما أن تلك السمات أو المؤشرات تعوق العملية التنموية في المجتمعات العربية والإسلامية؛ فإنها بالضرورة تؤدي إلى تعميق التخلف فيها " إنه يعبر عن مجموعة من العناصر المرتبطة بنيويا بمرحلة التبعية وما سبقها من تاريخ اجتماعي في ظل الهيمنة الأجنبية ، فهو إذن ليس

توصيفاً كمياً ولا هو جوهر ثابت ، التخلف ظاهرة موضوعية تختلف بشأنها زوايا الرؤية ومناهج التحليل ولكن إحصاء عناصر التخلف مع واقع التحليلات المتعارضة يساعدنا في المقارنة والتقاط ما هو عام ويصلح معياراً موضوعياً " ( عمر ، 1998م، ص 223)

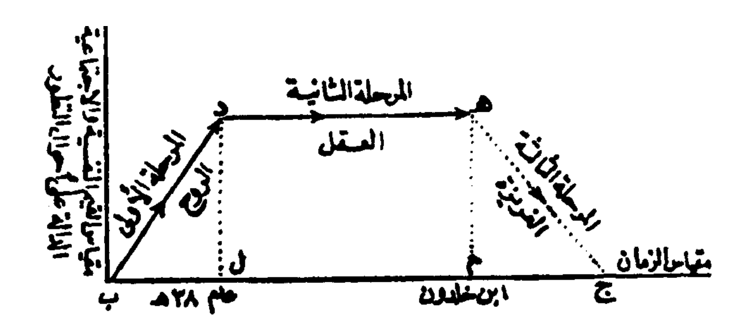
إن خصائص التخلف الاجتماعي تعمل على إبراز كيف يتم تقييم الحياة الإنسانية ضمن تلك التشكيلة ، وكيف يتم إنتاج القيم والمعايير التي على أساسها تنسج خيوط شبكة العلاقات الاجتماعية، والتي بها تقاس كرامة الإنسان . إن أي تهميش أو غبن أو استغلال للإنسان هو تخلف، وكل معيار لا يستمد صلاحيته من معقوليته ، ومرونته وانسجامه مع متطلبات الحياة الكريمة لكافة أفراد المجتمع هو تخلف يضاف إلى هذه الأعراض أو المميزات الأساسية للتخلف الاجتماعي خصائص ومميزات فرعية كثيرة أخرى و نذكر منها على سبيل المثال : " تفشي العادات والتقاليد الضارة ، والمغالاة في الصرف على الأفراح والمآتم ، واحتقار العمل اليدوي ، وقلة حرية الحركة والتعبير عن الرأي ، والإدارة الفاسدة التي تخدم أغراض امتيازات القلة ، وقلة كرامة الفرد في المجتمع وفقدانه لإنسانيته حيث يتحول إلى شيء أو أداة أو وسيلة ، وسيادة التسلط والعنف والخوف وعدم الطمأنينة والثقة في العلاقات الاجتماعية" ( التومي ، 1985م ، ص 67)

لقد أبرز (حجازي، 1986م) عددا من ملامح التخلف الاجتماعي والتي تتركز في سلوك الأفراد والجماعات ومنها فقدان التعاون والتعاطف بين الناس ، وانتشار مشاعر الكسل والاتكالية، وقلة المبالاة وعدم تقدير المسؤولية ، وفقدان الإحساس بمعاناة الناس وآلامهم ومخاوفهم وحاجاتهم وعدم المبالاة تجاه معاناتهم ، وسيطرة مشاعر الذنب والقلق والنقص والدونية ، بين عدد كبير من الناس ، والتخبط الذهني ، والفوضى والعشوائية ، وسوء التخطيط واضطراب منهجية التفكير ، والرضوخ للانفعال والذاتية ، وفقدان الموضوعية في التفكير ، والتذبذب وانعدام اليقين ، والعجز عن التصدي للواقع من خلال الحس النقدي والتفكير العقلي (ص 50–99) .

ورغم أن التخلف الاجتماعي يظهر بشكل ملحوظ في السلوك غير الصحيح للمجتمع إلا أن الفرد قد يشكل نواته فمن سمات هذا التخلف " على مستوى الفرد العجز عن التخطيط ، لأن الذهنية المتخلفة تنظر إلى الواقع بشكل تجزئي زمانياً ومكانياً وتعجز عن النظر أبعد من دائرة ضيقة ، هي حدود محيط الشخص المباشر ، كذلك سوء التنظيم ، لأن الذهن المتخلف عاجز عن إدخال التنظيم على الواقع ، لأنه يفتقر هو ذاته إلى التنظيم والمنهجية ، ويعيش في التخبط والعشوائية ، والذهن المتخلف

يظل حائراً أمام شتات الظواهر ، هو بقادر على النفاذ إلى لبّها ولا هو بمستطيع أن يعيد ربطها فيما بينها في صيغ جديدة " (حجازي ، 1986م ، ص 47-123 )

لقد بدأت الحضارة الإسلامية بعنصر الروح، ثم عنصر العقل لتتهاوى هذه الحضارة حين برز عنصر الغريزة ، وقضى على عنصري الروح والعقل ، والغريزة هنا تشمل شهوة الأكل، والراحة ، والتفاخر بالأحساب والأنساب ، الأمر الذي نتج عنه تخلف المسلمين ، وقد يعبّر الشكل التالي عن المراحل الثلاث لأحوال المسلمين الزمنية التي مروا بها كما يراها المفكر مالك بن نبي:




(ابن نبي، 1406هـ،ص 66)

إن الفترة الأولى التي حصنت المسلمين ، وساهمت في تقدمهم مع بزوغ فجر الإسلام ، لم تلغ الغريزة وإنما نظمتها ، وفي هذه الحالة يتحرر الفرد من قانون الطبيعة المفطور في جسده ، ويخضع وجوده في كليته ، إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه ، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح ، وحين أتت مرحلة العقل في عهد بني أمية ، واصلت الأمة الإسلامية حضارتها بوتيرة دائبة لكنها غير متصاعدة . لكن الغرائز بدأت تزاحم العقل وتؤثر في سلوك الأمة، وذلك لان الروح فقدت في مرحلة صدر الإسلام (ابن نبي ، 1406هـ، ص 66-67) فالمرض الاجتماعي يساهم في تأخير التقدم ، ويؤدي إلى تقويض الحضارة ، فأي تخلق أو تقهقر في مجتمع ما يعود بحسب وجهة نظر علم العلل إلى مرض اجتماعي ، في البداية يبدأ رويداً رويداً ، حتى يقضي على المجتمع كاملاً .

إن دراسة ظاهرة التخلف الاجتماعي لا بد أن يشمل جميع المؤثرات الأخرى كالفكرية والثقافية والسياسية حتى تخرج الدراسة بتصور عام، ورؤية شاملة للتخلف بمنظوره العام ، تسهم في علاج هذه المشكلة " فالاقتصاد ليس جهازا أو نظاما آليا، ولا تعمل القوى الاقتصادية في المجتمع أي مجتمع كقوى الطبيعة، بل يجب أن تُفْهَمَ في إطارٍ اجتماعي ثقافي؛ فالعوامل السياسية والاجتماعية والفكرية والنفسية تلعب دوراً بارزا فيها، كما أن النظام التشريعي ، ونوع الحكومة، والعلاقات الدولية،

والصراعات الحضارية، ومستويات التعليم ، والثقافة، والصحة، والعادات والتقاليد ، ودور الدين، كلها عوامل مؤثرة بدرجات كبيرة ومتفاوتة في ظاهرة التخلف (بولدوين، د. ت، ص41).

إن لجوء الكثيرين للاحتماء بالماضي وبنماذجه النمطية لا يدرس لذاته وإنما هي سُنَّة اجتماعية تاريخية لدى جميع الأمم حينما تنحرف بالمسار التاريخي لتدخل في متاهات ولا تتضح لها الرؤية المستقبلية فتحتاج أن تعود إلى الخلف لتكتشف نقطة الانحراف فإذا اكتشفتها فلا يجب أن تقف عندها وإنما تُعدِّل المسار وتنطلق نحو المستقبل وهذه ظاهرة عاشتها كل الأمم حتى أن النهضة الأوروبية لما أحست بضعفها أمام الهجمات الإسلامية رجعت تنقب في تراث الرومان واليونان، وهكذا كان عصر النهضة عندهم بين القرن الثاني عشر والخامس عشر الميلادي (الكيلاني ،1997م، ص 97)

وقد حدد بعض الباحثين عددا من المظاهر التي اعتبروها ضمن تخلف البنيان الاجتماعي ومنها : انعدام إرادة التنمية وتوافرها لدى النخبة أو القيادة في مجتمعات دول العالم الثالث بسبب عجز وعدم قيادة المجتمع لأهمية عملية التنمية وهذا يعد نادراً ، ويمكن أن تكون القيادات واعية بقضية التنمية والتخلف ، إلا أن التنمية الاقتصادية تضر بمصالحها و وفي هذه الحالة فإن هذه القيادات ونوعيتها تمثل عائقاً للتنمية الاقتصادية ، وسيادة العلاقات العائلية والقبلية حيث بكون الولاء لها وبالتالي تقاس مكانة الفرد بانتمائه العائلي والقبلي مما يؤثر على طرق اختيار الوظائف الإدارية المهمة ، و شيوع القيم والمعتقدات السائدة في بعض الدول النامية ( السيف ، 1424هـ، ص 47) .

وحتى لا يتم هضم الجهود المبذولة – أحياناً– من قبل بعض الجهات أو القيادات فإن بعضها يعي مشكلة التخلف الاجتماعي ، لكنه غير مدرك لأبعادها وعلاجها مما يعني أنه يفتقد الرؤية والتخطيط ويرجع ذلك إلى عدم تفرقة هذه القيادات بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبين بعض مظاهر المدنية أو المظاهر العصرية ، ومن هذا المنطلق فقد كشفت الدراسة الخاصة بمشكلات النظام التربوي والتنمية المعدة لندوة التنمية لأقطار البلدان العربية المنتجة للنفط عن العديد من الحقائق المتعلقة بالتخلف الاجتماعي ، منها " تعزيز التعليم لقيم اجتماعية غير دافعة للتنمية مثل السلبية و الإتكالية ، والراحة ، والاستهلاكية ، والأنانية ، والمحلية ، والإقليمية " (الجلال ، 1985م، ص 109) وإن كان ذلك يتفاوت من دولة الى أخرى بحسب الخلفيات الاجتماعية والرواسب الثقافية التي يؤمن بها كل مجتمع .

لقد حدد (شفيق ، 2006م) عدداً من مظاهر التخلف الاجتماعي والتي اعتبرها معوقات للتنمية من الناحية الاجتماعية وتتمثل في :

١ -ارتفاع معدلات الزيادة السكانية بالنسبة للإنتاج مع عدم الاستغلال الأمثل للقوى البشرية.

٢ -انتشار الأمية وانخفاض مستوى التعليم.

٣ -سوء توزيع السكان جغرافياً والتفاوت في الازدهار بين مناطق المجتمع

٤ -انخفاض المستوى الصحي مع سوء التغذية

٥ -العادات الاجتماعية المرتبطة بنمط الإنفاق الاستهلاكي .

٦ -سوء استغلال وقت الفراغ .

٧ -التنوع اللغوي

٨ -ضعف الخدمات الحكومية المقدمة للأفراد.

٩ -شيوع بعض العادات والتقاليد ( ص 49-60) .

**ثانياً : مؤشرات التخلف الاجتماعي.**

ينظر الكثير من الباحثين إلى دول العالم اليوم على أنها دول متقدمة وأخرى متخلفة بحيث قاموا بتصنيفه إلى مجموعتين : المجموعة الأولى التي قدمت باعا كبيرا في الحضارة المادية، والتقدم العلمي، والتقني، والجوانب السياسية، والاقتصادية، أما دول المجموعة الثانية فقد اعتمدت على الدول الأخرى، وعلى ما يقدم لها من مساعدات وخبرات تلك الدول، نظير تنفيذ أهدافها ومخططاتها، بما يخدم مصالحها ومنافعها في المقام الأول، وتنتمي معظم دول العالم العربي والإسلامي في الوقت الراهن إلى دول المجموعة الثانية، والتي صار التخلف بمعظم مؤشراته ومظاهره سمة واضحة فيها ( شاكر ،1988م، ص 64 – 83)

وبرز مصطلح الدول المتخلفة معظم الكتابات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية فترة كبيرة، وعُرِفَت الدول المتخلفة بأنها الدول التي تنخفض فيها مستويات المعيشة عن تلك المستويات الموجودة في البلاد المتقدمة، ثم اعترض البعض على هذا المصطلح كذلك، ورأوا أنه مصطلح يفتقد الشمول والإلمام بكافة أبعاد التخلف، ومن ثم اقْتُرِحَ اصطلاح الدول المتخلفة المتأخرة؛ حتى يكون المفهوم جامعا مانعا، وحسب هذه الرؤية، فإن التخلف ينصرف إلى الموارد المادية، وضعف استغلالها استغلالا منتجا، أما التأخر فينصرف إلى الموارد والقوى البشرية، ومن ثم يلزم عند هؤلاء ذكر الصفتين معا ثم إنه رؤى بعد ذلك استبدال هذا المصطلح بمصطلح آخر، هو مصطلح الدول النامية، لأنه أكثر قبولا لدى الأسماع، خاصة لدى أبناء الدول المتصفة بالتخلف، ولما كان النمو حقيقة تشترك فيها الدول المتقدمة والمتخلفة، بل هو ألز ام للدول المتقدمة من حيث المعنى، حيث تحقق الدول المتقدمة معدلات عالية من النمو في كافة المجالات، ومن ثم استعيض عن هذا المصطلح بمصطلح : دول العالم الثالث، ليعبر به عن الدول المتخلفة (شامة ، 1997م، ص12– 13 ).

ويعتمد اتجاه النماذج على وضع مؤشرات أو سمات للدول المتقدمة والمتخلفة بشكل عام في كافة المجالات ومنها المجال الاجتماعي ، والجدول الذي أورده ( الجوهري ، 1999م ، ص 18– 45) يوضح بعضاً من هذه السمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لارتباطها ببعض

| السمات الإقتصادية | السمات الإقتصادية |
|---|---|
| **مؤشرات التقدم** | **مؤشرات التخلف** |
| . كفاية الموارد الطبيعية وحسن استغلالها .<br>. الاستقلال الاقتصادي والاعتماد على الذات<br>. الاندماج في نشاطات صناعية متعددة.<br>. الأخذ بالأساليب المتطورة في الإنتاج.<br>. إتباع الأسلوب الاقتصادي المتوازن.<br>. انخفاض نسبة البطالة بأنواعها.<br>. ارتفاع الدخل القومي وعدالة توزيعه.<br>. وفرة المدخرات وتعاظم الاستثمارات.<br>. إتباع أنماط إنفاق غير استهلاكية.<br>. اتجاه الصادرات نحو المواد المصنعة.<br>. اتساع الأسواق واعتدال ميزان التجارة. | . عدم كفاية الموارد الطبيعية وسوء استغلالها<br>. التبعية الاقتصادية والاعتماد على المعونات الخارجية.<br>. الاندماج في نشاطات زراعية غالبا.<br>. الأخذ بالأساليب التقليدية في الإنتاج.<br>. عدم إتباع الأسلوب الاقتصادي المتوازن.<br>. ارتفاع نسبة البطالة بأنواعها.<br>. انخفاض الدخل القومي وسوء توزيعه.<br>. قلة المدخرات وتضاؤل الاستثمارات.<br>. إتباع أنماط إنفاق استهلاكية.<br>. اتجاه الصادرات نحو المواد الخام والأولية.<br>. ضيق الأسواق واختلال ميزان التجارة. |
| **المؤشرات الاجتماعية** | |
| **سمات التقدم** | **سمات التخلف** |
| . ارتفاع مستوى المعيشة.<br>. انسياب الحراك الاجتماعي.<br>. انخفاض نسبة الأمية.<br>. الأخذ بالأساليب الحديثة في التعليم.<br>. اختفاء أو قلة نسبة تشغيل الأحداث.<br>. كبر حجم الطبقة المتوسطة.<br>توفر الرعاية الاجتماعية.<br>. تطبيق نتائج البحوث العلمية. | . انخفاض مستوى المعيشة.<br>. جمود الحراك الاجتماعي أو تعثره.<br>. ارتفاع نسبة الأمية.<br>. الأخذ بالأساليب العتيقة في التعليم.<br>. ارتفاع نسبة تشغيل الأحداث.<br>. صغر حجم الطبقة المتوسطة.<br>. قلة الرعاية الاجتماعية.<br>. عدم أو قلة تطبيق نتائج البحوث العلمية. |

| | |
|---|---|
| . ارتفاع المستوى الصحي والغذائي.<br>. انخفاض معدلات وفيات الأطفال.<br>. انخفاض معدلات المواليد | . انخفاض المستوى الصحي والغذائي.<br>. ارتفاع معدلات وفيات الأطفال.<br>. ارتفاع معدلات المواليد. |
| **المؤشرات الثقافية** | |
| **مؤشرات التقدم** | **مؤشرات التخلف** |
| .ارتفاع المركز الاجتماعي للمرأة.<br>. التحرر من تحكم العادات والتقاليد السيئة.<br>. سيادة العلاقات الاجتماعية المعقدة وامتدادها خارج النسق: الأسرة أو العائلة أو القبيلة.<br>. القدرة على الانفتاح العقلي والأفكار الجديدة والعالم الخارجي.<br>. تشجيع الأدوار الاجتماعية الجديدة. | .انخفاض المركز الاجتماعي للمرأة.<br>. تحكم العادات والتقاليد في السلوك.<br>. سيادة العلاقات الاجتماعية الأولية والبسيطة ووقوعها غالبا داخل النسق المعهود<br>. عدم أو ضعف القدرة على الانفتاح العقلي والأفكار الجديدة والعالم الخارجي.<br>. الخوف من الأدوار الاجتماعية الجديدة. |

والمتفحص جيداً لهذه السمات يلحظ أن هذه المؤشرات إنما هي دلالات غير قطعية وتختلف من بلد إلى بلد لكنها تعين في وضع تصور عام عن التخلف ، ومن ثم فقد تعرض اتجاه المؤشرات لشك كبير في مصداقيته ، كما أن هناك بعض الملاحظات أو التحفظات المهمة لعل أبرزها فيما يتعلق بتلك المؤشرات الاقتصادية أن بعض المجتمعات تعيش مستوى عاليا من المعيشة، إلا أنها لا زالت تعتبر من الدول المتخلفة في كافة المجالات ، ووجود علاقة قوية ومهمة إحصائياً بين مستوى الدخل ومستويات بعض المؤشرات الاجتماعية لا يعني بالضرورة أي ارتفاع في مستوى الدخل يؤدي إلى تحسين مستويات المؤشرات الاجتماعية أو العكس ( صادق ، 1986م، ص41) .

وفي المؤشرات الاجتماعية لا يتفق الباحث على اعتبار ارتفاع معدلات المواليد من سمات التخلف الاجتماعي ، خاصة إذا ما تم استغلال الثروة البشرية الاستغلال الأمثل، ولعل دولة مثل الصين خير شاهد على تقدمها صناعياً برغم كثرة سكانها الذين يشارفون على مليار ونصف المليار، بل إن ارتفاع معدلات الولادة بالنسبة للمجتمع المسلم يعتبر طاعة لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم وفق التوجيه النبوي في الحديث الشريف ، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : جاء رجل

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ، إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال ، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال له مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " : تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم " ( النيسابوري ، كتاب النكاح ، رقم الحديث 2732).

وفي هذا السياق أيضا، فإن الدول المتقدمة ضخّمت مشكلة الانفجار السكاني لتبرير تخلف الدول النامية ، لكن عدداً من الباحثين أكدوا على دور العنصر البشري في عملية التنمية ؛ وأنه من الخطأ اعتبار ارتفاع عدد السكان عائقا للعملية التنموية، بل يرون أن هذه الزيادة تعمل على إيجاد قوة ضاغطة تؤدي إلى مضاعفة الجهد من قبل السكان أنفسهم لتحسين مستوياتهم المعيشية مما يسرع العملية التنموية، لكن المتأمل يدرك أن موقف الغرب يحكمه " التخوف الديموغرافي ،لان وزنه البشري داخل العالم أصبح يتراجع سنة بعد سنة ، إضافة إلى الخوف من العرب و الإسلام، و الخوف من اليابان لأسباب حضارية، فالغرب لا يقبل، ما برهنت عليه التجربة اليابانية والماليزية، وهو أن الحداثة والتقدم يمكنها أن تتبلور بواسطة قيم أخرى غير القيم اليهودية والمسيحية الغربية، وهذا يعاكس ما يذهب إليه بعض المثقفين في بلداننا من أن وسيلة تقدمنا، هي تقليد الغرب والسير على نهج الغرب وليس انطلاقا من قيمنا" ( المنجرة، 1997م، ص84) .

والواقع إن استخدام متوسط دخل الفرد كمعيار وتعريف للتخلف يشوبه الكثير من العيوب مما يؤدي إلى كثير من التشكك في مدى جدواه كتعريف ومقياس للتخلف والتقدم ، فقد يترتب على اختيار حد معين وليكن ( 3000) دولار إدخال بعض الدول المتخلفة ضمن الدول المتقدمة . كما قد يؤدي إلى إدخال بعض الدول المتقدمة ضمن إطار الدول المتخلفة ، لأن متوسط دخل الفرد يعكس مظهراً واحداً من مظاهر الاقتصاد القومي وهو مستوى المعيشة ( السيف ، 1424هـ، ص 46).

أما المؤشرات الثقافية فيعتقد الباحث أن بعض المصطلحات قد تحتمل معانٍ عدة وتخضع لتفسيرات كثيرة مثل : القدرة على الانفتاح العقلي ، فقد يطرح هذا المؤشر تحليلات عدة لا تتوافق مع كل المجتمعات ،و المجتمع الإسلامي يتحفظ على بعض الظواهر والثقافات الأجنبية التي لا تتوافق مع قيمه ومبادئه كالجوانب السلبية للعولمة ، والمذاهب الفكرية الهدّامة التي تصطدم مع الدين والعقل ، كما تبدو بعض المصطلحات ضبابية، أو غير واضحة المدلول بالنسبة للمجتمع الذي توجد فيه، مثل: المركز الاجتماعي للمرأة ، فإذا كانت قيمة المرأة في المجتمع المتقدم تختلف عما قرره الدين الإسلامي من كرامة وصون لها فإن ذلك لا يعتبر تقدما بالمقياس الموضوعي للتقدم ، كما تضمنت

هذه المؤشرات الثقافية : التحرر من العادات والتقاليد، والتقاليد والعادات ليست شراً محضاً كما أنها ليست خيرا محضاً بل إنها تعتمد على السلوك مثل الكرم واحترام الكبير ، لذلك فإن هذه النماذج لقيت انتقادات لاذعة ، تجلت في تجاهلها للواقع التاريخي وإسهامه في ظهور التفاوت بين الدول المتقدمة والمتخلفة، إضافة إلى عجزه في فهم التغيرات التي تطرأ على البناء الداخلي للمجتمعات ووضع السياسات الملائمة لها ووصفها بعضهم بأنها ضعيفة أمبريقيا، وواهية نظريا ومضللة تطبيقيا.

كما أن هناك مقاييس أخرى في سياق البحث بعد استعراض السمات والظواهر المصاحبة للتخلف الاجتماعي في المجتمع حيث إن بعض بلدان المجتمع العربي يعيد إنتاج نفسه وهو غير متحرك ومعاد للتجديد وليس فيه انسجام وغير متسامح ، وخاصة فيما يتعلق بالاستقلالية واقتصاده كذلك خاضع للهيمنة ، ويتصف بالهشاشة من حيث الرعاية الصحية والنظافة العامة ، وذو معدلات ولادة عالية ويتمتع بفروقات حادة وصارخة في مستويات الثراء والفقر ، وهو مجتمع تشنّجي في حال التصادم مع السلطة ( الرميحي ، 1998 م، ص 24 ) .

وربط التخلف والتقدم بالمستوى الاقتصادي فقط لدولة ما ربطٌ قاصر ، ومعالجة ناقصة لمفهوم التقدم والتخلف في المجتمعات البشرية المعاصرة ، رغم الاعتراف بضرورة استخدام بعض المؤشرات الاقتصادية للدلالة على فعالية المجتمع وإنتاجه القومي " لكن الأهم من ذلك هو النظرة الشاملة والمتعمقة لمفهوم التقدم والتخلف من جميع زوايا الحياة ، ومعالجة هذا المفهوم اجتماعياً وفكرياً وسياسياً بجانب المعالجة الاقتصادية التي لا نشك في أهميتها ، ولا في أولويتها كعامل مباشر من عوامل التأثير على الإنتاج القومي لأي مجتمع ، ولكنه ليس العامل الوحيد على كل حال . ( ابن نبي ، 1404هـ ، ص 27-28) لذلك فإن الباحث يعتقد بأن ظاهرة التخلف الاجتماعي لها محددات اقتصادية وأخرى سياسية وأخرى فكرية .

ودراسة الباحث تتفق مع آراء بعض باحثي علم الاجتماع في انعدام جمود المجتمع المتخلف ؛ إذ لا بد لأي مجتمع من حراك اجتماعي، لكنه قد لا يكون مؤثرا لذلك فإنه " ليس هناك مجتمع ساكن حتى ولو أغرق في التقليد ، قد تكون حركته ضئيلة في وتيرتها ، وقد تكون ضعيفة في مظاهرها لكنها حتما موجودة ، هناك دائما انتفاضات ومحاولات تعبيرية تبرز من آن إلى آخر أقل البنى دينامية، ولكنها تطمس بسرعة نظرا لشدة قوى القمع " ( حجازي ، 1986م، ص16)

## المبحث الرابع : آثار التخلف الاجتماعي

**أولاً : تهميش الأفكار وتقدير الأشخاص والأشياء.**

يتكون كل مجتمع من ثلاث مكونات هي : الأفكار والأشخاص والأشياء ، فالمجتمع المتقدم يدور الأشخاص فيه والأشياء في محيط الأفكار الهادفة ، أما المجتمع المريض فتدور الأفكار فيه والأشياء في فلك الأشخاص ، والمجتمع الميت تدور فيه الأفكار والأشخاص في فلك الأشياء .

والتاريخ كله – الإسلامي وغير الإسلامي– برهن على أنه حين تقوم شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس الولاء الشامل لأفكار الرسالة التي تتبناها الأمة وتعيش من أجلها، فإن كل فرد في المجتمع يصبح مصاناً و محترماً، سواء أكان حياً أو ميتا ومهما اختلفت آراؤه مع الآخرين، ويوجه الصراع إلى خارج المجتمع، وتتوحد الجهود و تثمر. أما عندما تتشكل شبكة العلاقات طبقاً للدوران في فلك الأشخاص والأشياء، فإن الإنسان يصبح أرخص شيء داخل المجتمع وخارجه، ويدور الصراع داخل المجتمع نفسه، و يمزقه إلى شيع يذيق بعضها بأس بعض، ثم يكون من نتاج ذلك أن تجذب روائح الضعف الطامعين من الخارج( الكيلاني ، 1430هـ، ص 31–32)

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعمّق الولاء للفكرة وهي العقيدة ويجعلها محور العلاقات الخاصة والعامة في المجتمع المسلم ، وكانت أشخاص المسلمين وأشياؤهم ، تدور في فلك الولاء للفكرة الإسلامية ، تطبيقاً لقوله تعالى " إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ " ( التوبة، الآية : 111) و بعد عصر النبوة ، جسّد الخلفاء الراشدون هذا الولاء للفكرة الإسلامية أروع تجسيد ، ورصدوا أشخاصهم وأعمارهم وأشياءهم لنشرها ، في الخارج : بالجهاد والتضحية والشهادة . وفي الداخل : بالعدل ، والقدوة ، والشورى، لكن كان المنعطف الخطير ، يوم بدأ رجال السياسة ، بتطويع رجال الفكر والشورى لأشخاصهم ، حيث ازداد هذا النهج وتفاقم ، يوم راح رجال السياسة يطاردون رجال الفكر ويضطهدونهم ، كلما استعصوا على الولاء للأشخاص .

وفي أسوأ آثار التخلف الاجتماعي نتيجة حينما انتقل الولاء فيه للأشياء المادية ، وتنافس الأفراد في جمع الثروة ، وتكديس الممتلكات ، وأضحت مكانتهم تتشكل على ضوء هذه الأشياء ومن هذا المنطلق فإنه يبرز ثلاثة مواقف في التاريخ الإسلامي :

**الموقف الأول:** تجمعت كلمة الأشخاص ، وقويت وحدتهم ، وازدهر أمرهم ، وبان عزهم ، وذلك في قرون الولاء للفكرة. **الموقف الثاني** : برزت الصراعات الأسرية من أجل الخلافة ، وتشرذمت الأمة ، وتوزعت ولاءاتها حول الأشخاص والعوائل والمذاهب ، واشتغل المسلمون عن العدوّ الخارجي بالحروب والصراعات فيما بينهم، في قرون الولاء للأشخاص. **الموقف الثالث** : انحدر المجتمع

الإسلامي إلى الحضيض ، وتمزَّقت شبكة العلاقات الاجتماعية حتى داخل الأسرة الواحدة ، أو المذهب الواحد ، الأمر الذي أدى إلى وفاة المجتمع الإسلامي آنذاك ، ومجيء الجماعات الصليبيّة والمغوليّة وذلك حين انتقل محور الولاء إلى الأشياء .

ومرض تقديس الأشخاص هو أحد عناصر التخلف الاجتماعي كما يشير ( البليهي ، 2004م) وباجتماع الجهل والجور وسوء الأخلاق وفساد الضمائر تسود الأنانية الشرسة ، ويتوطد التخلف وباستحكام هذه الشبكة من الآفات والمعوقات وتبادل التغذية بين أطرافها تتوالد عناصر الانحطاط ، وتتغلق العقول ، ويشتد التعصب ويسود الاجترار ، ويختفي الإبداع ويتوجّس الناس من أي طارئ، في الأفكار والأذواق والممارسات، ويبالغون في تعظيم الأشخاص الثقات ، وينقلب التقدير إلى تقديس .

لذلك فإن الإنسان المتخلف أيضاً ينكفئ على ذاته ، ويسيطر عليه الإحساس بالعجز وقلة الحيلة . وهو محدود في طموحاته ، لايدري كيف غده ولا أين ستستقر به الأمور ، ويتهرب من المشاركة في كل ما هو عام ، وتتأصل فيه الروح الانهزامية إزاء التحديات والقوى التي لا قبل له بها ( حجازي ، 1986م، ص 47-123)

إن صحة المجتمعات ومرضها أساسه صحة الفكر أو مرضه ، فكل مجتمع يتكون بدهياً من ثلاثة عناصر رئيسة هي : الأفكار ، والأشخاص و والأشياء . وترتبط هذه العلاقة بشبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ، ويتشكل محور الولاءات في المجتمع ، ويتحدد منهج التفكير ، ويترتب سلم القيم الذي يوجه السلوك ، فيرتقي المجتمع إذا كان ولاءه للأفكار على حساب الأشخاص والأشياء ، ويمرض إذا كان ولاءه للأشخاص على حساب الأفكار الهادفة ، ثم يموت حين تتسيد الأشياء على الأفكار والأشخاص ( الكيلاني ، 1430هـ، ص374-375)

إن إشكالية التخلف الاجتماعي في بعض البلاد العربية أن بعض مجتمعاتها تقف في وجه العقل والعلم فالعقل يعاني من أزمة ؛ وأزمته هي القوى المضادة الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية " لأننا أكدنا على ضرورة تغيير الذهنية والذهنية مرتبطة بالعقل والعلم وليس بالعاطفة ، مع أن العاطفة لا تتناقض مع العلم بل هما قوتان تجتمعان في كل إنسان وكل منها يجب أن تكون في مجالها ، والمعوق الآخر هو طريقة التعامل مع السلطة ، فالاختلاف بين العقل والسلطة ليس نتيجة حتمية ، بل في طريقة التفكير ومنهجه ، ففي حالة إتباع السلطة يكون التفكير خاضعا لمصدر يعلو عليه وتقبل أحكامه بلا نقاش " ( زكريا، 1975 ، ص 14 -16 ) .

ومن المعروف أن العقلية هي التي تحكم السلوك وتحدد النظرة إلى الكون ، فالتخبط والفوضى والعشوائية ، وسوء التخطيط والارتجال تعد من ملامح التخلف الاجتماعي ، فهناك خصائص ذهنية انفعالية وأخرى منهجية ، الأولى ترتبط باضطراب منهج التفكير ، والثانية تختص بتبيان تدخل العوامل الذاتية والعقلانية ، وهي أسيرة الانفعال الذاتي والغيبية ، أما المنهجية فتتلخص بصعوبة السيطرة الذهنية على الواقع والحياة والطبيعة وصد القدرة عن الفهم ، بالإضافة إلى عدم استخدام التكنولوجيا من اجل عقلنة الإنتاج ، وكذلك هناك نوعية التعليم وتأثيره، وان كان هناك تعليم فهناك تنشئة أسرية واجتماعية مشوهة أيضا تعمل على تشويه وإفساد وتحريف التعليم عن هدفه ، الأمر الذي يحدث انفصاما وانشطارا في الشخصية والذهنية والسلوك ، حيث يتمثل ذلك في علاقات التسلط في المدرسة والنظام السياسي (حجازي ، 1998 ، ص 54 – 76) .

وقد ذهب مالك بن نبي إلى أن المجتمع أي مجتمع في مرحلة التخلف يصنع بنفسه الأفكار التي تؤدي إلى إفناء ذلك المجتمع "فكل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، ثم تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي أفكاراً ميتة، تمثل خطرا أشد عليه من خطر الأفكار القاتلة؛ لأنها تنسجم بصورة أو بأخرى مع عاداته، وتفعل مفعولها في كيانه من الداخل، إنها تكون ما لم تُجْرَ عليها عملية تصفية الجراثيم الموروثة الفتاكة، التي تفتك بالكيان الإسلامي من الداخل"( ابن نبي، 1981م، ص131).

وقد ينتج بسبب التخلف الاجتماعي ظهور عدد من المشكلات الاجتماعية ، وهي ليست حكراً على مجتمع دون آخر ولكنها تتفاوت بنسب معينة " فالمشكلات الاجتماعية هي نتيجة التغير الاجتماعي والتخلف الثقافي ، وهي تعكس الاختلاف في سرعة بين عناصر المجتمع، وخاصة بين السلوك وبين القيم التي تحدده، وتظهر المشكلات الاجتماعية في المجتمعات الديموقراطية الديناميكية المتغيرة ، بحيث نجد أن التغير سريع وأن القيم الاجتماعية التي تحبذ العمل نحو تحسين ظروف تنمو بشدة وبسرعة " ( الشيباني ،1983م ، ص79)

**ثانياً: الغياب الاجتماعي .**

تسفر آثار التخلف الاجتماعي عن العديد من الأعراض السلبية ، وقد أطلق ( الكيلاني 1997م ) مفهوم الغياب الاجتماعي على أحدها " فالأمة في حالات الضعف والتخلف تكون فيما نسميه الغياب الاجتماعي غائبة عن التحديات وعن الحاجات الأساسية في قضايا محلية ثانوية، إما اهتمامات فردية تدور حول الاستهلاك والإنتاج المحلي، أو في دوائر ولاءات عصبية؛ كما نرى اليوم

في أقطار آسيوية وأفريقية ينتهي ولاء الفرد عند دائرة قبيلته وأسرته ثم تتصارع هذه القبائل وتنسى قضية الوطن الكبير" ( ص 30) .

وفي ضوء ما سبق فإذا كان الواقع العالمي يدفع باتجاه تفعيل وحث مشاركة الأفراد والمجتمعات فإن واقع بعض البلدان العربية على النقيض من ذلك " واقع تغيب أفراده وتهمش مجتمعاته ، وليس هناك وصف لحالة الإنسان والمجتمع العربيين أدق من حالة الاغتراب ، فالإنسان العربي تقعده حالة من العجز في علاقاته بالمؤسسات ، والمجتمع والنظام ، بعد أن تحولت هذه كلها إلى قوة مادية ومعنوية ، تستمله وتعمل ضده ، بدلا من أن يستعملها وتعمل لصالحه هو ، وتؤثر فيه وتطغى عليه دون هو أن يؤثر فيها"(قمر وآخرون ، 2008م ، ص 90)

والتدرج مهم في عملية الوصول إلى الوعي بخطر التخلف الاجتماعي ، ولا يمكن نقل الأمة من الغياب الاجتماعي دفعة واحدة إلى الوعي الكامل، وإنما نقلها من مرحلة الغياب إلى مرحلة الحسّ: أن تحس بمشكلاتها، وهذا الإحساس هو المشار إليه في القرآن الكريم بقوله تعالى: أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ( الأنعام ، الآية : 122) وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا ، أي : في الضلالة ، هالكا حائرا ، فأحياه الله ، أي : أحيا قلبه بالإيمان ، وهداه له ووفقه لاتباع رسله " ( ابن كثير ، 1420هـ، ص 331) وبالنظر في هذا التعبير القرآني نلاحظ ذكر المشي في الناس وليس في الأرض، لأن الإنسان يمشي في الأرض بعينيه اللتين في رأسه أما مشيه في الناس فهو بعقله ووعيه وحسه؛ فالإحساس بالمشاكل هو نقلة في خطاب المفكرين " (الكيلاني ، 1997م، ص 30 ).

ونتيجة لذلك فإن الشعوب تتكيف مع واقعها الأليم ، وتتعايش معه بدلاً من اتخاذ تدابير ناجعة لمواجهة مشكلاتها الداخلية ، وحين تفتقد البوصلة عند بعض الأفراد فإن قيماً كالطاعة العمياء ، والخنوع والخضوع وقيم الإذعان ، تصبح سجية عامة يتحلى بها الأفراد والجماعات .

**ثالثاً: فقدان القيم الأخلاقية .**

القيم التي يؤمن بها الناس وتظهر في سلوكهم ، هي ركيزة من ركائز التقدم الحضاري ، وحين يحدث تقدم ويصاحبه تخلف قيمي وأخلاقي ، فإن المرء يصطدم بمخلوقات عجيبة ، مركبة

من أجسام بشر هي أبعد عن أمة متقدمة ، وهذا هو حال الأمم التي تتراجع فيها القيم ، لذلك فإن الأزمة الأخلاقية التي تمر بها الأمة الإسلامية تنبع من نوعين من التخلف :

**الأول :** ويتمثل في الفجوة التي تفصل بين الأجيال المعاصرة ، وبين المعيار الحقيقي للتدين الصحيح ، حيث تحتاج الأمة إلى الكثير من التقدم نحو القيم الإسلامية الحقيقية .

**الثاني :** التخلف عن العصر ، فالذي يسمى معاصرة لا يعدو كونه استهلاكاً ، وهذا التخلف هو تخلف علمي وقيمي ، فالكثير من القيم الإنتاجية والتنظيمية والاجتماعية ضامرة في حياة المسلمين . ( بكار ، 1426هـ، ص 83-88)

إن التخلف الاجتماعي نتاج طبيعي للسلوكيات المنحرفة والأخلاق الوضيعة ، فالأخلاق هي محور الفعل الاجتماعي سلباً أو إيجاباً ، لكن من يتأمل أوضاع المسلمين كمجتمعات ، ويلاحظ سلوكهم كأفراد ، يجد أن بينهم وبين هذه الأخلاقيات العالية مسافات شاسعة ، تكاد تصل إلى حد القطيعة التامة ، وهذا أحد اسباب التخلف والعجز والهوان ، الذي يعاني منه المسلمون في كل مكان ، فالمعضلة أخلاقية بالدرجة الأولى ، فسلوك المجتمع وسلوك أفراده هو الذي يسفر عن نتائج جيدة أو رديئة بحسب نصيبها من الالتزام الأخلاقي " ( البليهي ، 1415هـ، ص 93 ) " وفي هذا الصدد فقد أرجع الإمام الماوردي خراب العمران إلى الظلم ووافقه المفكر الغربي غوستاف لوبون نقلاً عن (يالجن، 1403هـ) في أن سقوط الأمم إنما يحدث بسبب انعدام أخلاقها وتغير مزاجها النفسي ، ولم يجد صاحب كتاب قصة الحضارة ول ديورانت سبباً للتخلف سوى العوامل الأخلاقية وانحلالها " ( ص 79)

وإعادة بناء الفرد والمجتمع والحضارة ، لا تثمر إلا عبر أساس الروح الأخلاقية الخيرة " لأن الأخلاق الخيرة إذا تغلغلت في جميع الاتجاهات الإنسانية وتم بناء الفرد والمجتمع والحضارة بتلك الروح زالت روح الشر من النفوس عندئذ ثم إن تلك الروح بطبيعتها الخير تدفع الفرد والمجتمع باتجاه الحضارة و التقدم ( يالجن ، 1403هـ، ص 8) فالأمم الحضارية إنما هي الأخلاق الفاضلة والتي تتجسد إنسانيتها على الأرض خير تجسيد ، فإذا حادت عنه بممارسة العنف والإرهاب والتقاعس وتضييع الأوقات والتعصب فإنها بذلك تفقد قيمتها الإنسانية.

**رابعاً :انعدام المحيط الثقافي .**

إن ما أصاب الأمة الإسلامية، فعطل طاقاتها، هو فقدانها للجو الثقافي – على حد تعبير مالك بن نبي– المثالي، الذي لا تتفتح الإمكانات إلا في ظله، ولا تزدهر البذور وتثمر إلا في تربته،

تلك البذور هي عناصر الثقافة ، موضحًا ضرورة ذلك الجو لقيام البناء ، أو المنهج التربوي اللازم لقيام الحضارة " إن عناصر الثقافة تذوب في كيان كل من المجتمع والفرد، لتطبع أسلوب حياة الأول وسلوك الثاني، اللذين يجري التفاعل فيما بينهما بحيث لا يسمح المجتمع للفرد بالنشوز ولا الفرد للمجتمع بالانحراف، وهو ما يسمى بعملية النقد الذاتي، التي يعبر عنها الإسلام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا الوضع عندما يزول، نصبح أمام أزمة ثقافية، تعبر عن نفسها في تعذر تركيب العناصر الثقافية في منهج تربوي" ( مسعود ، 1419هـ، ص 149)
فإذا كانت الثقافة السائدة ترذل قيمة العمل ، ولا تحترم الجهد العملي الذي يبذله الإنسان في سبيل تحصيل رزقه أو تطوير أحواله ، فإن هذه الثقافة ستقود إلى وقائع اجتماعية وأنماط حياة ومعايير عامة للتفضيل متناغمة وهذه النوعية من الثقافة، لذلك فإن المشاكل الاجتماعية ليست مشاكل عقلية، وإنما هي مشاكل نتاج خيارات المجتمع الثقافية .

وتفسير ظاهرة التخلف الاجتماعي في المجتمع أعادها البعض الى أن الإنسان ذاته ،أو محيطه الذي يتسبب في ذلك ، ففريق من الفلاسفة " صوبوا أنظارهم واهتماماتهم إلى قيمة الإنسان وما اكتسب من قدرات وما يمثل من قيم ، بينما انصرف آخرون إلى المحيط الطبيعي أو المجتمعي، الذي يقوم فيه الإنسان ويتأثر به ، فالتقدم والرقي الإنسانيان بحسب الفريق الأول يحصلان بارتقاء الإنسان ذاتياً وبارتفاعه في سلم القيم ، بينما يعتبر الثاني أن التقدم يأتي عن طريق إصلاح المحيط " ( زريق، 1998م، ص 43)

وطبيعي أن الإنسان المتخلف هو وليد البيئة المحيط الاجتماعية المتخلفة، ولكنه ليس مجرد أمر مادي قابل للتغير تلقائيا،لأنه نشأ تبعا لبنيته الاجتماعية فانه يصبح قوة فاعلة ومؤثرة فيها، ويعززها ويدعم استقرارها ويرسّخها بمقاومة تغييرها، بسبب ارتباطها ببنيته النفسية والذهنية والمصلحية (حجازي ، 1998 م، ص 9 ) و سوف يصبح في وضعية مأزقية ، خاصة في سلوكه وقيمه وتوجهاته ومواقفه خاصة عند مجابهة بيئته من جهة ، وعدم السيطرة على قيمه وسلوكه وتوجهاته ونزعاته بشكل يحفظ له التوازن النفسي من جهة أخرى فللعقل هو نتاج اجتماعي ومن صنع المجتمع والثقافة السائدة فيه ، حيث تنمو فيه قدرات الإنسان الذهنية والمعرفية.

ومن المؤكد أن انعدام المناخ الثقافي يعرقل عملية الاستيعاب والتأقلم والتكييف. كما أن الوضع الاقتصادي يتأثر بمستوى الوعي والحالة الثقافية، فإذا كانت الثقافة السائدة اتكالية، غير مبالية فإن الفرد من الطبيعي أنه سيصبح طاقة استهلاكية سلبية ، لا يملك عناصر الاشتراك في

عالم الإنتاج والصناعة، أما إذا كانت الثقافة مسؤولة، وتحث على العمل والالتزام والإبداع والعمران، فإن هذه الثقافة ستحول أبناء المجتمع إلى طاقات خلاقه في مختلف الحقول والميادين .

**خامساً : التنافر بين الأفكار والسلوك .**

إن إشكالية التخلف الاجتماعي تكمن في أن الفرد يدرك مقدار الخطأ في سلوكه وتصرفه إذ يلاحظ تداخل بين أعلى درجات التنظير الفكري وأشد أشكال التخلف في الممارسة " وهذا التداخل يميز إجمالاً الممارسة السياسية ، والعلمية والاجتماعية في العالم الثالث ، فالتخلف الاجتماعي إذاً يبرز في التناقض بين القول والعمل ، وفي أحيان أخرى يلاحظ نوعاً من الهوة بين الفكر وبين المعاش اليومي خارج إطار الممارسة العامة ، فبينما يتصف السلوك في الحالة الأولى بدرجة عالية من التقدم والتطور نلاحظ أن المعاش اليومي على مستوى الحياة الخاصة ما زال محكوما بمعايير وقيم مرتبية علائقية " ( حجازي ، 1986م ، ص 16)

إن من اللامنطقي أن يعتقد المسلم " أن الظواهر الاجتماعية لا تخضع لقوانين ، وبذلك يلغي دوره ، ويطفئ فاعليته ، وإن التخلف والركود و والجمود ، وسيادة التقليد الاجتماعي ، والاستنقاع الحضاري ، كان ولا يزال ، بسبب إخلال المعادلة بين هدايات الوحي ، ومدارك العقل وعجز وسائل التربية ، وأجهزة الدعوة والتشكيل الثقافي ، عن إحداث التفاعل بين الإنسان والإسلام ، أو بين الوحي والعقل ، وعجز العقل المسلم بسبب تشكيله التربوي الخطأ عن رد الأمور المستجدة إلى قيم الكتاب والسنة للاهتداء بها (حسنة ، 1414هـ، ص22-24)

وفي هذا الإطار ذهب البعض إلى أن التخلف الاجتماعي هو الفشل في تبني أنماط جديدة من الفكر والسلوك العقلاني، والذي من المفروض أن يقود المجتمع إلى وضع أفضل، ومن ثم يؤدي ذلك الفشل إلى الجمود، وبالتالي يصير هذا المجتمع ذيلا للأمم عند نقاط معينة من التصورات اللاعقلانية واللافكرية التي لا تفيده، بل تضره، طبقا للتحركات والتغيرات التي تحدث في الأماكن الأخرى من العالم، ويسبق ذلك الفشل قصور في الإمكانيات المادية والمعنوية، مما يؤدي بدوره إلى عدم توفر الخير الاجتماعي للمواطنين، وبالتالي يفتقد المجتمع الوسائل الكفيلة بالقضاء على التخلف ( الجوهري، 1999م، ص18 ).

والمجتمع المتخلف ليس موسوماً حتماً بنقص في الوسائل المادية الأشياء ، وإنما بافتقار للأفكار ، يتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه ، بقدر متفاوت من

الفاعلية ، وفي عجزه عن إيجاد غيرها وعلى الأخص في أسلوبه في طرح مشاكله ، أو عدم طرحها على الإطلاق عندما يتخلى عن أي رغبة ولو مترددة بالتصدي لها " ( ابن نبي ،1986م، ص 63 ) وهو بهذا المعنى يتضمن ضعف القدرة على الإضافة للتقدم الحضاري، سواء أكان هذا لعدم وجود القدرة على الرقي أصلا، أم لفقدان تلك القدرة بعد وجودها .

## المبحث الخامس: العلاقة بين التخلف الاجتماعية وبقية أنماط التخلف .

إن دراسة الباحث للتخلف الاجتماعي تنطلق من المفهوم العام للتخلف ، ويجدر بها أن توضح العلاقة بين التخلف الاجتماعي وبقية أنماط التخلف الاقتصادي والسياسي ، والتبعية الشاملة أيضا:

**أولاً: العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتخلف الاقتصادي .**

رأى عدد من الباحثين أن التخلف حالة تطلق على الدول التي تعاني مشكلات اقتصادية واجتماعية خاصة، ويتزايد عدد السكان في تلك الدول، مع قلة الحلول الممكنة لمواجهة المشكلات الموجودة، ويرى بعض أنصار هذا الاتجاه أن تلك المشكلات التي عمقت التخلف نتجت في المقام الأول من التبعية والاستعمار من قِبَل الدول المتقدمة للدول المتخلفة، وقد ساد إثر ذلك المجتمعات المتخلفة الفقر ، والحرمان ، والحياة المتعسرة في المناطق الزراعية ، ونقص المصانع ، والمواصلات ، والمؤسسات التعليمية، والعلاجية(بسيوني ،1981م، ص142).

إن المتتبع لإشكاليات التنمية الاقتصادية ، يجد أنها نتيجة طبيعة لسلوك اجتماعي متخلف ومن ذلك:

" ضعف مستوى القوة البشرية من حيث المهارة والفن الإنتاجي والدقة في العمل ونظامه، ومن حيث الحوافز نحو العمل والقدرة على التكيف مع التغيرات التكنولوجية المعاصرة، والتعليم الفني والهندسي والعالي في أنواعه المختلفة بوجه عام هو الملجأ الوحيد لمواجهة متطلبات التنمية في هذا المجال، وذلك إذا أحسن تحديد أهدافه، وصياغة برامجه ومناهجه الأكاديمية، وبرامجه ومناهجه العملية، وإذا ما أعد له المدرسون، وأعدت له المدارس المرتبطة بمجالات العمل والإنتاج التقني المعاصر في الحقول والمزارع، والمصانع وبيوت المال والخبرة، ومؤسسات التجارة وغيرها" (الكاشف ، 2007م ، ص24-25)

وقد أكد علماء الاجتماع أهمية العلاقة بين التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، فيرتبط الأداء الفاعل لبرامج ومشاريع التنمية بتغيير القيم ، والاتجاهات بما يخدم توجهات التنمية ، ويحقق أهدافها ، كما حذر العديد من الباحثين من الدور السلبي لبعض القيم والاتجاهات ، في إعاقة المشاريع التنموية ، وركزوا على أهمية تغيير النسق القيمي بما يتفق وخدمة مشاريع التنمية ، ويتطلب هذا الأمر إحداث تغيير وتطوير في النظم التعليمية ، وتعديلاً في الاتجاهات القيمية من خلال التربية .

لذلك" فإن الإستراتيجية السليمة للتنمية الاجتماعية ينبغي أن تقوم على أساس التكامل والتوازن بين كل من التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية أي بين رأس المال الاجتماعي ورأس المال المادي وبهذا تسهم التنمية الاجتماعية في استكمال وظيفة التنمية الاقتصادية تحقيقاً لمبدأ التنمية الشاملة " ( ناصر ، د ت ، ص 204)

وبرغم تقدم الأبحاث ونضجها في هذا الشأن ، فقد بيّن في كثير من الأحيان نقاط الالتقاء والتقاطع بين مختلف المحكات والمنطلقات ، بحيث انتهى المحك الاقتصادي بأصحابه إلى المحك أو المنطلق الاجتماعي ، مبينا لا جدوائيته ما لم تؤخذ البنى الاجتماعية والوضعية الاجتماعية بشكل عام بعين الاعتبار. وحيث أن المنطلق أو المحك الاجتماعي بدوره ، انتهى بأصحابه إلى ضرورة تجاوز العوامل الداخلية إلى العوامل الخارجية " فالتغير الذي يطرأ على أحد الجانبين المادي أو البشري لا بد وأن يؤدي إلى إحداث تغييرات متتالية في الجانب الآخر . فمثلاً التغير في الجوانب الاقتصادية يؤثر في التعليم والصحة والإسكان وغيرها ، وكذلك التغير في الجوانب التعليمية يؤثر على بقية الجوانب وزيادة كفاءة الفرد وقدرته الإنتاجية ورفع مستوى معيشته " (ناصر ، د ت ، ص205)

وهناك العديد من العوائق التي تسبب التخلف الاقتصادي ، وهي بالأصل ناتجة عن تخلف اجتماعي " فمن هذه العوائق ما ترتبط بالعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، فما نجده من تخلف في عادات الاستهلاك وفي عادات الاستثمار، وفي عادات الادخار ، وتكوين رءوس الأموال، وما نجده من انخفاض مستوى الوعي الاقتصادي بوجه عام ، يعتبر من الأمور النفسية والاجتماعية ، والثقافية والفكرية قبل كل شيء، وهي في حاجة ماسة إلى نوع من التربية التي تبني الشخصية والثقافة والفكر بناء حضارياً يفي بكل متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة في المجتمع" ( الكاشف ، 2007، ص 24)

والدفعة القوية التي تحدث في المجال الاقتصادي ، والتي لا تصاحبها دفعة مماثلة في المجال الاجتماعي تترتب عليها هوة ثقافية كبيرة ، وأزمات ضخمة أقل أضرارها مقاومة التغيير الذي يحدث في الجوانب الاقتصادية، ووضع العقبات والعراقيل عن طريق هذا التغيير بشكل يهدد نجاحه ، ويضعف من فعاليته بالإضافة إلى ذلك فإن التنمية الاقتصادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتنمية الاجتماعية، فعلى سبيل المثال تتطلب الخطط الاقتصادية من خطة التعليم القوى البشرية المدربة، وتتطلب من خطة الإسكان أن تعمل على سد الحاجات السكنية للعاملين في مواقع العمل وكذلك بالنسبة لباقي الخطط الاجتماعية المختلفة .

إن عددا كبيرا من الباحثين ، والمهتمين لا يزال يميل إلى ربط التخلف بهذا الجانب أو ذاك من جوانب الحياة الاجتماعية ، وهذا ما أنعكس على مفهوم التخلف بشكل عام . فالاقتصاديين يرون أنه حالة من الفقر والعوز وانعدام للتقنية ، واستغلال سيئ للثروات والموارد الطبيعية ، ولدى علماء الاجتماع يعتبر حالة من التكلس الاجتماعي ، والتقليد وهكذا ، وينتهي كل من المنطلق الاقتصادي

والاجتماعي إلى تقرير : أن جوهر التخلف بمفهومه الشامل : بنية اجتماعية تتسم بالعجز والضعف ، والتسلط والرضوخ " وفي نفس الوقت أصبح من المعروف لنا أن التنمية الاقتصادية يجب أن تعتمد في نجاحها وتحقيق أهدافها القريبة والبعيدة على نماذج معينة ومؤكدة من عمليات التقدم الاجتماعي ، وأوضح ذلك بالقول التالي : إن التنمية الاقتصادية لا يمكنها أن تتقدم خطوات بعيدة في سيرها ، مع تغلب ظواهر الأمية والسلبية " ( العبادي ، 1415هـ، ص 66)

ولما كانت التنمية عملية اجتماعية ، متعددة الجوانب متشعبة الأبعاد فإن التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية هما وجهان لعملة واحدة – إذا جاز هذا التعبير – فهما يحققان هدفاً واحداً كما أن كلاً منهما تعتمد على الأخرى وتؤثر فيها ، فالتنمية الاجتماعية ضرورية للتنمية الاقتصادية حيث تدفع عجلتها وتضمن نجاحها واستمرارها ، وفي الوقت ذاته تعتمد عمليات النمو الاقتصادي في الدول المتقدمة على المهارات الإنسانية أكثر من اعتمادها على رأس المال " ( شفيق ، 1998م، ص 9).

**ثانياً : العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتبعية الاجتماعية .**

عند تحليل مفهوم التخلف حاول البعض الدمج بين التخلف كظاهرة اقتصادية ، وبين الاستغلال والاضطهاد والتبعية كعناصر أساسية مرتبطة بالتخلف الاجتماعي ، وقد رأى هؤلاء أن التخلف هو تبعية ، يتوقف بمقتضاها اقتصاد دولة ما على تطور واتساع اقتصاد دولة أخرى، غير أن هذا الارتباط ارتباط عكسي؛ بمعنى أن النمو الذي يتحقق في الدول التابعة يصير مُحَ قًّا أساسيا لأهداف الدول المُسْتَغِلة المسيطرة، وغالبا ما يرتبط ذلك بتقسيم العمل الدولي، ويؤدي ذلك بالدول المنعوتة بالتخلف إلى الخضوع للاستنزاف والاستغلال، ويترتب على ذلك أن تمارس الدول المتقدمة سيطرة واضحة ، وخاصة فيما يتعلق بالتكنولوجيا والتجارة ورأس المال، بل وكل ما يتعلق بالبناء الاجتماعي "وينبني على ذلك تقسيم تعسفي تتمكن فيه الدول المسيطرة من تحقيق معدلات مرتفعة من التنمية الاقتصادية، في الوقت الذي تعجز فيه الدول التابعة المُسْتَغَلة عن تحقيق التنمية الذاتية التي تنشدها، ومن ثم تظل في بؤرة التخلف، الذي يزداد باطراد مع اتساع البون بينها وبين غيرها من الدول المتقدمة"( محمود، 1982م، ص ص316، 317).

لكن رأياً مغايراً يرى أن من ينظر بتمعن في التقدم الغربي سيصفه بالتخلف، لأنها بعيدة بأوضاعها، وأجوائها عن الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان ؛ فبينما وتائر الإنتاج المادي في تصاعد، إذ بالإنسان يمعن في الارتكاس حتى وصل إلى هذه الصورة البائسة التي يُرى عليها اليوم من تمزق وانحلال وعبثية عمياء " إننا نصف الأمة الإسلامية بالتخلف ونحن على يقين أن من أهم

أسباب تخلفها الجري وراء نموذج الغرب، ومحاولة الاقتداء به والسير في ركابه ورؤية الحياة كما يراها هو، والاصطباغ بصبغته المادية... إن في مجتمعنا العربي الإسلامي أزمة، لا بل أزمات يعبر عنها في الممارسات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والتربوية والخلقية، وتأخذ طابع الازدواجية في السلوك، والانحراف شبه الكلي عن أصالة المبادئ والقيم التي تنتمي إليها الأمة " ( مسعود ، 1419هـ، ص 145-146)

ومن ثم فإن الظواهر الاقتصادية و الاجتماعية ، والثقافية للدول المتبوعة تنسحب على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ، لأكثر المجتمعات النامية بسبب علاقة التبعية التي تربط دولها بالدول المتقدمة صناعيا ( الجوير، 2009م ، ص 53) .

لذلك فإن التنمية في الدول الخاضعة للتبعية ، تكون محكومة بإرادة الدول المتبوعة ومصالحها مشروطة بإرضائها " فالتبعية قد لا تحقق أي قدر من التنمية ، بسبب القيود المتعددة التي تحفظ للدول المتقدمة السيطرة وتزيدها ، وتسمح للسيطرة التي تمارسها أن تلجم احتمالات التصنيع والتنمية في بلدان التخوم . ولعله بسبب تلك القيود والسياسات والإجراءات التي تتبناها بعض الدول المتقدمة ، فإن محصلتها تؤدي إلى تخلف وليس إلى تنمية " ( عبد الرحمن ، 2003م، ص 48)

ولا ينحصر الاختلاف في السمات الاجتماعية بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة على المؤشرات الاقتصادية بل يتعداها إلى الخصائص الاجتماعية السلوكية " ففي الدول المتقدمة تسود قيم المؤسسات والأداء ، بينما تكون الشرفية للأشخاص في بعض الدول النامية ، كما تتباين قيم العمل دوافع وحوافز العمل والحراك الاجتماعي والدين وقوة الصفوة الاجتماعية " (صادق ، 1986م، ص34)

إن مرحلة التقدم ليست خاصة بأمة دون أخرى وليست حكراً لمجتمع دون آخر كأن يكون الغرب مثلاً المتزعم للحضارات دون غيره لكن الواقع يحكي أن بعض الأفراد في المنطقة العربية والإسلامية يمارس التبعية بأشكال مختلفة ومنها : ترديد ما ينتجه العقل الغربي والتسليم بالفرضية المتغطرسة التي تزعم أن الغربي كان دوماً منبع الحضارة فهو يجري التاريخ ويخطط مساراته ، ويصنع أحداثه ومنجزاته وهو الآن يقرر نهاياته (الكيلاني ، 1430هـ، ص21)

ولقد أكد ( أسد، 1430هـ) أن " التقليد الفردي والاجتماعي من المسلمين لطريق الحياة الغربية هو – بلاشك- أكبر خطر يهدد وجود ( أو بالأحرى حركة بعث) الحضارة الإسلامية . وأصل

هذا المرض الثقافي – ولا يمكن أن نسميه بغير ذلك– يعود تاريخياً إلى عدة عقود ماضية ، ويرتبط بقنوط المسلمين الذين نظروا إلى القوة المادية والتقدم الصناعي للغرب وقارنوه بالحالة المؤسفة لمجتمعهم "( ص85) .

ولعل مظاهر التبعية تنتج عقلاً جمعيا متخلفاً قاسياً حيث تتحول من مرحلة الإعجاب والانبهار إلى مرحلة التطبيق "ومن مظاهر التبعية المشار إليها قضية المختصين والعاملين في بعضمؤسسات الأقطار العربية والإسلامية حسب الأمكنة التي جرى تعليمهم فيها بحيث يحتل خريجو معاهد الغربية – مكانة وتوظيفاً – المنزلة الأولى ولو كانوا لا يحملون إلا كرتونة الشهادة" (الكيلاني ، 1430هـ،ص21)

إن مفهوم التخلف يتضمن أو يفترض وجود نموذج يجسد التقدم وآخر متخلف عنه، ومن هذا المنطلق نجد كثيرًا من الكتاب والباحثين الذين أثاروا قضية تخلف بعض أفراد المجتمع العربي المسلم، يرون أن هذا المجتمع متخلف بالنسبة للمجتمع الغربي وقد خضعوا في نظرتهم تلك، للمقياس الذي أشاعه الغرب للتقدم والتخلف، وهو اعتبار نموذجه ممثلاً للتقدم، واعتبار نماذج بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية نماذج التخلف، ولم يقصر ذلك على الجوانب التقنية والعلمية والصناعية ومستويات المعيشة، وإنما مدها إلى القيم والأخلاق ومكونات الشخصية، فاعتبر نموذجه معيار التقدم وأخذ يقيس عليه النماذج الأخرى، التي ستعتبر متخلفة بالضرورة ما دامت وحدة القياس هي النموذج الغربي (مسعود ، 1419هـ ، ص144).

ولا يقصد الباحث بالتبعية الاجتماعية ؛ أن الشعوب المتخلفة مسلوبة الإرادة "ولكنها إرادة مقيدة بحركة عصر سريع الإيقاع تلهث الشعوب خلفه في محاولة لمعايشته باستكمال مظاهر حياتها ظناً منها أن ذلك طريق الحضارة وجوهرها تشتري المنتجات الحضارية لتتزين بها، وتتباهي وتتبهرج دون أن تعاني مشاكل إنتاجها وصيانتها ، فتهون عليها قيمتها ، ولا تعرف كيف تتعامل معها " ( سفر ، 1410هـ، ص68)

لقد تعددت مظاهر التبعية الاجتماعية للغرب ، ولعل أبرزها اللباس أو الزي برغم أنه شيء خارجي بحت إلا أنه يسهم في التأثير بشخصية المقلد " وبتبني لعض المسلمين اللباس الغربي عوضاً عن لباسه هو ، فإنه لاشعورياً يتبع الذوق الغربي عوضاً عن ذوقه ، ويلوي ذاته الفكرية والأخلاقية حتى تناسب – في النهاية – اللباس الجديد ، وبهذا يرفض جزءاً كبيراً من الإمكانات

المتاحة لقومه ، يرفض أذواقهم التقليدية ، ويرفض تقييمهم للجمال ، وما يحبونه ومالا يحبونه ، ويقبل مظهر الخنوع الفكري والأخلاقي لحضارة أجنبية " (أسد ، 1430هـ ، ص 88).

لذلك فإن التبعية هي في حقيقتها نوع من الاستخذاء والاستجداء ، والشعور بالضعف والدونية " حيث يشعر التابع بالدونية ، والحاجة إلى المتبوع ، حتى أنه يرى نفسه ، ويقومها من خلال مقولات المتبوع عنها ، ومن خلال معاييره ، وهذا وحده كاف لتعطيل ىلية التفكير لدى التابع ، وجعله يشعر بالنقص في استقلاليته وكرامته " ( بكار ، 1420هـ، ص 309) .

ومشكلة التخلف الاجتماعي تكمن في أن المجتمع لا يزال غير قادر على تشخيص علاجه حيث"أن محور الأزمة في حياة بعض الأجيال العربية والإسلامية الحاضرة هي عدم النضج ، والبقاء نفسيا وعقليا في مرحلة الاعتماد على الغير ، وعن هذه الحالة تنتج مضاعفات تتمثل في عقدة الانبهار بالغرب وفقدان الاستقلالية في الفكر والتفكير ومضاعفة ذلك في التبعية التي أزمت وما زالت تستعصي على العلاج " ( الكيلاني ، 1430هـ، ص20) .

وما يكرّس التبعية ويزيف الوعي ويزيده تغيبياً ، هي تلك الأفكار والقيم التي تدعو إلى العصرنة والتحديث دون الرجوع للأصالة الإسلامية ، وهذه الثقافة تدفع إلى تقبل التنمية الرأسمالية الغربية على علاتها ، وتبرزها وكأنها الأكثر ملاءمة لواقع الشعوب العربية والإسلامية ، لذلك يجب – في نظر هذه الأفكار – تقليدها والتباهي بها ، لقد آن للأمة أن تكسر طوق التبعية الذي يلتف حول إرادتها ، وأن تبعد الارتباك عن أعمالها ، وتحدد أولوياتها ، وتعيد لمفاهيمها وقيمها الراسخة على ثوابت الإسلام ومنطلقاته ، لتبصر بذلك طريقها الصحيح كما شرعه الله وتستقيم عليه " على الأمة أن تدرك أن نظم الحياة ترتبط ببعضها ، ولا يمكن أن تعالج نظاماً منها بعزله عن الأنظمة الأخرى ، فلو وفرنا للفرد السوي المؤهل القادر على العطاء الجو المناسب للعمل المبدع ، وحققنا له الإمكانات المادية ، فإن تفاعله الرائد يبرز ، وقدرته الفائقة تترى " (سفر ، 1426هـ، ص 173)

لقد مرّت على العالم الإسلامي فترة من الركود ، فوثب بعض المسلمين إلى استنتاج سطحي خالص يتلخص في أن النظام الإسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم ، ولذا يجب أن يحوّر حسب الأسس الغربية ( العقل، 1414هـ، ص 87) فكانت هناك بلداناً إسلامية في العصر الحديث طبقت خطط التنمية الغربية دون أن تقوم بخطوات حضارية مسبقة لعلاج مشكلاتها

التي تختلف من بلد إلى بلد وبعض هذه البلدان ظنت أن التقدم يأتي بتقليد النظام الاجتماعي والحضاري الغربي في كل شيء ، فبدأت بتنفيذ الجانب الثقافي والمظهر الاجتماعي ، فانتهى الأمر إلى زعزعة كبيرة في الحياة الاجتماعية .

**ثالثاً : العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتخلف السياسي .**

يرى عدد من الباحثين أن التخلف في مفهومه العام هو "عدم التطابق أو التقارب بين النظام السياسي والممارسة له من جانب، وبين نظام القيم في المجتمع من جانب آخر، وحيث إنه لم يعد من الممكن الحديث عن أفضلية نظام للقيم على آخر ، فمن الطبيعي أنه ليس من الدقة العلمية الحديث عن أفضلية نظام سياسي معين على غيره من النظم، ورغم ذلك، فلو اقتصر على عالمية وإنسانية نظام القيم، حيث الديمقراطية هي القيمة العليا، يصير الحديث عن التخلف السياسي بمعنى علاقة واقع سياسي معين بقيمة الديمقراطية، ولكن التخلف هنا يتصف دائما بالنسبية، إنه مرحلة من مراحل التطور، سواء كمقدمة للانطلاق، أو كتعبير عن الشيخوخة "(معوض، 1982م، ص187 ).

والجسد الذي أصابه الخلل، وأخذت تموت خلاياه له دواء، كذلك الجسد الاجتماعي الذي أصابه الخلل، وبدأ أفراده يموتون الموت الاجتماعي ، له دواء أيضاً، ولقد ضرب مالك بن نبي مثلاً لمظاهر المجتمع المريض الذي يتجسد مرضه في قادته؛ حين يحاولون أن يثبتوا شخصياتهم، بأن يلبسوا الطربوش مثلاً في المجتمعات الدولية "وفي عصر شاع فيه الأسلوب العالمي بتأثير امتداد الحضارة الغربية التي وضعت طابعها على العالم كله، يصبح من المضحك في عصر كهذا أن نلفت النظر إلينا بطابع من طوابع القرون الوسطى" (سعيد ، 1404 هـ ، ص 7) .

ومن المغالطات التي وردت في دراسة ظاهرة التخلف السياسي أن البعض يتحدث بأنه ليس من الدقة العلمية الحديث عن أفضلية نظام سياسي معين على غيره من النظم، كما ورد في الفقرة السابقة لكن الباحث لا يؤيد هذا الرأي ، ذلك أن النظام السياسي الإسلامي هو أفضل النظم، حيث يقوم على مبادئ سامية راقية لا يضاهيها أي نظام سياسي آخر لعل أبرزها نظام الشورى ، لكن حدث الخلل في المجتمع الإسلامي بسبب عدم تطبيق هذه المبادئ.

لذلك فإن التربية الإسلامية مطالبة بأن تخرج جيلا جديدا من المصلحين والمفكرين ل تتبع مسار التخلف بكافة أشكاله وصوره المنتشرة في المجتمعات العربية والإسلامية " ولعل النظر العلمي الموضوعي يكشف أن مسار الانحراف في الأقطار العربية يبدأ من المظهر السياسي وينتهي في

المظهر الاجتماعي ، أما في الغرب فالمسار يبدأ من المظهر الاجتماعي وينتهي في المظهر السياسي " ( الكيلاني ، 2005م، ص188) .

والمجتمعات تميل بطبيعتها إلى الركود ، فالحالة الاجتماعية تعبير عن قوة التوازنات الثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية السائدة في المجتمع ، ومن ثم فإن المجتمع لا يتغير لا يتغير إلا إذا حدث تغير ملموس في هذه التوازنات " والأفكار تظل محدودة القيمة على الصعيد الاجتماعي العملي ما لم تحدث تغييراً في مؤسسات المجتمع ونظمه ، فعلى سبيل المثال ، فإنه إذا ساد المجتمع نوع من الخوف من المستقبل وعدم الاطمئنان إليه ، فإن الحل لا يكمن في دعوة الناس إلى الاطمئنان ، وإنما في إنشاء أوضاع اجتماعية يشعر معها الناس بالأمن عن طريق تقوية الإيمان بالله ورحمته بخلقه ، وعن طريق تدعيم العلاقات الاجتماعية والقرابية وإنشاء بيوت لرعاية كبار السن " (بكار ، 1420هـ، ص244) وهذا الدور يجب أن تقوم به الحكومات العربية والإسلامية أو أن تهيئ لقيام مؤسسات مجتمع مدني تقوم بهذه المراكز والإدارات الاجتماعية .

والتجربة الإسلامية في الماضي والحاضر ، تنطق بأن النصر الحقيقي الذي افتتحت به الحضارة الإسلامية انطلاقها ، كان على مستوى النفوس ، بتحريرها من حب الدنيا ، ومن الطموحات الصغيرة ، كما كان على مستوى العقول بتحريكها وتشغيلها ، وفك إسارها من أغلال الخرافة والوهم والتقليد ، ولم يكن التغيير الذي طرأ على النظام السياسي حين أسقطت منه الشورى ، وممارسة الأمة لحقها في الولاية على نفسها استجابة لتطورات سياسية واجتماعية ، وإنما كان صدى لتراجع تأثير الإيمان في صياغة الشخصية ، وتوجيه السلوك ( بكار ، 1426هـ، ص 181) .

مما يعني أن التخلف الاجتماعي مرحلة تسبق التخلف السياسي، فالناس ليس لديهم استعداد لتغيير أنفسهم ، وعاداتهم ، إلا إذا شعروا بحاجة لذلك ، ولن يكون مجدياً إصدار قوانين وتشريعات على الناس إلا إذا أدركوا حاجتهم للتغيير ، و تأثيرات التخلف الثقافي في الفضاء الاجتماعي، تشمل مختلف المجالات والحقول حيث إن الواقع السياسي يتأثر بالتخلف الثقافي، بمعنى أن كل مشروعات التحديث والتطوير السياسي، بحاجة دائما إلى وعي ثقافي قادر على استيعاب خطوات وإجراءات التحديث السياسي. ومن المؤكد أن التخلف الثقافي يعرقل عملية الاستيعاب والهضم والتكييف .

فالتخلف السياسي يرتبط بالتخلف الاجتماعي في التناقض بين المقاصد التي يطمح إليها الأفراد ، وبين الواقع البعيد عنها أو غير المنسجم معها، وذلك لأن الواقع الذي يعيشونه محبط وسيء

، كما أن طموحاتهم لم يعد يعبّر عنها هذا الواقع المرير ، وكذلك يعبر التخلف السياسي عن فشل بعض الساسة المسلمين في تبني مبادئ سياسية ، فيها عناصر النمو والقوة للأمة العربية والإسلامية ؛ ذلك أن الزعامات تمثل بقدر كبير ، وفي كل وقت العناصر الإيجابية في الحركات الإصلاحية التي تجعل الشعوب تنعتق من رزايا التخلف ، فأصبح هناك تناقض بين ما يريده القادة ، وبين ما تطمح إليه العامة ( محمود ، 1982م، ص316– 317).

وحقيقة الفكر السياسي الحديث في بعض بلدان العالم الإسلامي متنافر " فهو اقتباس لا يتفق وحالة ذلك العالم ، والمسلمون في هذا الميدان أو في غيره من الميادين لم ينقبوا عن وسائل لنهضتهم ، بل اكتفوا بحاجات قلدوا فيها غيرهم ، وأشكال جوفاء إلا من الهواء ، بينما ليست حاجتنا أن نجمع العناصر لنكون منها تلفيقاً، وإنما نوجد بواسطة منهج يقوم على التحليل ، العناصر الأساسية التي تسهم في خلق تركيب حضاري قائم على : الإنسان والتراب والوقت " ( ابن نبي ، 1986م، ص 97)

من هذا المنطلق قام أحد الباحثين بصياغة نظرية مراحل الدولة ، والتي يعني بها وقوع الدول المتخلفة في المراحل البدائية الأولى ضمن المراحل الخمس التي تمر بها الدول في طريقها إلى التقدم، بناء على فكرة مؤداها أنه يمكن لأي مجتمع أن يصل إلى التقدم شريطة أن يمر بمراحل خمس حدد لكل سماتها :

**فالمرحلة الأولى:** تمثل المجتمع التقليدي، الذي يتسم بالتخلف العلمي والفني، وغلبة الطابع الزراعي، مع انتشار التقاليد الجامدة . **والمرحلة الثانية:** هي مرحلة التهيؤ للانطلاق، وفيها يتجاوز المجتمع قليلا حالته التقليدية وينتشر التعليم ولكن بصورة محدودة، كما يظهر أفراد يتصفون بروح الإقدام ويعملون على تعبئة المدخرات. **والمرحلة الثالثة:** هي مرحلة الانطلاق، أي الاتجاه نحو النضج، ويصل إليها المجتمع بعد ستين عاما من المرحلة السابقة، وفيها ينتج المجتمع أي شئ يرغب فيه، وتزيد حصيلة الدولة من العملات، وينمو الدخل ويصدر الفائض، وتطبق أحدث سبل الإنتاج . **والمرحلة الرابعة:** وفيها يحدث التقدم الذي تتخلله بعض العقبات، ويزيد الاستثمار، ويأخذ الاقتصاد القومي مكانة في المجال الدولي، وتحدث تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية كبيرة .

وتعد المراحل الأربع السابقة تمهيدا للمرحلة الخامسة، وهي مرحلة الاستهلاك الوفير، وفيها تنتقل الأهمية إلى القطاعات المشتغلة بالخدمات وإنتاج السلع المعمرة كالسيارات، والثلاجات وغيرها من سلع معمرة، ويرتفع متوسط الدخل الفردي، وتزيد

المناطق الحضرية، ويولي المجتمع اهتماما كبيرا بتوفير اعتمادات هائلة للرفاهية، والتضامن الاجتماعي، مع زيادة المدن ونسبة الخدمات الصحية والثقافية والإسكانية ، والدول المتقدمة وصلت هذه المرحلة بعد مرورها بالمراحل السابقة، وسبب تخلف المجتمعات المتخلفة وقوعها في المرحلة الأولى، مرحلة المجتمع التقليدي، وأن الدول المتخلفة لكي تتقدم لا بد لها من السير على نسق المجتمعات المتقدمة في مرورها بهذه المراحل؛ فمعيار التخلف والتقدم عنده متوقف على مدي ابتعاد أو اقتراب المجتمعات المتخلفة من الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لنسق المجتمعات المتقدمة، الذي يمثل غاية وهدفا ونموذجا مثاليا(عجمي ، 2005م، ص59).

والمتأمل لنظرية المراحل كأحد النظريات الغربية التي تفسر التخلف ، يبدو فيها قدر من التعصب ، شأنها في ذلك شأن أكثر النظريات الغربية المعنية بالتخلف؛ حيث تجعل النموذج الغربي هو النموذج المثالي الذي لا بد أن تحتذي به المجتمعات المتخلفة ، وقد قدم ابن خلدون هذه النظرية بنفس عدد المراحل مع اختلافات نوعية في تفصيلاتها بكل موضوعية، ومن خلال شواهد وأدلة تبرهن على صحة أقواله، من دون أن يذكر أن ما ذهب إليه هو النموذج والمثال الذي ينبغي أن يحتذى به ، حيث ذكر بأن حالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار:

**الطور الأول:** طور الظفر بالبغية، والاستيلاء على الملك، وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها . **والطور الثاني:** طور الاستبداد ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال، واتخاذ الموالي والصنائع . **والطور الثالث:** طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشرية إليه، من تحصيل المال وتخليد الآثار ، وتشييد المباني الحافلة، والمصانع العظيمة،

**والطور الرابع :** طور القنوع والمسالمة، ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما بنى أولّوه مقلدا للماضين من سلفه؛ فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل، ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء، ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره . **والطور الخامس:** طور الإسراف والتبذير، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن ، ولا يكون لها معه برء إلى أن تنقرض"( ابن خلدون، د ت ، ص ص157، 158).

" والحقيقة أن ابن خلدون ، وإن يكن شبّه الحضارات بأعمار الناس ، ولكنه لم يقرر حتمية غروبها ، كالحتمية الثابتة لغروب أعمار الناس ، بل أسند كلاً من نشأتها وقوتها وضعفها إلى أسباب داخلة في

اختيار الناس ، وخاضعة لما من شأنهم أن يملكوه من طاقة وتصرف وجهد " (البوطي ، 1401هـ، ص 43) .

وعلى ضوء ما سبق فإن التنمية المستقلة " هي عملية تحرر اقتصادي واجتماعي وسياسي للوطن والمواطن ، فهي تستهدف تحرير الطاقات الكاملة للمواطنين ، وإطلاق قدراتهم المحبوسة على العطاء والإبداع ، وتحرير قوى الإنتاج من القيود المؤسسية والعلاقات الطبقية ، التي تحول دون انطلاقها ، وتحرير إرادة المجتمع ككل من الاستغلال ومن الضغوط الخارجية ، لذلك فإن السلطة السياسية يجب أن يكون بيد أفراد المجتمع المتضرر من قوة الإنتاج " (العيسوي ، 2001م ، ص 27)

والمتأمل في ملامح المجتمع الإسلامي في عصور تفوقه وتقدمه ، يشاهد اعترافهم بحرية الإنسان العقدية والفكرية " والتي كان لها دور عظيم في التقدم الحضاري والتنمية الاجتماعية ، بحيث استطاع كل فرد من المجتمع الإسلامي ، أن يؤدي دوره دون رقيب أو عائق مهما كان نوعه ، وإن ملايين المخطوطات في شتى العلوم والفلسفات والآداب والفنون المنتشرة في مكتبات الشرق والغرب لدليل واضح على الإنجاز الحضاري " ( عبد الحميد ، 1416هـ، ص80) وهذا شاهد إثبات بأن النظام السياسي كان يوفر الحرية للمجتمع فأبدع مفكروه وأنتجوا ووصلوا إلى مجتمع متقدم في جميع المجالات.

**رابعاً : العلاقة بين التخلف الاجتماعي والسنن الكونية .**

تنبع نظرية السنن الاجتماعية من منطلق أن الكون بما فيه من مظاهر مادية ، وإنسانية دقيقة وهائلة ،لا يمكن أن يكون محض صدفة واتفاق، وإنما هو من تدبير إله عليم حكيم، وما يصدر عن العليم الحكيم ، كله تصرفات حكيمة متناسقة خاضعة لقوانين محكمة .

وإذا كان الفرد قد تمكن من فهم كثيرا ، من القوانين المادية والسنن الطبيعية ، التي تتحكم في الكون والطبيعة ، كما استطاع أن يخضع كثيرا من هذه القوانين إلى المنهج العلمي التجريبي، فإنه لا يمكن أن يكون على معرفة صحيحة بالقوانين التي تحكم البشر والعمران والحضارات والأمم إلا عبر الوحي ، يقول الله تعالى " يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ( الروم ، الآية : 7)

وتصل عناية القرآن الكريم بهذه القضية إلى حد النكير على أولئك الذين لا يستعملون وسائلهم المعرفية الخلقية في معرفة هذه السنن والاستفادة منها في الحياة العملية إصلاحا لأي خلل وضمانا لصواب المستقبل، كما في قوله تعالى " أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ " ( الحج ، آية : 46) و طلب السير في الأرض ، والنظر في العواقب والمآلات ، وهذا من الفروض الكفائية التي تفضي إلى التبيّن ، والتبصر والاهتداء إلى السنن الاجتماعية في السقوط والنهوض، واختزال التاريخ الإنساني وتحقيق الاعتبار ، وإضافته إلى عمر الأمة المسلمة وتجربتها لتحقق بذلك الوقاية الحضارية وتتعظ بأحوال السابقين ( الإدريسي ، 2010م)

والمجتمع وأحواله تهدي إلى معرفة السنن الاجتماعية، فبمعرفة هذه السنن يكون الإنسان على بصيرة من أمره فيما يقدم عليه أو يذر، ويتعظ بالعظات التي تحفظها صفحات التاريخ، فما من شك أن خاصية العقل في الإنسان إذا لم يغلبها عامل الهوى، تدفعه إلى التعلم من أخطاء الآخرين، والاستفادة من تجارب الماضين، والعمل على تراكم الانجازات في المجال الاجتماعي والسلوك البشري وتقليل الإخفاقات ، وذلك بغرض تجنب سقوط محتم إذا ما تم الذهول عن السنن الاجتماعية في الكون .

إن لله عز وجل سننه الاجتماعية في المجتمعات الإنسانية ، من حيث نشأتها وضعفها وقوتها التي لا تتخلف نتائجها عن مقدماتها، ولا تنفك أسبابها عن مسبباتها ، كما قال سبحانه " سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ " (الأحزاب ، الآية :62) وقد جعل الله سبحانه الظلم سببا لخراب العمران وضعف الأمم، وسقوط المجتمعات الإنسانية وما كان الله ليهلك أهل القرى بسبب الظلم ، ما داموا مصلحين بإقامة العدل والحقوق فيما بينهم والإصلاح في شئون حياتهم ، ولهذا لم يهلك الله سبحانه كل من أشرك به ، حتى يزيد على ذلك الفساد في الأرض بالظلم والطغيان ، كما أهلك فرعون وثمود وعاد بطغيانهم ، وعتوهم وقوم شعيب بتظالمهم في الميزان فيما بينهم ، وهذا معنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ويخذل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة ( المطيري ، 2003م)

ومن السنن الإلهية الاجتماعية أن جعل الله مناط ذلك كله بمن يملك القدرة على تحقيق الإصلاح وإقامة العدل أو ضدهما من الإفساد والظلم وهم الملأ و أهل الحل والعقد أي من بيده السلطة والدولة لا عامة الناس ، إنّ سنة التغيير في القرآن الكريم سنّة عامة ، تنطبق على كل البشر و لا تستثني المسلمين بدليل أن كلمة قوم نكرة تدل على العموم فالتغيير يستلزم النظر إلى المشكلة كمشكلة مجتمع، و حين تكون سنة التغيير سنة مجتمع لا سنة فرد فهي تحتاج إلى مجتمع يطبق عليها كي يؤتي النتائج المرجوة، وهذا يحتاج إلى وجود فئة من العقلاء تبحث في مشاكله و حلولها.

وسنة التغيير سنة دنيوية لا أخروية حيث أن المحاسبة في الدنيا تكون جماعية عكس الآخرة حيث لا تزر وازرة وزر أخرى، أما المسؤولية الجماعية ، فقد قال تعالى فيها " وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ " ( الأنفال، الآية : 25) حيث أنه تنزل المصيبة أو تحل النعمة بالأفكار السائدة في المجتمع فقد يسعد أفراد مقصرون في المجتمع السليم و العكس صحيح أيضا ، فالمصدر الأساسي في ذلك هو العقيدة العبثية في الوجود و الكون" أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ " (المؤمنون:115).

والسنن الاجتماعية تنطبق على جميع البشر دونما استثناء بما في ذلك المسلمين حيث أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الدين الإسلامي مادام منزلا من عند الله فهو يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية و غامضة الأسباب دون اعتبار لحالة المسلمين لحمل هم هذا الدين ، ومن الناحية الاجتماعية فإن الاستفادة من السنن وملاحظة الأمثلة والأحداث تقدم للناس بصرا ومعرفة نظرية وعملية حتى لا يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من المحاذير أو تنقذهم إذا وقعوا فيها أو على الأقل تكسبهم صلابة موقف من يدرك السنة، لأن موقف من يرى السنن يختلف عن نظر من يجهل مصدر الأحداث ، فإن حيرة وخوف من يجهل غير بصيرة وطمأنينة من يعلم (سعيد، 1415هـ، ص 173)

وقد حدد ( القريشي، 2003م) القوانين والسنن الاجتماعية في ثلاثة أنواع :

١ -قوانين وسنن حتمية، ليس للإنسان تأثيرٌ على وجودها ، ولا على فعلها وتأثيرها، ومثلها سنة شمولية العقاب الدنيوي في المجتمع ، وسنة تلازم الإيمان والابتلاء قال تعالى: " أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ ( العنكبوت الآية : 2)

2- سنن مشروطة: حيث يترابط فيها الشرط والجزاء، وذلك في إطار حادثتين، فيتحقق الجزاء كنتيجة محتومة لتحقق الشرط كما في قوله تعالى " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ " ( الرعد، الآية : 11) والسنة الشرطية مرتبطة بإرادة الإنسان وفعله.

٢ -سنن الاتجاهات العامة الموضوعية في حركة التاريخ والمجتمع، والتي تمتاز علاقة الإنسان بها بالمرونة، حيث تقبل التحدي على المدى القصير، ولكنها لا تقبله على المدى البعيد، ذلك إن هذه السنن ستسحق في النهاية من يتحدها أو يحاول الخروج عليها. ومن أمثلتها سنن التدين قال تعالى " فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ " ( الروم، الآية: 30) فالسنن الاجتماعية هي القانون العام الاجتماعي وهي سنة الله تعالى التي تتعلق بأفعال البشر وسلوكهم، وما يترتب على ذلك من نتائج معينة في الدنيا والآخرة ، كما أن سنة الله تتسم بالثبات والاطراد والعموم وهي مطردة لا تتخلف ، ويدل على أطرادها أن الله تعالى ذكر قصص الأمم السابقة وما حل بها من اجل الاتعاظ و الاعتبار بها(ص 83) .

# الفصل الثالث

## أسباب التخلف الاجتماعي

**المبحث الأول : أسباب خارجية**

أ : العوامل الجغرافية ( المكانية)

ب : الاستعمار البشري والفكري

ج : التبعية للغرب.

د: نوع الجنس واللون

**المبحث الثاني : أسباب داخلية .**

أ : غياب الروح الإسلامية .

ب : النظام التربوي والتعليمي.

ج: جمود الفكر العربي ومرضه .

د : الإرادة السياسية .

**تمهيد :**

حاول الباحث استعراض واستكشاف الأسباب الحقيقية وراء ظاهرة التخلف الاجتماعي ، مع الوضع في الاعتبار الظروف الزمانية والمكانية التي أسهمت في حدوثها؛ وذلك للوصول إلى تشخيص دقيق وافٍ للواقع، والبحث في الماضي ثم الحاضر لاستشراف المستقبل، ثم الوصول في النهاية للحلول الواقعية الملائمة للعوامل والمشكلات التي تسببت في التخلف الاجتماعي ، دون إشاعة الإحباط في أبناء الأمة الإسلامية بانسداد آفاق المستقبل أمام محاولات الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي.

إن التخلف الاجتماعي مرض أممي يصيب أمة من الأمم تماماً كما يصاب الأفراد بالأمراض المختلفة سواء البدنية أو النفسية، لذلك فإصابة أمة ما أو دولة ما بداء التخلف ليس عيباً في حد ذاته وليس داعيا للتأفف أو الضيق من المصاب بقدر ما هو مدعاة للشفقة ، وموجب للمساعدة من أجل الشفاء. وهو عارض مؤقت يزول بزوال أسباب التخلف ، ويجب الوقوف عند هذه الأسباب ودراستها وتمحيصها وتتبع مصادرها ومنشأها ومن ثم وضع الخطط والبرامج للخروج من هذه الدائرة والانتقال إلى مرحلة تالية تكون لها أهداف محددة ومؤشرات واضحة تسمي الأشياء بمسمياتها وتحمل كل فرد في المجتمع مسئوليته المباشرة، وهو سلوك جماعي تظهر آثاره على الغالبية العظمى من أفراد أي مجتمع متخلف سواء عن وعي أو عن تقبل للأمر الواقع والأمثلة كثيرة .

إن أهم استمرار التخلف في بعض مجتمعات العالم الثالث أنها لا تحاول التعرف على أسباب تخلفها ولا التعرف على أسباب التقدم الذي أحرزه الآخرون بل تستمر في التعامي عن الأسباب الحقيقية لظاهرتي التقدم والتخلف وتبالغ في المكابرة وتلقي اللوم على عوامل خارجية ( البليهي ، 1415هـ، ص 50)

فبعض المسلمين عزّ عليهم المال فلم يجدوه ، وعزت عليهم الحياة ففقدوها ، وأبى الله إلا تصديق كلام النبي الموحي إليه حيث يقول " يوشك أن تداعى الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قيل : يا رسول الله ، أمن قلة يومئذ ؟ قال : أنتم يؤمئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفن الوهن في قلوبكم ، قيل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت " (ابن حنبل، مسند الأنصار، رقم الحديث 21810)

إن التخلف المجتمعي يؤدي إلى تخلف العمل السياسي وتقليص القدرة الإنتاجية ، والتخلف الذهني يؤدي إلى تخلف الفكر والثقافة والإبداع العلمي ، والتخلف الأخلاقي يؤدي إلى تخلف المسلكيات في التعامل العام والقيم المدنية (نجم الدين ، 1425هـ، ص59)

لقد قدم العديد من الباحثين والدارسين كثير من الدراسات التي تكشف العلل الظاهرية التي ساهمت في تردي الوضع الاجتماعي للأمة الإسلامية ، لكن كان ينقص هذه الدراسات التعمق في لب المشكل لا البحث في ظاهرها فقط " ومن الممكن أن نفحص الآن سجلات هذه الحقبة ، ففيها الكثير من الوثائق والدراسات ، ومقالات الصحف ، والمؤتمرات التي تتصل بموضوع النهضة . هذه الدراسات تعالج الاستعمار والجهل هنا ، والفقر والبؤس هناك ، ولكن ليس فيها تحليل منهجي للمرض ، أعني دراسة مرضية للمجتمع الإسلامي ، بحيث لا تدع مجالاً للظن حول المرض الذي يتألم منه منذ قرون " (ابن نبي، 1406هـ ،ص 53)

إن البحث عن الأسباب الحقيقية الدقيقة ، أو الكشف عن النظريات الملائمة للواقع لتفسير التخلف الاجتماعي في المجتمع الإسلامي أمر صعب وشاق ، ومتعذر أحيانا ذلك أن الباحثين قد حاولوا تعليل ذلك، ولكن دون جدوى من الاتفاق على أسبابٍ موحدة لدى الجميع، أو حتى على رأي الغالبية العظمى؛ ذلك أن ظاهرة التخلف بشكل عام معقدة بصورة كبيرة والتخلف الاجتماعي صورة من صور هذا التخلف، ومن الصعوبة بمكان رده إلى عوامل بسيطة، وإنما هناك عوامل معقدة متشابكة، داخلية وخارجية، قد تكون أسهمت بشكل أو بآخر في حدوثه (الفيومي، 1993م، ص443)

وحين تختلف مشارب وأفكار الباحثين والمصلحين الاجتماعيين تتمايز أيضا أطروحاتهم الفكرية وحلولهم العلاجية "ففي الوثائق نجد أن كل مصلح قد وصف الوضع الراهن تبعاٍ لرأيه أو مزاجه أو مهنته ، وقد رأى أحد المصلحين السياسيين أن المشكلة إذا كانت سياسية فتحل بوسائل سياسية ، بينما رأى رجل دين كالشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ ،على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض ، بل يتحدث عن أعراضه " (ابن نبي، 1406هـ ،ص 53)

والادعاء بأن سبب التخلف هو التشبث بالماضي ، والافتخار به " يحمل في طياته الكثير من التجني . وفي اعتقادنا أن الأمة المسلمة اليوم ، لو استطاعت أن تمثل شخصيتها الحضارية

التاريخية ، وتستوعب إنجاز السلف على مختلف الأصعدة ، لأدركت رسالتها ، واستشعرت مسؤوليتها ، وكان لها على غير ما هي عليه اليوم ، والفخر بمنجزات الأجداد دون القدرة على تعدية الرؤية وصناعة التقدم ضرب من التوبيخ لأنفسنا " (سفر ، 1989م ، ص12)

إن الدراسة المتأنية للبلدان العربية والإسلامية كما أشار ( أرسلان ، 1930م) يدرك أن هناك حزمة من الأسباب تقف في وجه التقدم الاجتماعي وبلوغ الحضارة الإنسانية لعل أبرزها الجهل الذي يجعل في المسلمين لا يفرق بين الخمر والخل ، والعلم الناقص ، الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط ، إضافة إلى فساد أخلاق المسلمين ، حيث فقدوا الفضائل التي حث عليها القرآن، والعزائم التي حمل عليها سلف الأمة ، وقد قال أحمد شوقي في ذلك صادقاً :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا (ص75)

ويسرد الباحث هنا بعض الاتجاهات ووجهات النظر التي فسرت التخلف الاجتماعي متضمنة بعض الاعتراضات على مضامينها وهي تنقسم الى قسمين :

**القسم الأول : أسباب خارجية**

**القسم الثاني : أسباب داخلية**

وتتناول الدراسة في عرضها لهذه العوامل ، الأسباب الخارجية والتي تتفرع بدورها إلى جملة من العوامل التي ساهمت في تأخير التقدم وتعميق التخلف الاجتماعي :

**المبحث الأول : الأسباب الخارجية .**

**أ : العوامل الجغرافية ( المكانية) :**

يركز أصحاب التفسير الجغرافي للتخلف الاجتماعي على الأوضاع الجغرافية والموارد الطبيعية، باعتبارها عوامل أساسية في تحديد تقدم المجتمع وتخلفه، ويُسْقِط أصحاب هذا الاتجاه من حسبانهم كافة العوامل الأخرى، ويعتبرون أنها عوامل ذات تأثير محدود أو منعدمة التأثير في إحداث التخلف، ويرى أصحاب هذا الاتجاه " أن كل البلاد المتخلفة تقع في مناطق: إما شديدة الحرارة، وإما شديدة البرودة، وإما أنها تقع في المناطق المدارية، وتتسم البلدان التي تقع في تلك المناطق بالتخلف في المجالات الزراعية، والصحية، والتعليمية، والثقافية، والاجتماعية، مع تفشي المعاناة من سوء

التغذية وانتشار الأمراض والأوبئة المختلفة، كما تتحِدُّ العوامل الطبيعية والجغرافية من نشاط الأفراد، وتوهن من قواهم، وتورثهم الكسل، الأمر الذي لا يتأتى معه أي تقدم "( شفيق، 1998م، ص26) وإن كان الباحث يرى أن هناك العديد من الدول المتخلفة تقع وسطاً بين المناخين.

وقد أرسى قواعد هذه النظرية : الألماني فريدريك راتزل في أواخر القرن التاسع عشر؛ حيث يرى أن للبيئة أثرٌ كبيرٌ في حياة الإنسان، فهو يخضع لسلطانها وتتحدد نظم حياته الاجتماعية والاقتصادية وفق ما تمليه عليه ظروفها ، كما كان من أنصار هذه المدرسة خارج ألمانيا دومولين في فرنسا الذي يرى أن البيئة الجغرافية هي التي تشكل المجتمع وأن اختلاف البيئات كان السبب في اختلاف الأنماط الاجتماعية والاقتصادية ، وذهب في تطرفه حدا بعيدا أنكر فيه على الإنسان ما أوتي من عقل وتفكير وعلم وقدرة تمكنه من الاستفادة من بيئته بطريقة معينة أو التحلل من سيطرتها. من هذا المنطلق فقد ركزت هذه المدرسة في مجال العلاقة بين الإنسان و بيئته على البيئة الطبيعية وتؤمن أن الإنسان في هذه الحالة مسير وليس مخير، وبالتالي فالتقدم أو التخلف الذي يعرفه مجتمع معين راجع إلى الظروف البيئية والطبيعية( سيف، 1994، ص28)

ويؤيد هذا الرأي حول تأثير الجغرافيا والمكان ابن خلدون، الذي ربط بين المناخ وطبائع الناس. فقد وصف أهل المناطق الحارة بالتأخر واللهو ، بينما وصف أهل حوض البحر المتوسط بالجرأة والشجاعة والمعرفة " قد رأينا من خلق السودان على العموم (الإقليم الجغرافي وليس الدولة) الخفة والطيش وكثرة الطرب، وتجدهم مولعين بالرقص، موصوفين بالحمق في كل قطر ، وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية، لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعته، كانت من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة( ابن خلدون، د ت ، ص 36) وإن كان الباحث هنا لايجد غضاضة في الاعتراض على نظرية أن القاطنين في البلاد الإفريقية يتصفون بالغباء والحماقة، بل ليس هناك تناسب طردي بين لون البشرة وطريقة التفكير، ودولة مثل جنوب أفريقيا تعتبر متقدمة قياساً بغيرها في مجال الصناعات المتنوعة.

والتقدم لا يأتي نتيجة حاجة مادية بل حاجة روحية ، فالمؤرخ الانجليزي الكبير جون أرنولد توينبي جاء من ناحيته بتفسير ضخم للحضارة يلعب فيه العامل الجغرافي دوراً أساسياً . وقد سبقه مواطنه السير جون هالفورد بنصف قرن إلى إدخال العامل الجغرافي بطريقة منهجية في تفسير

الحضارة (ابن نبي ، 1406هـ، ص 64) الأمر الذي يدعو إلى حث الدارسين على إجراء دراسات منهجية في هذا الشأن للتبيّن من هذه الآراء .

لكن هذا الاتجاه لا تؤيده الوقائع ، ولا تدعمه الدلائل على أرض الواقع فبعض الدول تقع في المناطق التي ذكرها أصحاب هذا الرأي ، ومع ذلك فقد بلغت درجة عالية من التقدم، كما هو الحال مع اليابان مثلا، كما أن غالبية المجتمعات العربية والإسلامية لا تقع ضمن المناطق المذكورة، كما أنها تمتلك الكثير من الموارد الطبيعية الحيوية، ومع ذلك لم تشفع لها تلك الموارد أو حسن الموقع من الوقوع في التخلف، فضلا عن إمكانية التغلب على الظروف الطبيعية والمناخية، عن طريق زيادة الجهد البشري المصحوب بالتكنولوجيا والآليات الحديثة ( عجمي ، 2005م ، ص 40)

ومما يجعل دراسة الباحث لا تقف مع أصحاب هذا الاتجاه الجغرافي، أن الأمّة الإسلامية انطلقت منذ بزوغ الإسلام من مكة المكرمة والمدينة المنورة حتى وصلت إلى أصقاع العالم ، رغم أن الجزيرة العربية لا تتوافر فيها عوامل الطبيعة الجاذبة ، فالجبال تحيطها من كل جانب والصحاري خلفها تجيش برمضائها الحارقة ، والأنهار فيها معدومة ، حتى أن الله سبحانه وتعالى تمنن عليهم بفضله في رحلتي الشتاء والصيف حين كانوا يجلبون طعامهم صيفاً من الشام ، ويحضرونه شتاءً من اليمن ، إضافة إلى أن هناك دول تعيش في المناطق المعتدلة وتعد متخلفة كما في حوض البحر المتوسط وأمريكا الجنوبية. وفي مناخ منطقة بغداد مثل واقعي ، حيث إنه لم يتغير كثيراً عما كانت عليه بغداد في أوج زينتها وزخرفها يوم كانت درة عقد الحضارة الإسلامية في عهدي الرشيد والمأمون ، بل إن المناخ في الدول الإسلامية عامة لم يتغير خلال ستة أو سبعة قرون التغير الذي يؤدي إلى هبوط معدلات النمو والتقدم كما في الوقت الحاضر .

ومن هذا المنطلق واجه الاتجاه الجغرافي في تفسير التخلف انتقادات عنيفة، وعدّدوا أدلة كثيرة على ضعف وجهة نظر أصحاب هذا التفسير " فذكروا الكثير من المناطق ذات الظروف غير الطبيعية والجغرافية غير المواتية، ومع ذلك فقد استطاعت تحقيق معدلات عالية من التنمية في الجوانب المختلفة، وحتى في مناطق ذات ظروف يتعذر معها القيام بالنشاطات الإنسانية المختلفة، مثل منطقة سيبريا بالاتحاد السوفيتي السابق، وهي منطقة ذات برودة عالية جدا، غير أنها قطعت شوطا ما على طريق التقدم ( شفيق ، 1998م، ص26) .

" لقد قامت معظم الحضارات في القديم حول الأنهار وفي مناخ معتدل ، وكان ذلك لزاماً للتفاعل الحضاري حيث لم يكن يملك إنسان تلك العصور وسائل شتى لترويض البيئة كما يملك الإنسان اليوم ، فكان لابد له من بيئة مروضة يضيف هو إليها ما يمكنه من التفاعل الحضاري ، ومع مرور الزمن أخذ إنسان العصر يمتلك وسائل جديدة للتفاهم مع المكان فامتدت بذلك رقعة إبداعه الحضاري ، وغداً سوف يمتد التفاعل بين الإنسان والمحيطات وما تحت الأرض وفي الفضاء الواسع العريض " ( سفر ، 1400هـ، ص80) كما أن التقدم العلمي أصبح كفيلا بمواجهة مشكلات التقدم المترتبة على عدم مناسبة الظروف المناخية الطبيعية.

**ب : الاستعمار البشري والفكري.**

يعتقد عدد من الباحثين والمفكرين والمعنيين بقضايا التخلف أن البداية الحقيقية للتخلف الشامل في بعض المجتمعات العربية والإسلامية ترجع بصفة أساسية إلى استعمار البلاد الكبرى لتلك المجتمعات، فأينما وجد الاستعمار تكون محصلته تخلف المجتمع المُسْتَعْمَر، ومنذ مطلع القرن السادس عشر تحول الموقع الاستراتيجي للدول العربية والإسلامية إلى أن يصبح عبئا عليها، ثم سيطر الاستعمار الأوربي على منطقة أعالي البحار، وافتقد العرب دورهم في التجارة العالمية، ثم فُتِحَت أسواقهم عنوة للبضائع الأوربية؛ فتحولت الدول العربية والإسلامية إلى مرحلة الهشاشة والتخلف الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي ( عجمي ، 2005 م، ص 44) .

وقد عمل الاستعمار على تدعيم كل ما من شأنه أن يسهم في إضعاف وتخلف المجتمعات العربية والإسلامية، ومن ذلك أنه مزق العالم الإسلامي المعاصر إلى أكثر من خمسين دولة، بالإضافة إلى أقليات إسلامية منتشرة في الدول غير الإسلامية، وقد أدى ذلك إلى تشتيت المقومات المادية والروحية للمسلمين.

وهناك من قسّم الاستعمار إلى نوعين أحدهما خارجي وهو الذي يأتي بالقوة العسكرية والآخر داخلياً وهو ما يسمى بالغزو الثقافي أو العولمة " ويظل الاستعمار بشكليه الجديد والقديم هو المسؤول عن حالة التخلف الاجتماعية التي تعيشها الدول العربية والنامية . ولن تستطيع الدول العربية الخروج من هذه الحالة إلا عن طريق استخدام الأمثل للموارد الطبيعية المحلية المتاحة لزيادة كمية السلع والخدمات التي تنتجها " ( العلي ، 1432هـ ، ص219)

وإن كان الباحث لا ينظر إلى أن الاستعمار هو السبب المباشر في تخلف المجتمع الإسلامي في الجانب الاجتماعي إلا أنه يتفق في " أن الاستعمار القديم قد رحل، إلا أنه ترك وراءه استعمارا أشد خطرا، إنه استعمار يحتل العقول والأفكار والمفاهيم والقيم والمعايير والأخلاق والسلوك والتشريعات، وقد أدى ذلك إلى تخلف العالم الإسلامي ( القرضاوي ، 1993م ، ص ص56، 57).

لقد أدرك الغرب قيمة اللغة كعنصر حضاري ، ففرض لغته في ظل سيطرة الاستعمار ، حتى أصبحت اللغة الرسمية في بعض دول المنطقة ، وها هو ذا الآن ، يستغل ظروف الأفارقة اللغوية ، ويفرض عليهم – بوسيلة أو بأخرى – الحرف اللاتيني ، كأداة لمحاربة الأمية ، لكن هذا التخلف نتج بسبب علاقات المجتمع والقوى المسيطرة عليه نخب وأنظمة حاكمة ، والتي لم تحدث التغييرات الواجب إجرائها بعد نيل الاستقلال واستقرار نظم الحكم ، ولم تأخذ وضع وجهل وفقر مواطنها والذي جسد وما زال يجسد وضعا نفسيا معينا ؛ إذ أن سلوكه نابع من ذاته وفعله ورد فعله عما يحيط به في بيئته ( شرابي ، 1991 م، ص 69)

وقد أكد ( ابن نبي ، 1986م) على خطورة ذلك النوع من الاستعمار قائلاً: " إن انتصارات السلام تتقرر في جبهات الصراع الفكري، ويجب ألا يبقى عندنا شك في أن الخصوم الذين يتنافسون ... للاستيلاء على عناصر القوة سيلجأون إلى سلاح الأفكار؛ حيث إن قنابلهم الذرية أصبحت عاجزة في المستقبل عن حل مشكلاتهم فيجب علينا أن نعطي لأفكارنا أقصى ما يمكن من الفعالية من ناحية، ومن ناحية أخرى أن نعرف الوسائل التي يستخدمها الاستعمار ليُنْقِصَ ما يمكن من فاعلية أفكارنا"( ص19).

وهذا ما تناولته شهادة أحد أبرز المفكرين الغربيين الذي أرّخ لدور الغرب في تخلف أفريقيا بصفة عامة، وفي كافة المجالات: الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، وقد أكد على أن الاستعمار بكافة صوره أسهم بقدر كبير في تخلف أفريقيا بصفة عامة "وقد أصبح من المألوف كجزء من النفاق الاستعماري الحديث عن أن أوروبا قد أوصلت أفريقيا إلى القرن العشرين، وينطوي هذا الزعم على تضمينات ترتبط بالمجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية ، وتتمثل الضريبة الأكثر خطورة التي عانى منها الخاضعون للاستعمار في استبعادهم من التاريخ والمجتمع، فقد اغتصب منهم الاستعمار كل دور حر بالنسبة للحرب أو السلام، وكل قرار يسهم في مصيرهم ومصير العالم، وكل مسئولية ثقافية واجتماعية ( رودني ، 1988م، ص ص315– 345 ).

كما أن الفرقة التي عصفت رياحها العاتية ببناء الأمة الإسلامية، تعود إلى غرس خبيث ألقى الاستعمار بذوره في تربة المجتمع المسلم. وهو غرس الأنانية وحب الذات، أي الاتجاه أو النزعة الفردية التي جعلت الفساد والتصدع والانفكاك يدب في أوصال المجتمع " لقد استطاع الاستعمار بمكره – واستفادته من قابلية المسلمين للاستعمار– أن يفتت بنية الشبكة الاجتماعية التي تحدث عنها مالك بن نبي من خلال مجموعة من المعاول التي أعطت أكلها المسموم، من قبيل العلمانية التي أضعفت سلطان القيم الإسلامية على نفوس بعض أفراد المسلمين، فأصبحوا يسلكون في حياتهم اليومية منسلخين من تلك القيم التي تصنع التماسك في جسم المجتمع المسلم" ( مسعود ، 1419هـ، ص 150)

لقد حاول المستعمرون بجميع أصنافهم سواء كانوا غزاة محاربين ، أو غزاة إعلاميين أن يؤثروا في تقدم الأمة الإسلامية ، وأول ما ظهر من الدعوة إلى القومية أيام الدولة العثمانية هي جماعة تسمى جماعة الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة والتي أحيت الدعوة إلى الجاهلية القديمة وآدابها وثقافتها وأن الدين الإسلامي هو أمر طارئ على الثقافة التركية ، وحاولت أن تنشر مبادئ التعصب للقومية والقبيلة ، وقد وجد جيش الملك حسين على جثة أحد القادة الأتراك منشوراً وزعته إحدى الجمعيات التركية الطورانية جاء فيه " إن هذه البدعة الخيالية المخيفة التي يسمونها الأمة الإسلامية التي ظلت لأمد طويل سداً يحول دون التقدم بوجه عام ، ودون تحقيق الوحدة الطورانية بوجه خاص هي في طريقها الآن إلى التفكك والزوال " ( عثمان ، 1420هـ ، ص 142-143)

إن التربية في المجتمع العربي الإسلامي هي نبت هذا المجتمع بظروفه وثقافته ، وأصوله ، وتراثه الفكري ، والحياتي ولكن تأثر هذا المجتمع إبان عصور الانحطاط حيث تمكن الاستعمار الغربي من أن يفرض على هذا المجتمع الإسلامي عقائد وأسس ، ومبادئ وقيم تختلف عما استقاه من أسلافه(أحمد ، 1423هـ ، ص 178) لكن قد يقف بعض الباحثين معترضاً على تحميل الاستعمار السبب في التخلف الاجتماعي لاسيما في دول لم يدخلها الاستعمار كالمملكة العربية السعودية ولعل هؤلاء يشيرون إلى قضية البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، والذي تركه الاستعمار خلفه في الدول المتخلفة، باعتباره العائق الأساسي لتنمية هذه الدول ، ومن الإنصاف أن نقول أن هذا العامل إلا وهو الإرث الاستعماري الذي تركه الاستعمار خلفه عندما رحل عسكرياً والى درجة أقل سياسياً لا ينطبق على مجتمعنا " ( العبادي ، 1415هـ، ص 139)

والباحث يتفق في أن الاستعمار الخارجي لا يتحمل المسؤولية كاملة في تأخر المجتمع الإسلامي والعربي ، فلو لم تكن هناك قابلية في البدء وضعف هوان داخلي ، لما استطاع الاستعمار أن يدخل إلى البلاد العربية والإسلامية فالاستعمار قد يكون عرضاً وليس مرضاً .

**ج : التبعية للآخرين.**

يتعذر دراسة المجتمعات المتخلفة بمعزل عن تطور وتقدم المجتمعات الغربية المتقدمة، وأنه من الضروري النظر إلى العالم بوصفه نسقا أو نظاما واحدا، خصوصا وأن العلاقات بين المجتمعات المتخلفة والمجتمعات المتقدمة نمت في إطار علاقة واحدة "هي علاقة السيطرة والاستغلال من جانب المجتمعات المتقدمة، وعلاقة الخضوع والتبعية من جانب المجتمعات المتخلفة، والواقع أن كُتَّاب مدرسة التبعية لا يُجْمِعُون على مفهوم واحد لظاهرة التبعية، وربما كان مرد ذلك إلى طبيعة الظاهرة ذاتها وتعدد صورها وأشكالها، ولكن الإجماع منعقد على شمول ظاهرة التبعية وتعدد جوانبها: الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية" (عبد الرحمن ، 1984م، ص34- 37).

إن التبعية للآخرين تعد أحد أسباب التخلف الاجتماعي كونها تتخلى عن القيم والمعتقدات والأفكار الإسلامية وتستبدلها بمنتجات سلبية من " إتباع تقاليد وقيم وعادات وسلوكيات أخرى غير أصيلة على المجتمع الإسلامي، ويترتب على هذه المحاكاة مسخ الشخصية واتجاهها نحو الذوبان، وذلك مرتبط بصورة كبيرة بالغزو الثقافي بوسائله المتعددة، وبصفة خاصة وسائل الإعلام ذات التأثير السريع والفعال( عجمي ،2005م ، ص 49) .

إن لهاث بعض المجتمعات الإسلامية خلف الطريق الذي يرسمه الغرب لنفسه يؤدي إلى مخرج وحيد لا ثاني له وهو ضياع الهوية " وما من ثقافة غير أوربية لا تستمد قوتها من التأثر بالثقافة الغربية أو محاكاتها، إلا وقسم كبير منها يواجه عمليا خطر الانحلال، ومعه زوال المدنية، وضياع فرص التنمية المستقلة والسيطرة على البيئة الخاصة والتحكم بالذات ، وهي لا تلعب – أي المجتمعات التابعة – أي دور هام في تنظيم الحياة الاجتماعية العامة، وتجديد أسسها المعنوية والسياسية والإنتاجية، أي في بناء الحضارة، وهكذا تقوم الهيمنة الثقافية بإبعاد الثقافات الأخرى عن ميادين العمل والإنتاج "(غليون، 1987م، ص133) .

إن مجرد إتباع الآخرين من غير المسلمين وتقليدهم هو بالفعل جوهر التخلف ، أما النظر إلى الآخرين، والاستفادة منهم فيما ينفع الإسلام وأهله، مما لا يخالف أصول ومعتقدات المجتمعات العربية والإسلامية، فذلك أمر محمود ، بل حث الإسلام عليه، وألزم به؛ فالحكمة هي ضالة المؤمن، وأنى وجدها فهو أحق بها، أما الرفض المطلق لكل ما يأتي عن الآخرين فذلك تعصب لا مبرر له ، " ومن الغريب في هذا الإطار أن الغرب حينما أراد أن يتقدم ويخرج من عصور تخلفه أخذ الكثير من المسلمين، ثم أضاف إليه ما عَنَّ له مما ينفعه ويتلاءم معه؛ فكون حضارة تحمل سماته وخصوصيته؛ فلا يعقل بعد ذلك أن تقف المجتمعات العربية والإسلامية عند مجرد الأخذ والتقليد ( عجمي، 2005م، ص52) .

والتبعية المطلقة المفضية إلى الانحدار والفوضى والتخلف هي التي عناها الرسول صلى الله عليه وسلم ، في قوله: " لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : : يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال فمن ؟ " (صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، الحديث رقم 3222). فالحديث ينكر على الأمة أن تصل إلى الحد الذي تغدو فيه ذيلا تابعا للآخرين من أصحاب العقائد الأخرى، وأصحاب الحضارات السائدة، وفارس والروم لا توجدان اليوم بهذا الاسم والعنوان، ولكن معناهما موجود في الدول الكبيرة التي تمثل المعسكر الغربي أو المعسكر الشرقي، ومادام المسلمون مستمرين في النظر إلى الحضارة الغربية على أنها القوة الوحيدة القادرة على بعث مجتمعهم الراكد ، فإنهم يدمرون ثقتهم بأنفسهم – وبطريق غير مباشرة – يؤيدون الادعاء أن الإسلام قوة مستهلكة " ( أسد، 1430هـ، ص 73)

وكل فرد من أفراد المسلمين مكلف من الله عز وجل القيام بمسئوليته، وأنه لا نجاح للمسلمين أفراداً وجماعات، إلا إذا قام كل منهم بمسئوليته " وبهذا يتضح أن ما تعانيه الأمة الإسلامية من الشقاء والذل والتبعية لأعداء الإسلام في كل شيء ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ( الأهدل ، 1412هـ، ص 180-181) .

إن الدراسة لا تعزو التخلف الاجتماعي إلى عامل واحد لأن ذلك أمر غير علمي، حيث أن هناك أسبابا أخرى بجانب التبعية تعاونت فيما بينها على تعميق ظاهرة التخلف الاجتماعي في بعض المجتمعات الإسلامية.

**د : نوع الجنس واللّون .**

نسبت بعض الدراسات التخلف الاجتماعي إلى نوع الجنس، فقدراته الخَلْقِية لا تساعده على الرقي، ويُعْرَف القائلون بهذا الرأي بأصحاب نظرية الجنس ، وعند أصحاب هذه النظرية أن الجماعات البشرية المهيأة والمؤهلة للتقدم بطبعها، يتميز أفرادها بخصائص بدنية أو خلقية أو هما معا، ويتوارث أفراد هذه الجماعات تلك الخصائص بحيث تصبح مميزة لهم عن غيرهم، وتلك الخصائص تدفعهم دفعا إلى التقدم، وتخرجهم من بؤرة البدائية والتخلف، بينما تتميز جماعات بشرية أخرى بخصائص بدنية وخلقية أخرى تكون عائقا لهم من الحضارة، وبالتالي فإن تلك الخصائص تُبْطِئ تقدم الجماعات وتميل بها إلى الركود في حالة البدائية المتخلفة (مؤنس، 1998م، ص45 )

لكن هذا الرأي وجد رفضاً من جمهور الباحثين في علم الاجتماع، والباحث يتفق معهم وذلك لتناقضه مع مبدأ العدل الإلهي المسلم بصحته في الإسلام، فليس من المعقول أن يخلق الله أناسا بطبائع تسبب التخلف بينما يُؤْثِر آخرين بطبائع أخرى تساعدهم على التقدم، وإنما العمل والاجتهاد هما الفيصل في بناء الحضارة، وهما العنصر الحاسم في إخراج أي مجتمع من تخلفه " وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ "(الأعراف، الآية : 96) ولا يَبْعُد هذا التفسير عن ادعاء اليهود من أنهم شعب الله المختار، وكذلك كثير من المجتمعات الغربية التي تدعي أن جنسها هو أفضل الأجناس؛ وبالتالي تستطيع أن تصنع التقدم لأمتها.

ولعل ما يدحض هذا الرأي أن القائلين بهذا التفسير أكثرهم من الغرب، وهم أيضاً يذهبون إلى أن معيار التقدم والتخلف هو اللون؛ فاللون مرتبط عندهم بصورة أو بأخرى بالتفوق الخلقي والمعنوي، بل ويحددون هذا اللون باللون الأبيض الذي لا تشوبه سمرة، يضاف إلى ذلك صفات أخرى حددوها وتعصبوا لها، "غير أن بعض الغربيين أنفسهم قد ردوا على ذلك، ورفضوا هذا المنطلق في تحديد أسباب التقدم والتخلف، بل ووُصِفَ ذلك التفسير بأنه ليس إلا ترهات، ومما يشهد لذلك أن التاريخ يؤكد أن الحضارة لم تكن يوما لجنس معين دون جنس، كما أن التخلف لم يكن حِكراً أو سمة لقوم معينين دون قوم " (إبراهيم ، 1998م ، ص 45- 51) وقد بنى المسلمون حضارتهم قبل مئات السنين ، حينما كان الغرب بألوانه الفاتحة يرفل في مستنقعات الجهل وأوحال التخلف ، ولم يشفع لهم جنسهم فضلا عن عقولهم في التخلص من ذلك إلا بعد أن استفادوا من الحضارة الإسلامية ليصنعوا مراكب تقدمهم.

وقد أبان بعض الباحثين أن المجتمعات المتقدمة لاسيما الغربية ، تملك سمات سلوكية وسيكولوجية للأفراد، وتلك الخصائص هي سبب التقدم، بينما لا تملك المجتمعات المتخلفة مثل تلك الخصائص ، ومن ثم فإنها ستظل متخلفة "ومن أمثلة تلك الخصائص: الحاجة للإنجاز، الاستعداد لقبول الخبرات الجديدة، الانفتاح على العالم، تقبل التغيير، تقدير الأفراد على أساس العمل، الأخذ بالتخطيط مع المحافظة على الوقت والمواعيد، ، الطموح في المجال الوظيفي والتعليمي، الميل للاستقلالية، والثقة في التقدم والعلم والتكنولوجيا، وغيرها من خصائص سيكولوجية ونفسية، فوجود تلك الخصائص سبب التقدم وانعدامها سبب التخلف"( الحسيني وآخرون ، 1984م، ص102).

والباحث يشير إلى أن بعض هذه الخصائص خطوات على طريق التقدم ليست خاصة بمجتمع دون غيره ، وقد يكون عدم وجودها خطوات على طريق التخلف في المجتمع، إلا أن القول بوجود هذه الخصائص في المجتمعات الغربية فقط أمر غير مقبول، كما أن القول بعدم قدرة المجتمعات الأخرى على إيجاد وتبني مثل هذه الأنماط من الخصائص ، أمر آخر غير مقبول، وإلا فقد حث الإسلام على أكثر تلك السمات إذا تم النظر إليها بنظرة موضوعية، ويوم أن تمثل المسلمون تلك السمات وأشباهها أقاموا حضارتهم، ويوم أن تخلى المسلمون عنها تخلفت مجتمعاتهم فلم تقم لهم قائمة في اتخاذ الخطوات الحاسمة للتخلص من أفكارهم وسلوكياتهم المتخلفة مما يعني أن هذه الصفات هي خُلُقية وليست خَلْقية .

ولعل من المجحف في نظريات بعض الباحثين أنهم توصلوا إلى أن ملامح الشخصية العربية والإسلامية، سبب رئيس في عملية تأخرهم عن اللحاق بالدول المتقدمة و "أن الشخصية العربية مجردة من الإحساس بالمستقبل، ولا تستطيع التفكير إلا في الحاضر فقط، بل لا تستطيع التفكير إلا في يومها فقط، ولفظ الغد لا يعني لها شيئا، كما لا يمثل في نفسيتها أي معنى؛ فالعربي تشغله أبسط حاجات يومه عن أكثر حاجات غده، وعند العربي أن الإحساس بالمستقبل ملكة خاصة توجد مركبة في نفوس بعض الأجناس من البشر ولا توجد عند آخرين(عبد الدايم، 1991م، ص147- 148). والباحث هنا لا يجد إلا تعميماً لا يبرهنه التاريخ ، وتهافتا لا يستقيم معه دليل ، وتناقضاً لا يؤيده برهان حيث أن الحضارة التي أقامها المسلمون العرب في بلاد الشام والمغرب العربي تنسف هذه النظرية وقد تكون هذه الأعراض ظهرت بين العرب حين تأخروا حضارياً ، مما يعني أنها مظاهر وليست أسبابا ، وإن أصابت أشخاصاً فهي ليست في السواد الأعظم من هذه الشعوب.

والناظر في تاريخ الأمم يجد أن لكل مجتمع حظّه من التأخر ثم التقدم أو العكس و بين العلو والانخفاض بحسب نشاط أصحاب هذه الأمة وكسلها ، كما أن التقدم العلمي والرقي الحضاري ليس حكراً للون أو عرق أو شرق أو غرب كما يحلو للمستشرقين والعلمانيين تصويره وإشاعته بين الناس؛ ولكن التقدم العلمي هو نتيجة للعمل الهادف المنظم المؤسس على أسس سليمة صحيحة، ونشاط عملي دؤوب، لذلك فإن الباحث لا يؤيد النوع الرابع وهو أن نوع الجنس أو اللون أو البشرة تكون عواملاً للتخلف الاجتماعي، فضلاً عن التخلف بمفهومه الشامل والواسع ، وهذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أَلَا إِنَّ رَبكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَباكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بالتَّقْوَى ، أَبلَّغْتُ ؟ " ( ابن حنبل ، مسند الأنصار ، رقم الحديث 22872).

**المبحث الثاني: أسباب داخلية .**

تحميل الآخرين أسباب التخلف الاجتماعي ، أمر في غاية التحامل ، وجلد الذات وإنكار نظرية المؤامرة في أسباب تراجع المسلمين حضارياً لا يقل تحاملاً عن الأول ، لكن الباحث يملي عليه ضميره وأمانته العلمية أن يكون وسطاً في تحليل الأسباب ، ومنطقيا في تفسير المظاهر .

والتخلف الاجتماعي الذي منيت به الأمة الإسلامية والعربية وتسبب في انتكاستها وتراجع دورها ، يعود إلى أسباب داخلية يتحمل العرب وزرها دون سواهم ، لأنه مهما تكالب الآخر على العرب والمسلمين فإنهم لن يعجزوا عن دحره ، والانتصار عليه إلا إن بلغ بهم الهوان والضعف مبلغاً كبيرا ، لكن العلة التي تجعل المرض مستشرياً هو عدم تشخيص الداء والاعتراف بالأخطاء، سواء كانت في السلوك أو القيم أو الفكر أو القلوب ، وحين يبسط الباحث طرفاً من ذلك فإن الداء يعرف فيُفهم ، والمأمول يصبح واضحاً ، ولا عذر بعد ذلك حين يجد المرء الوصفة ثم لا يسير عليها ، ويوضح الباحث عدداً من أسباب التخلف الاجتماعي الداخلية وهي التي تخص المسلمين دون سواهم .

**أ : غياب الروح الإسلامية :**

ويعني الباحث بذلك مسألة البعد عن الدين الإسلامي ، والتحزب والتفرق إلى جماعات ، وفرق متناحرة إضافة إلى الإعراض عن أوامر الله ، وتعاليمه في كافة المجالات ، حيث أسفرت عن تخلف

المسلمين في كل المجالات بما فيها الاجتماعي ومن ذلك عدم الالتزام بمفهوم الأمة الواحدة والدار الواحدة؛ فحدث التنازع، ثم الفشل والضياع يقول جل وتعالى " وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝٤٦ "(الأنفال: 46) ويظهر الإعراض كذلك في عدم وعي بعض الحكام بمسئوليتهم تجاه رعيتهم .

لكن بعض الآراء الشاذة – التي لا يتفق معها الباحث – عزت السبب في تخلف المجتمعات اجتماعيا إلى الدين الإسلامي بالتحديد وليس إلى الإعراض عنه ، والسبب في ذلك عندهم أن الإسلام زهد المسلمين في الحياة، وعطل العقل، ودعا إلى الجمود؛ فلو ترك المسلمون الإسلامَ لانطلقوا؛ فإنه سبب تواكلهم وعقبة تقدمهم، هذا هو سبب تخلف المجتمعات العربية والإسلامية من وجهة نظر أصحاب هذا الرأي( أبو خليل، 1982م، ص341).

وبالرغم من وجود عناصر حضارية في التفكير الإسلامي الأصيل المستخلص من القرآن الكريم والسنة النبوية فإن هناك من يقول بأن الإسلام لا يملك حضارة ، ولا توجد عناصرها الأساسية ، ولهذا كان الإسلام السبب في تأخر المسلمين ، وعدم إمكانهم القيام بالحضارة المتقدمة على غرار الحضارة الغربية مثلاً ، حقاً إن المسلمين لم يقيموا حتى الآن الحضارة الإسلامية المتكاملة كما هي في التفكير الإسلامي على الصورة التي يجب أن تكون عليه ، لكن ذلك نقص يرجع إلى المسلمين ولا يرجع إلى الإسلام ، كما نجد ذلك في بعض الفلسفات ، فإن هناك بعض الفلاسفة وضعوا صورة معينة للحضارة المثالية لكن أنصارهم لم ينفذوا تلك الصورة كما يجب (يالجن ، 1403هـ، ص 85)

ورغم أن المسلمين يملكون العديد من القيم ، والرؤى والتصورات ، بل والمعتقدات إلا أن البعض زعمه داخلاً في نطاق التخلف الذي يجب التخلي عنه واستبدال ما عندهم من بدائل متقدمة به ، وأدخلوا في ذلك أيضا ما تميز به المسلم ون من أنماط خاصة في تنمية واقعه المادي وما اختص به من أساليب في العيش ، وما اعتاد من عادات وتقاليد ( عمارة ، 2007م، ص 12)

والباحث – يؤيد كثير من المفكرين الإسلاميين – في أن التخلف الاجتماعي بشكله العام جاء نتيجة انحراف سلوك المسلمين عن الدين القويم "وأما ما وصفت بعد ذلك من الجمود فهو مما لا يصح أن ينسب إلى الإسلام، وقد رأيت صورة الإسلام في صفائها ونصوع بياضها، وإنما هي علة عرضت على

المسلمين عندما دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الإسلام في أفئدتهم، وكانت السبب في تمكنها من نفوسهم"(عبده، 1996م، ص151).

فالتخلف الاجتماعي إذن جاء نتيجة لعدد من القضايا والمشاكل في المجتمع المسلم ، حيث استفحلت ، ونمت وكوّنت هذا البعد ، ولم تستطع بعض بلدان الأمة الإسلامية الخروج من هذه الشرنقة " وأضاعت طريق التراث الحضاري العريض الذي ورثته هذه الأمة، بيد أنها لم تُبْدِ بعد الجدية المطلوبة لإحيائه، بصورة تتمشى مع متغيرات العصر، وتحافظ في ذات الوقت على الأصول والمبادئ الإسلامية؛ لذا توقفت مسيرة الحضارة العربية والإسلامية حقبة من الزمن، وظهر عصر انحطاط المسلمين وتخلفهم الحضاري" ( سفر، 1986م ، ص38).

" إن القارئ لتاريخ الفكر الإسلامي ومساره سوف يجد أن من الأسباب الرئيسية لفترات الهبوط والانحطاط التي أصابت الحضارة الإسلامية كان جمود الفكر وعزلته الواضحة عن مجريات الأحداث والتحولات الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات الإسلامية خلال تلك الفترات وهو ما عرف في تاريخ التشريع الإسلامي بإغلاق باب الاجتهاد " ( سفر ، 1400هـ، ص59) لذلك فإن الدين الإسلامي بصفاء فطرته وسمو هدفه يحث على التغيير والتطوير والارتقاء بالإنسان ، لكن قلة من المسلمين لم يطبقوا تقاليده ، فظنت كثرة من الغربيين أن السلوك الفردي ناتج عن قيمة فكرية .

وهناك عدداً من علماء الغرب الذين اعترفوا بفضل العلماء العرب منهم المستشرقة سيجريد هونكه والتي أكدت أن المسلمين حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا " بل كان منهم فرس وهنود وسريان ومصريون وبربر وقوط غربيون ساهموا جميعاً في رسم معالم تلك الحضارة ، بدليل أن تلك الشعوب التي حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربية والدين الإسلامي ، وذابت بتأثير قوة الشخصية العربية من ناحية ، وتأثير الروح العربي الفذ من ناحية أخرى ، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم " ( هونكة ، 1993م ، ص 13)

فللعرب والمسلمون ظلّوا على مدار ثمانية قرون يشعّون على العالم علماً وأدباً وحضارة، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية ، إن هم ذهبوا في أقاصي البلاد ودانيها ، سواء في آسيا أو إفريقيا أو أوروبا ، ثم تنكر أوروبا ومن سار سيرهم على العرب الاعتراف بهذا الفضل .

لذلك فإن سلوك بعض المسلمين لا يعكس القيم التي يتصف بها الدين الإسلامي ، فالتطبيق قد يكون قريباً من القاعدة أو بعيداً عنها بصور متفاوتة ، فالتطبيق قد يساعد على فهم القاعدة ، ولكن القاعدة بحد ذاتها لها من قوة السَنَّةِ ما يجعلها تتصف بقوله تعالى " وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴿٢٣﴾ ( الفتح : الآية : 23) أما التطبيقات فتتفاوت كثيرا وبعبارة أخرى " التفريق بين النظرية والتاريخ ، على اعتبار أن النظرية هي القاعدة والتاريخ هو التطبيق . وبعبارة ثالثة أيضاً التفريق بين الإسلام والمسلمين ، فالإسلام سُنة وقاعدة ، والمسلمون تطبيق وتاريخ . وهم مثال على القاعدة ، ليس لهم من الحصانة ما يجعلهم يحتلون محل القاعدة . فلهذا علينا أن نفرق بين هذين الأمرين في مجال تصدينا لبحث مشكلة تخلف المسلمين "( سعيد ، 1404هـ ، ص 65)

لقد أسفر غياب التطبيق الصحيح للإسلام كنظام شامل للحياة، وغياب الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في الكون لدى غالبية المسلمين عن " ظهور النعرات العرقية والعصبيات الإقليمية والسياسية والمذهبية، والتي شتتت بدورها طاقات الأمة، والصراع القوي بين دعاة التغريب ودعاة التأصيل ، والشعور الداخلي باليأس والانهزام لدى كثير من المسلمين، والتسليم بالضعف والهزيمة أمام التكتلات الغربية العالمية الكبرى، والهوة العميقة التي تفصل المثقفين والواعين عن السواد الأعظم من الأميين وأشباه المتعلمين، وغياب البيئة الصالحة للتقدم " (عجمي ، 2005م،ص71). وقد تختلط الأسباب التي تؤدي إلى التخلف الاجتماعي بمظاهره مما يستدعي معه الفصل بين العنصرين أمراً اجتهادياً شاقاً لكن حسب الدراسة أن تتناول جميع العناصر بشكل مباشر ، فالسبب قد يأتي أحيانا مظهراً ، والمظهر قد يكون سبباً ،، وهكذا .

إن سوء فهم الإسلام من قِبل بعض المسلمين، أو سوء نقل المسلمين له من الجانب العقائدي الروحي إلى الجانب التطبيقي العملي الاجتماعي، كان ولا يزال إشكالية تقتضي الحل، ومدعاة لدى البعض إلى الاعتقاد والزعم أن الإسلام سبب التخلف الاجتماعي ، وليس الإسلام هو العائق للتقدم كما يظن بعض المغرضين أو بالأحرى كما يشيعون، فالإسلام دين شامل مستقبلي، وقد كان ولا يزال الطاقة الباعثة من أجل التغيير والتحرر ثم التقدم، وذلك عن طريق ما يبثه في معتنقيه من قيم وقواعد للسلوك والعقل في كافة نواحي حياة الفرد والمجتمع " فمعضلة التقدم محلولة عند المسلم إن أحسن استثمار الهدف، يكفيه فقط الاستفادة من الطاقة الروحية الإيمانية التي وفرها الإسلام؛ ليوظفها في

العمل والحركة المنتجة وفي هذه الحالة تنشط الخلايا المنتجة في المجتمع الإسلامي فينهض، وإلا فَقَدَ المجتمع توازنه وتخلف إذا لم تتحرك المعادلة على ذلك النحو"( الغزالي، د. ت، ص ص27–28).

ولقد تبوأت أوربا مركزها الحضاري الجديد في العالم، دون أن يحملها ذلك على أن تتنكر لمسيحيتها أو أن تتساهل في شيء من تقاليدها وموروثاتها الدينية، أو أن تجحد بشيء من غيبيات تلك التقاليد والموروثات. بل إن بريطانيا وقد كانت ولا تزال عنواناً من أبرز عناوين النهضة الأوربية . لا تفخر بشيء من علومها وصناعاتها، كما تفخر بعتيق عاداتها وتقاليدها، وبالمحافظة على موروثاتها، واليهود الذين تنبسط أيديهم على كثير من مقدسات المسلمين وأوطانهم، لا يجهل أدنى موثق من الناس أن جميع نشاطاتهم الفكرية والعلمية والصناعية وغيرها، إنما تنمو عندهم في تربة الدين وتحت ظلاله " أفتكون هذه الأديان التقليدية عوناً عند أربابها على التقدم الحضاري وكثرة الإنتاج، ثم يكون الإسلام وهو الدين الذي ينهض وجوده على دعائم العلم وينبذ كل أسطورة وتقليد وهو وحده سبباً، من بين الأديان كلها في التخلف، وعثرة في طريق التقدم، ومعوقاً عن الإنتاج؟ " ( البوطي ، 1401هـ، ص3)

لقد حدد أحد المفكرين الإسلاميين السبب في ارتكاس المسلمين بتحكم الغريزة وتغلبها على ما عداها من الروح والعقل ، لذلك فإن المدنيات الإنسانية حلقات متصلة تتشابه أطوارها مع أطوار المدنية الإسلامية والمسيحية ، إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور فكرة دينية ، ثم يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها ، بعد أن تفقد الروح ثم العقل ، وهذه المعادلة بين الروح والعقل والغريزة هي التركيب الذي يفسر سلوك الإنسان وتميز فيها المسلم عن غيره ، وطالما أن الإنسان في حالة يتقبل فيها توجيهات الروح والعقل المؤدية إلى الحضارة ونموها ، فإن هذه العوامل النفسية تختزن بطريقة ما ، فيما وراء الشعور ، وفي الحالة التي تنكمش فيها تأثيرات الروح والعقل ، تنطلق الغرائز الدنيا من عقالها ، لكي تعود بالإنسان إلى مستوى الحياة البدائية ( ابن نبي ، 1406هـ ،ص 53).

إن الحل هو في العودة إلى الروح التي صنعت الحضارة المزدهرة والثقافة المتألقة . إنه عودة الروح الدينية لتصوغ النهضة الحضارية المتميزة والمستقلة. وهذا هو المعنى الحقيقي لمقولة : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فلولا التكون الفردي المكي ، والتكون الاجتماعي المدني ، لما كانت آثار الحضارة التي تبدت في عواصم الإسلام. والخروج من هذا التراجع الحضاري يكمن في العامل التربوي الإسلامي ، الذي كوّن الفرد قبل أن يكوّن المجتمع ( عمارة ، 2006 ،

ص 26) فالحضارة لا تنطلق  إلا من الفكرة الدينية التي تطبع المؤمن بها بطابعها الخاص ، كما توجهه إلى غايات سامية ، مما يعني أن أثر الدين واضح في تقدم أي مجتمع يؤمن بعقيدة معينة ( ابن نبي ، 1406هـ ، ص 50)

ويتضح مما سبق أن الأمة متى ما فقدت الموجه والمرشد لخطواتها على الطريق وهو الإسلام فإنها ستتخبط في أفكار وتجارب لا تعرف طريق الحق ، مما سيؤخر نهوضها وتقدمها أعواما كثيرة حتى تصل الى منبعها الصافي.

**ب : النظام التربوي والتعليمي.**

إن التعليم والتربية والتدريب ، كلها عمليات  ديناميكية متسارعة ومتعاقبة ومتداخلة في آن واحد ، وإن لم يحكمها نظام يجاريها في الحيوية والدينامية فإنه يعوقها ويعيقها ، فتصبح منكفئة ومتخلفة ، وهذا هو حال كثير من خطط ومناهج التربية والتعليم في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي برغم وجود محاولات جادة للتطوير والانفتاح هنا وهناك ، ولكنها محدودة ومعزولة وفردية ، ولن تقدر على تغيير الواقع بفعالية تذكر ، ولا حتى محيطها الذي تعيش فيه" ( سفر ، 1426هـ، ص 103)

إن التربية هي قوام تطور المجتمعات من خلال بنائها لجيل يؤمن بتقدم ورقي الأمة ، وبعض الباحثين أشار  إلى أن عوامل  التخلف الاجتماعي في المجتمع  إلى الخلل والضعف الذي أصاب المؤسسات التربوية ، النظامية منها وغير النظامية، وهذا الخلل أو الضعف جعل تلك المؤسسات عاجزة عن إنتاج وإعادة منظومة القيم الاجتماعية، وبناء الإنسان القادر على تحمل تبعات التقدم، وقد دب الإعياء في تلك المؤسسات ونال من وظائفها التربوية والتكوينية، ورصيد الوعي المدني، الذي يؤسس البِنَى التحتية في كافة المجالات، وإذا كانت الأنظار ترنو دائما إلى التربية في الأزمات الكبرى التي تعصف بحياة المجتمعات؛ فإن التربية في المجتمعات العربية والإسلامية قد عجزت عن أن تكون الملاذ والخلاص من الأزمة التي تعاني منها تلك المجتمعات؛ فالتربية بمؤسساتها هي وحدها القادرة على الخروج من التخلف (عبد العال، 2000م،ص17−19).

والذي يحدث حالياً "أن نظم التنشئة الأسرية والتربية المدرسية والعادات الاجتماعية والممارسات الإدارية والأمنية والثقافة العامة تشكل عوامل إعاقة للنضج العقلي والانفعالي عند الإنسان ، وبالتالي فهي تعيق بناء الأمة وتبقيها عاجزة عن القيام بمسؤولياتها " ( الكيلاني ، 2005م ، ص 185) ونظم التربية والتعليم التي تربي بمحتوياتها ووسائلها وخططها ومناهجها أجيال المستقبل ، هي نظم متخلفة

عن الركب العلمي والتربوي لأمم الغد ، التي ترنو إلى المستقبل بعد أن فرغت من الحاضر بما له وما عليه ، والتخلف ليس المقصود به هنا ما تعج به المناهج من معلومات وعلوم ومعارف ، من دون محصلة تذكر في ذهنية الطالب أو تغيير في أسلوب التفكير عنده فقط ، بل وأيضاً لأن تلك النظم ساكنة لا تتحرك ، ومستكينة لا تتطور لأنها – يبدو – لا تعترف بواقع العصر وانفجار المعرفة والتقدم الرهيب في وسائل الاتصال بين أمم الأرض ( سفر ، 1426هـ، ص 103)

إن عيوب التعليم – التشريطي التلقيني – تعكس الأصول والقيم الاجتماعية السائدة وبالتالي تؤثر على الذهنية ويترجمها السلوك والقيمة والعادة مثل : عدم تشجيع أبناء الريف على التعليم بسبب كونهم يشكلون مصدر دخل وقوة عمل وإنتاج لأسرهم ، ولأن التعليم لم ولن يكون حسب ذهنية القروي كمشروع استثماري مجدي ، أما التعليم الجامعي فهو يعكس احتقار العمل اليدوي أو المهني ، فالوظيفة أفضل ، ولهذا فالتعليم الجامعي هدف لغاية وليس لذاته ناهيك عن أساليب التربية ومناهج التدريس التي تكون على حساب المضمون والذي يشجع على التلقين والإرغام (زكريا ، 1975م، ص ص 185-191 )

فالتركيز على حشو أذهان التلاميذ بمعلومات مفرغة من محتواها ، يسهم في خلق عقلية متخلفة اجتماعيا وفكريا لا تستطيع التفكير بحرية أو التركيز بطلاقة " فعملية التعليم تملأ رؤوس الطلاب بمجموعات من ألفاظ اللغة مفردة ومركبة، ولا فرق بين أن تكون المادة العلمية المدروسة من الطب أو الفلسفة أو التاريخ أو القانون أو ما شئت، وكان من المفروض في ذلك المخزون اللفظي الضخم أن يخرج إلى دنيا العمل والتطبيق ، إننا نعلم الطلاب مادة علمية صحيحة، ولكن معظم الطلاب لا يتعلمون، بمعنى أنهم لا يخرجون مشحونات أدمغتهم إلى دنيا الحياة العملية الجارية " ( محمود ، 1987م ، ص ص 263-264) .

ومن المرجح أن عقليات بتلك الصورة لن تكون إلا سببا للتخلف الاجتماعي. كما أن التعليم النظامي في بعض المدارس الحكومية يكرس إعداد أجيال تقبل الواقع على أنه أفضل الممكن، أجيال عاجزة عن التأمل والاستنتاج والحوار، وذلك باستبعاد وسائل التعليم الحواري التحليلي الموضوعي النقدي الذي يدرب العقل ويشحذ الحواس، ويتبنى هذا التعليم النظامي الوسائل التعليمية التي ترسخ الذاكرة والحفظ لدى التلاميذ على حساب ملكات النقد والإبداع والتفكير (هلال ، 2010 م )

كما تكمن إشكالية النظام التعليمي ، في سيره باتجاه تعميق الهوة بين المسلمين وبين سائر الأمم المتقدمة، فالمدة التي تتضاعف فيها المعارف الإنسانية تتناقص باطراد مذهل، مما يجعل

اللحاق بالأمم المتقدمة يكاد يكون مستحيلاً في ظل الإمكانات الراهنة. كما أن ما يتم ممارسته في المدارس من تعليم تلقيني يرمى إلى إحكام السيطرة على عقول الطلاب من أجل توجيهها حسب توجهات المستبدين، لا يفرخ إلا طلاباً ممسوخي الروح والفكر لا تُرجى فائدتهم ، وإذا كان النظام التعليمي الحالي يفرز متعلمين كل ما يمتلكونه هو آلية الحفظ والتذكر والاسترجاع الآلي للمعلومات والتي يتم نسيانها بمجرد الانتهاء من الامتحانات ؛ فإنه وليد لثقافة التلقين والقهر التي تشمل على كل سمات الهزيمة الثقافية المعبرة عن انتكاس العقل إضافة الى القياس إلى الماضي مع إسباغ تصور مثالي غير واقعي وغير نقدي على هذا الماضي في أحيان كثيرة، ودمغ الاختلاف والابتكار بالابتداع، وبالتالي تقييد المبادرات الشخصية لتمحيص المعرفة بالنقد والإبداع إلى مستوى أعلى أو إلى أفق أكثر واقعية أو أكثر عملية ( زايد ، 2010م ، ص 40،خشبة ، 2004م، ص ص 62-77)

والأمم الواعية حين تحسّ بأزمة معينة أو نقص في الفاعليّة والإنجاز، فإن أوّل شيء تفعله هو قيام الخبراء فيها بتشخيص القيم الثقافيّة السائدة والنّظام التّربوي القائم، وقد رأى (ابن نبي ، 1991م) أن اللا فعالية هي السبب في التخلف الاجتماعي غير أنه لا يعتقد بأن المدرسة تتحمل ذلك " لقد توصلنا إلى ثلاث نقاط في هذا الموضوع وهي : أن التخلف هو نتيجة أو حاصل ضروب اللا فعالية الفردية ، فهو فقدان للفعالية على مستوى مجتمع معين . وأنها لا يمكن التخفيض منها بواسطة تكوين يقتصر تصوره على الإطار المدرسي وحده . وأن مشكلة السلوك ترجع إلى الثقافة ، ولكن هذه الثقافة يجب أن يتم تصورها ضمن إطار اجتماعي يشمل سائر المجتمع " (ص 78)

لقد أشارت وثيقة استشراف مستقبل العمل التربوي في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج ، إلى ما للتربية من دور أساسي في تحقيق التنمية الاجتماعية المتكاملة، القابلة للاستدامة ، وذلك بحكم إسهامها في عملية التنمية البشرية ( قاعدة التنمية وطاقاتها المتجددة ) على أن تكون جزءاً متكاملاً من النسق الاقتصادي ، والاجتماعي ، والثقافي الشامل للمجتمع ، وقد لفتت الوثيقة استناداً إلى ما كشفت عنه الدراسات والبحوث ، ودلت عليه الشواهد من تراجع إسهام مخرجات نظم التعليم عن المستوى المأمول في عملية التنمية ( مكتب التربية العربية لدول الخليج ، 1420هـ، ص 107) لكن ليس بالضرورة أن الإيمان بشيء يساهم في علاجه ، فالاعتراف بجوهر المشكلة لم يسفر عن حلول عملية وعلمية لداء التخلف الاجتماعي الذي يظهر في الفكر والسلوك ، وتوصيات

بعض الندوات والمؤتمرات تتلى في نهاية هذه الملتقيات ثم تدوّن في السجلات كآخر عهد بها قبل انعقاد لقاء آخر .

إن الأمة الإسلامية ما زالت بعض بلدانها تبحث عن تجارب تربوية ناجحة تخرج بها من غيابة التخبط ، لكنها لم تتوصل إلى مبتغاها، ولعل فشل المشاريع الفكرية يعود إلى أمرين وهما : أن هذه المشاريع التقدمية أولت الجانب السياسي أبرز خططها ، ولم تستطع هذه المشاريع أن تسجل حضورها المطلوب في نَسَق الأنظمة التربوية ، والأمر الآخر هو ضعف الفكر التربوي العربي الإسلامي ببعض بلدانها في استحداث منهجية علمية صحيحة ، تكون مهمتها إعادة تشكيل الخطاب الفكري والتربوي للأمة العربية الإسلامية ، وهذا ما يؤكد الحاجة إلى وجود المفكرين التربويين الرياديين في العالم العربي والإسلامي لذلك فإن فشل محاولات الإصلاح وتحولها إلى سلسلة من الانتكاسات ، يتطلب مراجعة تربوية شاملة وصريحة ، يكون من نتائجها إعادة النظر في بعض الموروثات الثقافية التي تلي نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وإعادة النظر في العملية التربوية ابتداءً بفلسفة التربية وأهدافها ومروراً بأساليبها ومؤسساتها وانتهاء بالتطبيقات السياسية والاجتماعية والثقافية ( الكيلاني ، 1430هـ، ص 377)

والمتابع لأحوال التربية يلاحظ أن هناك قصوراً في التطور النوعي للتعليم في بعض البلدان العربية، وعن تحقيق الأهداف المنشودة في مجال التنمية الشاملة ، فمع كل الجهود التي بذلت ، فإن التعليم في واقعة الحالي لا يزال بعيداً عن تحقيق أهدافه في التنمية الشاملة ، وحتى في إحداث التغير الذي ينتقل بالمجتمع من مرحلة التخلف والتبعية ، إلى مرحلة التطوير والابتكار ، وبالتالي فإن التعليم بحاجة إلى تحسين نوعيته ، ورفع مستوى جودته ، وزيادة فعاليته ، وإدخال تعديلات جذرية في سبيل ذلك على محتواه ، ووسائله ، وأهدافه وأدواته ،بالإضافة إلى ربط التعليم بمطالب التنمية الشاملة (وزارة التخطيط،1415هـ).

فالواعون يدركون العلاقة الوثيقة بين التربية والتغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وينظرون إلى التربية على أنها من أهم العوامل والقوى الفاعلة والمؤثرة في عملية التغير الاجتماعي والسياسي ، وأنها مؤسسة من مؤسسات المجتمع ، تتفتح عليه ، وتتأثر بما يجري فيه ، وتؤثر في مسيرة تطويره وتغيره ، وتوجه هذه المسيرة نحو تحقيق أهدافه المرغوبة ، وتحدد طريق مستقبله

وتساعده على تأمين استقلاله وتحقيق تماسكه الداخلي ووحدته الداخلية وعلى تطوير وتحسين طرق ووسائل استثمار واستخدام ثرواته الطبيعية والبشرية ( الشيباني ، 1985م ، ص 44-45)

إن التعليم الذي يمارس في بعض البلدان العربية في مختلف مراحله ، لا يزال سطحيٌ في وسائله ومحتوياته ، فطرق التعليم مازالت تلقينية إجمالاً ، تذهب في اتجاه واحد ، من المعلم الذي يعرف كل شيء ويقوم بالدور النشط ، إلى التلميذ الذي يجهل كل شيء ، فبالطبع لا تساعد هذه الطرق على اكتسابه التفكير النقدي الجدلي ، وبالتالي لا تكسبه الصيغ العلمية في النظر إلى الأمور، ويستدعي ذلك أن تقوم وزارات التربية والتعليم بإجراء الدراسات المسحية والاستطلاعات والاستفادة مما لدى الآخرين ، في وضع تصور لإعادة المناهج الدراسية وبلورة فلسفة التربية ، وتحديد الأهداف التربوية لقيام تنمية تربوية مستدامة تضطلع بإصلاح المجتمع .

**ج: جمود الفكر العربي ومرضه .**

والمقصود هنا بالفكر – حتى لا يساء الفهم – كل الأفكار والمفاهيم والمعلومات والمعارف والعادات الفكرية التي توجه السلوك الفردي والاجتماعي وتقومه ، و مرض المسلمين ، ليس في عدم وجود المُنَظَّماتِ والمخططات ، بل في جمود العقل والفكر ، فإن كان لا بُدَّ من منظمات ومخططات ، فليكن التنظيم والتخطيط ، فالتنظيم والتخطيط ليسا في حد ذاتهما هدفاً ، بل هما أداة ووسيلة " قد تُساعدُ على التخلص من الآصار والأغلال ، وقد تُثبتها ، أو تزيدُها ، أو تستبدلها بأثقل منها . وما لم ندرك هذا بوضوح فسنظلُّ ندور في التيه ، وسنظلُّ نحاول أن نعالج بعض الأعراض والذراري للمشكلة الأساسية : وهي انفكاك جوهر الإنسان عن وظيفته التي خلقه الله من أجلها " ( سعيد ، 1404هـ، ص 56)

ولا بد من التنبيه إلى أن ما يسّمى بمظاهر التخلف الشائعة في بنية العقل العربي إنما هي سمات شائعة قد تكون ظاهرة كلياً أو جزياً في الأفراد ، ولكنها مطردة في المجتمعات العربية على وجه الإجمال ، وقد صنفها (يونس، 2005م) مظاهر تخلف العقلية العربية في خمسة أصناف وهي الجزمية الفكرية ، وعاطفية التفكير ، والتفكير المتمحور حول الذات، والتواكل الفكري ، وسطحية التفكير ( ص 665)

إن ما أصاب بعض عقول الأفراد في البلدان الإسلامية من جمود وتحجر، بل وغياب تام في بعض الحالات عن مجريات الأحداث في المجتمعات، ترتب عليه خروجه من الدائرة الحضارية إلى التخلف والاكتفاء بالمشاهدة، فصار بعد ذلك عقلا مقلدا لا مبدعا، ولا ريب أنه إذا استمر غياب التوازن والوسطية والاعتدال عن الضمائر والعقول واستمرار العيش في حموة الفخر والاعتزاز بماضي الأمة، يقود كل ذلك إلى النتيجة الحتمية، وهي أن العقول تظل مغلقة والأفكار تستمر جامدة فما يحدث في مسيرة مجتمعات الأمة ، أنها تعيش بالحد الأدنى من التفكير ، والتنظيم وأفرادها يتعايشون مع واقعهم بشيء من اللامبالاة ، وعدم الاهتمام إلى جانب الأنانية الفردية التي عادة ما تقود الفرد إلى التمسك بما يملك من فكر ورأي أو خبرة دون أن يشارك الآخرين فيها .

لذلك فإن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم ، فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم ، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع ، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئاً ، ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظناً منهم بأن الاقتداء بالكفار كفر ، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار " (أرسلان ، 1930م ، ص 88)

وقد أحال البعض تفسير التخلف الاجتماعي في بعض المجتمعات العربية والإسلامية، إلى مفاهيم النص والعقل والبنية، معتمدين هذه المفاهيم في تحليلهم أزمة التخلف للمجتمع العربي ، حيث أشاروا إلى أن هذا المجتمع بوصفه نصا جامدا لا بد من تفكيكه، ثم تناولوه ثانيا بوصفه عقلا متهافتا، ثم تناولوه ثالثا وأخيرا بوصفه بنية اجتماعية قمعية، وفي ضوء ذلك تم التوصل إلى أن سبب تخلف المجتمعات العربية والإسلامية هو سيطرة الفهم الأسطوري للدين، والذي من شأنه إخفاء الجوانب العقلية فيه( ياسين، 2000م، ص530- 534).

فيما يخص المفهوم الثاني : العقل، فقد تم وصف العقلية العربية بالتهافت، ولا بد من نقدها، وتقييم أدائها، وفحص طبيعتها ومكوناتها، وهذا اتجاه قديم نوعا ما، لا يتفق معه الباحث. حيث أشار بعض الباحثين إلى ضرورة تغيير الذهنية والذهنية مرتبطة بالعقل والعلم ، وليس بالعاطفة ، مع أن العاطفة لا تتناقض مع العلم بل هما قوتان تجتمعان في كل إنسان وكل منها يجب أن تكون في مجالها ، كما أن الاختلاف بين العقل والسلطة ليس نتيجة حتمية ، بل في طريقة التفكير ومنهجه ( زكريا، 1975 م، ص 14 -16 ).

أما المفهوم الثالث الذي يتحدث عن البنية، فقد وصفت المجتمعات العربية بكونها بنية اجتماعية قمعية، كما أن أبرز سمات البنية الاجتماعية القمعية المسببة للتخلف هـ و شيوع الخطاب اللاحواري في المجتمع ، فإذا كان الحوار يعني أنه ليس هناك خطاب نهائي؛ فإن انعدام الحوار على النقيض من ذلك، ومن الممكن التعبير عن نوع هذا الخطاب بأشكال مختلفة، فقد يكون صاحب الخطاب المهيمن هو رب الأسرة، وقد يكون المعلم في المدرسة، أو الشيخ في القبيلة (ياسين، 2000م، ص530– 533).

لقد حدد بعض الباحثين بعضا من ملامح ضعف الفكر العربي المتمحورة في " أن العقل العربي أسير تخصصه، وينأى عن تداخل المجالات المعرفية وتعددها، كما أنه عقل غير مدرب على التوجه المنظومي، الذي يضمن الاكتمال والاشتمال، كما أنه عقل ينزع دائما نحو الموجب والقاطع والمحدد، كما ينزع للثابت على حساب المتغير، والسائد على حساب المتجدد، ويلح على الإجماع مع نفوره من الاختلاف والتعدد(على و حجازي، 2005م، ص250–251 ).

وإن كانت المعاصرة ليست خيرا محضا فإن التقليد ليس شراً محضا ، ولا بأس من الأخذ منه بقدر الحاجة حتى لا يصبح نموذجاً جامداً ، فالسلف كانت لهم جهود مثمرة في تطوير آلياتهم ونجحوا في التفوق على بقية الأمم ، لكن حين تتبعت الأمة الوسيلة نفسها والأسلوب ذاته دون أن تنظر الى المنهج الثابت سقطت في أوحال التخلف الحضاري.

ومما يؤكد ضعف بعض العقليات العربية تكبيل وتقييد الإبداع العربي على الرغم من تميزه، وهو ما أدى إلى تمحور حول الذات وشبه مقاطعة معرفية مع فكر الآخرين . والباحث في هذا الاتجاه يؤيد فكرة أن طريقة التفكير كانت ولا تزال سبب أي تخلف: ثقافي أو اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي ، وذلك ليس لطبيعة فيها وإنما لعوامل أثرت عليها ، لأن العقلية القوية ذات التفكير السليم تمثل الأرضية ، والبنية التحتية التي يقوم عليها التقدم في كافة المجالات، وقد اعتمد الإسلام في إحداث بعض التغييرات في المجتمع على العقل، فقام بتغيير سلوك الأفراد والمجتمع الأمر الذي ساهم في الارتقاء بالمسلمين دينياً ودنيوياً.

وما عزوف المبدعين عن تلقي العلوم والمعارف ، إلا ثمرة هذا التحنيط العلمي ومن ذلك " انطفاء شعلة الإبداع ، وانصراف دارسي العلم إلى الانصياع لتيار الجمود ، اكتفاء بما صنعه القدماء ' والاتكال على فكرهم كلية ' وبالتالي استغراق الوقت في قراءات هامشية تستند على متون وشروح

وحواشٍ ومختصرات لا تحمل من العلم إلا أقله ، يكرر بعضها بعضاً بطرق متفاوتة " (ساعاتي ، 1988م ، ص85 )

**د : الإرادة السياسية .**

لقد أرجع بعض الباحثين التخلف الاجتماعي إلى ما فعله بعض الحكام ، وعدد من الأنظمة العربية في الماضي ، من قتل وإذلال للحريات وبطشٍ برجال الدين والمواطنين وكل مخالفيهم، عطفاً على ما أصاب بعض أئمة المذاهب من أذى؛ مستشهدين بضرب وتعذيب مالك وأبو حنيفة وابن حنبل؛ حيث أصيب الفكر الإسلامي كله بالرعب، وهو آفة الفكر الكبرى في كل زمان ومكان (مؤنس ، 1975م، ص7).

وأدّى ضعف الخلافة الإسلامية، ثم سقوطها بعد ذلك عام 1924م إلى تشرذم وتمزيق البلاد الإسلامية، وإحلال النزاعات بينها، بإيعاز ومساعدة من الاستعمار، الذي سيطر على البلاد العربية في ذلك الوقت، ثم المحاولات الخارجية الجادة لتحويل البلاد الإسلامية إلى مجتمعات علمانية، تحت دعوى التقدم والتحديث؛ وذلك لسلخها من هويتها الإسلامية " وحيثُ إني قد تمحّص عندي أنّ أصل الدّاء هو الاستبداد السّياسي ودواؤه دفعه بالشّورى الدّستورية. وقد استقرَّ فكري على ذلك كما أنّ لكُلّ نبأ مستقراً بعد بحث ثلاثين عام ( الكواكبي ، 2011، ص12)

وقد انعكس ذلك بالضرورة على شتى نواحي الحياة؛ فأصيبت بالعطب، وحرص رجال الفكر وأشباههم بعد ذلك على الابتعاد إلا قليلا عن تناول سياسات الأمة ، وثقافتها أو الحديث عن ذلك، وخاصة إذا كانت آراؤهم تتعارض مع آراء من يسوسونهم؛ فكان ذلك البداية الحقيقية لتخلف المجتمعات العربية والإسلامية وذبولها(مؤنس ، 1975م، ص7) .

وقد يبلغ فعل الاستبداد أن يحوِّل ميلها الطبيعي من طلب الترقّي إلى التسفُّل، بحيث لو دُفِعَت إلى الرِّفعة لأبت وتألَّمت كما يتألَّم الأجهر من النور، وإذا أُلزِمَت بالحرية تشقى، عندئذٍ يصير الاستبداد كالعلق يطيب له المقام على امتصاص دم الأمة، فلا ينفكُّ عنها حتى تموت ويموت هو بموتها. وتوصف حركة الترقّي والانحطاط في الشؤون الحيوية للإنسان؛ أنها من نوع الحركة الدودية، التي تحصل بالاندفاع والانقباض، وذلك أنَّ الإنسان يولد وهو أعجز حراكاً وإدراكاً، ثمَّ يأخذ في السير، تدفعه الرغائب النفسية والعقلية وتقبضه الموانع الطبيعية والمزاحمة( الكواكبي ، 2011، ص12) .

كما أن هناك عدداً من الأسباب الأخرى التي ساهمت في تأخر خروج الأمة الإسلامية من بؤرة التخلف الاجتماعي ومن ضمن هذه العوامل : وسائل الإعلام ؛ حيث أصبح الإعلام صناعة ضخمة في البلاد العربية وسلاحاً فتاكاً ، يمارس تأثيرا داخلياً وخارجياً ، ودراسات عديدة أثبتت أن الإعلام يسطح الوعي ، ويجعل الناس يسيرون في مدار مقصود خاو من المضمون الأصيل ، ويغفل أدوارا أساسية وجوهرية للإسهام في التنمية الثقافية " ( زايد ، 2010م ، ص39 ) .

كما أن من ضمن هذه العوامل: انعدام القدوات من الساسة والمفكرين والعلماء والقادة ؛ حيث كان العلماء القادة ، هم القدوة التي يقتدى بهم ، ولكن هذا الجانب ضعف في العصر الحاضر، فلم يعد كثير من العلماء أهلا لئن يحتذى بهم حيث فقدوا مقومات القدوة، ولذلك وبسبب ضعف القدوة لدى هؤلاء اقتدى الناس بالمنحرفين " لذا فإن البعث الحضاري للأمة يقتضي منا تغيير كثير من عاداتنا الاجتماعية التي تمنع حركتنا من الانطلاق ، ولن يتم هذا التغيير إلا بالقدوة الحسنة والإرشاد الهادف . إن المسؤولية كبيرة ولا بد أن يشترك فيها أبناء المجتمع كله فهي مسؤولية الجميع وإن كانت تقع في جزئها الأكبر على القدوة" ( سفر ، 1400هـ، ص 62)

وحسب هذه الدراسة أنها ستتناول ثلاثة مظاهر من مظاهر التخلف الاجتماعي ، وهي التعصب القبلي ، وتفشي الأمية ، وإهدار الوقت وهذه المظاهر تمثل أبرز إشكاليات التنمية الاجتماعية .

# الفصل الرابع

## بعض مظاهر التخلف في المجتمعات العربية والإسلامية:

المبحث الأول : التعصب القبلي

أ : تعريف العصبية القبلية لغة

ب: تعريف العصبية القبلية اصطلاحا

ج: نبذة تاريخية عن التعصب القبلي

د: معالم التعصب القبلي :

المبحث الثاني : مظاهر إهدار الوقت

أ – تعريف الوقت لغة

ب– تعريف الوقت اصطلاحاً

ج : معالم إهدار الوقت

المبحث الثالث : تفشي الأمية بأنواعها

أ : تعريف الأمّية لغة واصطلاحاً .

ب : الأمية الأبجدية

ج : معالم تفشي الأمية الأبجدية

د : الأمية الحضارية

هـ: معالم الأمية الحضارية .

**تمهيد :**

تشير الدلالة اللغوية للفظة المظاهر أنها هي الصور التي يبدو عليها الشيء كما أنها هي العلاقات بين الأشياء(مدكور وآخرون، 1972م، ص599) ومن هذا المنطلق، فإن الباحث يقصد بمظاهر التخلف الاجتماعي : الصور والأشكال والأنماط التي يبدو عليها هذا التخلف في المجتمع الإسلامي ، وهي السمات أو السلوكيات، التي تتصف بها المجتمعات، أو تصدر من أفرادها، مما له علاقة بصورة أو بأخرى بالتخلف أو الخلل المجتمعي، والذي من شأنه أن يعوق التنمية في البلاد الإسلامية.

ومهما كان موقع كل مجتمع من تلك المجتمعات من القمة أو القاع أو الوسط بينهما، فإن كلا منها لم يقرب من سمات التقدم مجتمعة " وبمعنى آخر فإن بعضا منها قد تتحسن فيه الظروف الاقتصادية، ولكنه في ذات الوقت تسوء أو تتخلف فيه الجوانب الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وقد تتحسن في بعض تلك المجتمعات الظروف السياسية بدرجة ما، بينما تتدنى بقية الجوانب وهكذا، بحيث تكون المحصلة النهائية مجتمعا متخلفا بصورة أو بأخرى" (الجوهري وآخرون ، 1999م ، ص423).

فالفرق الواضح في تحديد مقياس موحد للتخلف ، فبينما تركز المجتمعات غير الإسلامية على الجوانب المادية في التخلف ، ولا تعني بالجوانب الروحية إلا شذراً، فإن المجتمعات العربية والإسلامية تُعنى بالجانبين معا، بل قد يكون التركيز منصبا على الجوانب الروحية في التخلف أكثر من الجوانب المادية وهي الشرارة التي ينبعث منها التخلف الاجتماعي

وتتنوع مظاهر التخلف الاجتماعي وتتعدد في المجتمعات الإسلامية، ونظرا لهذا التنوع والتعدد فإن الباحث سيقتصر على تناول بعضها؛ إذ هي جانب فقط من الدراسة، وليست كل الموضوع ، حيث ستتناول الدراسة في المبحث الأول : التعصب القبلي ، فيما ستناقش في المبحث الثاني : إهدار الوقت ، وسيكون المبحث الثالث مخصصاً لمظهر تفشي الأمية ، وذلك بعد أن أثبتت الملاحظة اليومية للباحث أن هذه المظاهر غالبا ما تطغى على بعض المجتمعات الإسلامية ، كما أن العديد من الدارسين سلط الضوء على بعض هذه المظاهر كونها تسهم في الضغط على عوامل التنمية في كل بلد .

**المبحث الأول: التعصب القبلي**

**أ : تعريف العصبية القبلية لغة:**

العصبية مأخوذة في اللغة من العَصْبِ وهو: الطَّي والشَّد . وعَصَبَ الشيء يَعْصِبُه عَصْبَاً: طواه ولواه، وقيل: شدَّه . وعصبة الرجل أقاربه من جهة أبيه، سمُّوا عصبة لإحاطتهم به إحاطة العصابة بالرأس ، وعصبة الرجل الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم ( ابن منظور،د .ت، ص **2966** ) ومنه " وَنَحْنُ عُصْبَةٌ " (يوسف، الآية 14)

فعندما تكون المحاماة والمدافعة من أجل القبيلة ؛ فإن ذلك مما يدل على دخول المجتمع في مسلسل من الصراعات التي لا تنتهي، إذ داخل القبيلة الواحدة فخوذ وبطون سوف تتقاتل فيما بينها بدافع المحاماة والتعصب ، وجاء في محيط المحيط أنها " الخصلة المنسوبة إلى العصبة ، فإذا قلت : تعصب الرجل فكأنك قلت : أرى في نفسه هذه الخصلة " ( البستاني ، 1977م، ص 604).

أما القبليّة فهي نسبة إلى القَبِيْلَة ، والقبيلة من الناس: بنو أب واحد. وقد عرفتها الموسوعة العربية الميسرة ب " مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة ويسكنون إقليما واحداً مشتركاً يعتبرونه ملكا خاصا بهم " ( غربال ، 1987م، مج 2) وهي " واحد قبائِلِ الرأسِ، وهي القطعُ المَشْعوبُ بعضها إلى بعض، تصلُ بها الشُؤونُ. وبها سمِّيت قبائِلُ العربِ. والواحدةُ قَبيلةٌ، وهم بنو أبٍ واحدٍ " ( الجوهري ، 1979م، ص 1797).

**ب : في الاصطلاح**

أما في الاصطلاح فجاء في لسان العرب حول معنى العصبية القبلية" أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم، على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين" ( ابن منظور، د ت ، ص 609).

كما أنها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكه، فالقريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ، و يود لو يحول بينه و بين ما يصله من المعاطب و المهالك ، وهي نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا ( ابن خلدون ، د ت ، ص 54) .

وقد عرّف بعضهم العصبية بأنها: "رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معاً، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطاً مستمراً يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة" ( الجابري، 1994م، ص 168) .

وقال( سلامة، 1373هـ) العصبية معناها: التلاحم بالعصب، والالتصاق بالدم، والتكاثر بالنسل، ووفرة العدد، والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول ( ص 81 ) إلى غير ذلك من تعريفات وتفسيرات للعصبية تدور في مجملها حول معنيين رئيسين هما (الاجتماع والنصرة) اللذان يمثلان صلب العصبية. و القبيلة في مصطلح علماء الاجتماع تطلق على " مجموعة من العشائر والجماعات النسبية أو النجوع والقرى ، ولها أرض مخصصة ولغة مشتركة بين عشائرها ، وقراها ولها كذلك ثقافة واحدة ويسودها تضامن اجتماعي وثيق يربط أفرادها بعضهم ببعض " (مدكور ، 19785م ، ص 465-466)

ورأى بعض الباحثين أن القَبولَة وهي التعصب القبلي " مجموعة من صفات مختلفة منها الحسن ومنها القبيح ، فهي مزيج من الإباء ، وحماية الجار ، والأخذ بالثار ،وإغاثة الملهوف ، وصلابة الرأي ، ومنها الظلم ، والاعتداء ، والبطش ، والحمية الجاهلية " ( الجريسي ، 1427هـ، ص85)

لذلك فإن معنى العصبية القبلية يتضمن اتفاقية قومية بين أشخاص تجمعهم آصرة النسب وذلك لنصرة بعضهم بعضاً ظالمين أو مظلومين ضد خصومهم ، وهذا المعنى ورد في حديث بِنْتِ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ الذي سأل أبوها الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْعَصَبِيَّةُ قَالَ أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ ( سنن أبي داوود ، أبواب النوم ، رقم الحديث 5119). ويستخلص الباحث من تعاريف الباحثين في العصبية القبلية معنيين :

١ - الاجتماع حول رمز مقدس أو أيدلوجية موحدة وتفويضه ، أو تفويضها بالرأي حول موقف معين ، وليس بالضرورة صواب هذا الرأي .
٢ - منظار يتطلع من خلاله الفرد أو الجماعة إلى الأشياء أو الأشخاص.

ومن هذه المعاني فإن العصبية في الجماعة شعور فئوي بوحداتها المتميزة، بشوكتها، بكونها سلطة واحدة، وجسماً واحداً ومصلحة واحدة، قوية التضامن والتماسك، يشد أفرادها بعضهم إلى بعض، شعور بالانتماء إليها لا إلى غيرها من الجماعات، وشعور الانتماء هذا يولد في أفرادها التزاماً قيمياً فئوياً نحوها، بكل ما لها وما عليها التزاماً واجباً ومسؤولاً، يجعل الأخ ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً ويجعل جماعة العصبية ترى شرارها أفضل من أخيار غيرها ( قباني ، 1997م، ص 45) .

**ج : نبذة تاريخية عن التعصب القبلي .**

حدد علم الاجتماع في قاموسه ثلاثة مفاهيم للقبيلة وهي " نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية ، وهي تجمع كبير أو صغير من الناس يستغلون اقليماً معيناً ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافياً . وهي وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط بإقليم وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية " ( بو طالب ، 2002م، ص 55)

وتُعدّ القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية؛ ذلك لأنّ القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد وينحدرون من أب واحد. والواقع أنّ الذي يجمع أفراد تلك الجماعة في ما يسمى القبيلة إنما هو الشعور بذلك الانتماء، وهذا الشعور يدعى العصبية وكان مجتمع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ينقسم إلى عرب وهم سكان المدن والمراكز الحضرية، وكانوا يسمّون أهل المدر، أي أصحاب البيوت المبنية والأعراب وهم الذين يقطنون البادية، وكان يطلق عليهم أهل الوبر، أي الذين يعيشون في الخيام . وبين البداوة والحضارة فَرْق أساسيّ واحد: يكتفي البدويّ بالضروريّ من أسباب المعاش، بينما يتوسّع أهل الحضر في أسباب الترف من المطاعم والملابس والمساكن ، ومن هذا الفَرْق الأساسيّ تتفرّع جميع خصائص البداوة وجميع خصائص الحضارة المدنية بما في البداوة وفي الحضارة البدوية من المحاسن والمساوئ " (فروخ، 1984م،ص 56-57).

ويحكي التاريخ في العديد من أحداثه عددا من الحروب والنزاعات التي كان سببها التعصب القبلي والميل إلى جنس دون آخر ، وكيف فشلت كل المنظمات العالمية ذات القوانين الوضعية في كبح جماحها، وتحرير العالم من سيطرتها، كما فشلت في تنظيم تعاملها وإشعارها بالأخوة الإنسانية، لأن الذين نظموها ووضعوا دستورها، هم أنفسهم قواد القوميات المتنازعة، وطلاب السيادة على العالم وكذلك كان الوضع قديما قبل الإسلام: تعصب قومي في كل مكان وحروب مستمرة بين القوميات ، فقدماء اليونان كانوا يرون أن السيادة الإنسانية ، مقصورة على العنصر اليوناني والدم اليوناني وحده، وكل غير يوناني برابرة من حق اليوناني أن يستعبدهم، وخلفهم الرومان على السيطرة والفلسفة، فاعتنقوا هذه النظرية أيضا، واعتقدوا أن غيرهم عبيد لهم، وإن كانوا قد أعطوا هؤلاء البرابرة شيئاً تافهاً من الحقوق الإنسانية .

وفي الشرق اعتز الفرس بقوميّتهم وعنصرهم إلى حد بعيد، ورأوا غيرهم همجا ليس لهم من الشرف الإلهي مثل ما لهم ، والى جانب هؤلاء كان العرب، أُمة شّعبتها العصبية، وفرقتها الأهواء والنزوات فلا رابط يربط بين قبائلها، ولا جامع يجمع شتاتها، حتى احترب بنو الأب الواحد ، وسيطر

التعصب على كل شيء عربي وتحكمت العصبية القبلية حتى كانت الموجه الأول للحياة العربية، والحروب الطاحنة التي دارت بين الفرس والإغريق ، ثم بين الفرس والرومان، وبين الرومان والقرطاجيين، وبين الفرس والعرب في ذي قار، خير دليل على مدى الكفاح بين القوميات في العصور التي سبقت الإسلام"ولقد كان النظام السائد لدى الشعوب السامية النظام القبلي والرابطة المسيطرة العصبية القبلية وفيما يتعلق بنا نحن العرب نرى هذه العصبية عميقة الجذور متغلغلة في ثنايا الماضي المديد ، بادية فعلها لا في موطنها في الجزيرة العربية فحسب بل في كل صقع انتقل إليه العرب وبسطوا فيه سلطتهم " ( عمر ، 1998م ، ص 224)

وقد اعترف بعض الباحثين الغربيين بوجود النزعات القبلية ، وتجذرها في تاريخهم القديم والحديث حيث اعتبر أنه " من الوهم القول بأن المجتمعات المتطورة قد فقدت علاماتها التقليدية وطرحت أيدلوجياتها وتخلصت من قيم أسلافها . لكن يجب الاقتراب أكثر من الظواهر التي تغري يوميا بمنطق سحق الجسم الاجتماعي " ( بوطالب ، 2002م، ص 64)

ولا ينكر أحد أن العصبيات القبلية تهدم دولاً وتقوض حضارات ، ولقد استطاع المسلمون تأسيس حضارة راقية في الأندلس بفضل تمسكهم بالدين الإسلامي ، وتوحدهم على راية واحد " فلما انتهى ذلك القرن وتعاقب على بلاد الأندلس عدداً من الولاة ، في أعقاب خلافة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) ، بدأت عوامل الضعف تنخر في المجتمع الإسلامي بالأندلس ، وكان من أشدها فتكاً به روح العصبية القبلية التي ظهرت للعيان منذ القرن الثاني الهجري ، حيث بدا الأمر واضحا في خلافة الهيثم بن عبد الله الكناني 111هـ الذي آثر قومه ضد اليمنيين ، مما أثار اليمنيين وأعلنوا عصياناً ضد الدولة " ( السحيباني ، 1432هـ، ص77)

ولقد كانت هناك عنصرية بين العرب والموالي في الدولة الأموية ، ولم يقتصر احتقار العرب على الموالي بل تعداهم إلى طائفة المولدين، فكانوا يحتقرون ابن الأمة من العربي، ويسمونه الهجين وكان الموالي ينظرون إلى بني أمية على أنهم لا يعاملونهم بمبادئ الإسلام وروحه وانحاز كثير منهم إلى كل ثائر على الدولة الأموية ، وفي عصر الطوائف ما كانت لتحدث تلك الانتكاسة التي أعقبت جيل صلاح الدين ، وانتهت بأبناء هذا الجيل وأحفاده إلى الإقطاع السياسي والدروشة الصوفية لولا بقاء الأفكار وقيم العصبيات القبلية في شؤون القيادة والإدارة السياسية والفكرية (الكيلاني ، 1430هـ، ص 380)

ورغم أن كتب التاريخ حكت جزءا من معالجة هذه الظاهرة ، إلا أن الطريقة التي استخدمها أحد أمراء الأندلس لم تكن ناجعة في إخماد هذه الفتنة " ومما يذكر هنا ما فعله المنصور بن أبي عامر ( 336 – 392هـ) فإنه حينما تولى الأمر ، عزم على القضاء على أكبر خطر في هذا الميدان ، وهو خطر العصبية القبلية في بلاد الأندلس ، حيث فرّق شمل القبائل العربية ، كما منع العرب من الجهاد ، وألزمهم إعطاء الأموال لهذا الغرض على قدر إمكانهم ، مثلهم في ذلك مثل بقية الناس ، فصار العرب رعية مثل غيرهم من الناس " (السحيباني ، 1423هـ، ص 78).

وفي العصر العباسي وصل التعصب إلى أشعارهم ، حتى قال أحد شعرائهم وهو قريط بن أنيف معززاً من قيمة التعصب الأعمى للقبيلة:

| | |
|---|---|
| لو كنت من مازن لم تستبح إبلي | بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا |
| قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم | طاروا إليه زرافات ووحدانا |
| لا يسألون أخاهم حين يندبهم | في النائبات إذا ما قال برهانا |
| لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد | ليسوا من الشر في شيء وإن هانا |

ففي هذه الأبيات التي أوردها ( أبو تمام ، 1322هـ ، ص3) تكشف عن نوعين من القبيلة ، نوع واقعي وهو القبيلة التي ليست من الشر وتميل إلى الحياة ، والثاني هو قبيلة متمنّاة ، وهي قبيلة يراها الشاعر شريرة وصانعة للشر ، وهو يرفض القبيلة الخيّرة حتى وإن كانت من أهله وعشيرته ، ويتمنى الأخرى الشريرة ، ويشيد بدلالات الشر وصيغه ( الغذامي ، 2009م ،ص 97-98) .

وتبرز السلبية الأبرز في العصبية القبلية كونها تدمج الفرد في جماعته ، مما ينتج شعوراً عدائيا ضد الآخر " فمن جهة أولى ينتج عن هذا التضامن المتبادل ، أن مجال تواصل الشخص ، مع غيره محدود بحدود عصبيته ، فكل ما عداها يعتبر غريباً يجب الحذر منه ، فالعصبية من هذه الناحية شعور سلبي إزاء الآخرين بقدر ما هي شعور إيجابي ، يشد أفراد العصبة بعضهم إلى بعض ، وهذا الشعور الايجابي من جهة ، والسلبي من جهة أخرى هو سر بقاء العصبة كوحدة اجتماعية متماسكة ، ذات كيان واضح " ( الجابري ، 1994م، ص 168-169)

ومنذ القدم ما قبل الجاهلية وولاء الفرد في المجتمع العربي في علاقة ذوبانية، واحتماء دمجي بالعائلة أو العشيرة أو المذهب أو الطائفة ، أي تحول المرء إلى شيء، وهو تبخيس لقيمته وإنسانيته، واحترامه لذاته وكيانه وفقد لشخصيته واستقلاله ، والتي تعني عودة المرء إلى طفل صغير

، يحتمي بوالديه وذوبانه في جسدهما رمزيا وتخيليا ، لينعم بالسكينة والاطمئنان ، والأمن النفسي ، ويبتعد عن مثيرات القلق والألم ، من منطلق إنهما يعبران له عن مصدر الحماية والحب ، وبالتالي يتمتع المرء بقوة للتصدي للأخطار وخاصة عند وقوع الكوارث لإحساسه بالعجز عن ردّها ذاتيا ، وبالتالي يفقد المرء استقلاليته وذاته ، وهنا ينتفي مفهوم المكان أو الوطن أو المجتمع لديه ( نجم الدين ، 1425هـ ، ص12-11).

لذا فان فكرة المجتمع أو الوطن مجردة لا تتخذ أي معنى ، إلا في ارتباطها بالنماذج الأولية للقرابة والدين . أما في إطار التقاليد الاجتماعية فان سلطة الأب وشيخ القبيلة والزعيم الديني فهي التي تحدد ولاء الفرد ، ويوفر تقليد الواسطة مرونة وحيوية فهي تضمن حماية الفرد والمجتمع ( الجماعة ) ومصالحهما المادية بما في ذلك الفرد الأدنى مرتبة في المجتمع، بذلك تعزّز شعور الفرد بالهوية ، ولا تعمل فقط على تنشئته اجتماعيا ليرقى بسيادة السلطة ، بل إنها تدرّبه على التعامل معها (شرابي ، 1993م، ص64-65 ) .

وقد أثبتت كتب المؤرخين أن الأحداث التاريخية في بلاد المغرب ، وخاصة خلال الفترة الزمنية التي تلت تفكك أو سقوط الدولة الموحدية تكشف الكارثة الخطيرة ، حيث تتبلور صورة المجتمع المغربي المخزية ، والمؤلمة ، تلك الصورة التي حفرت بمعول العصبية القبلية ( الدراجي، 2003م، ص 6)

إن العصبية القبلية والتراتب الطبقي والهرمي للأفراد والجماعات الطائفية العشائرية- الأثنية والسلطوية السياسية والتخلف العام في مختلف مناحي الحياة ، بالإضافة إلى تفاقم معضلة الانتماء العربي كانت من الأسباب الرئيسية في خلق حالة من التخلف العام بالتوازي مع استمرار الظروف التي خلقتها التنشئة وظروف البيئة الطبيعية (شرابي ، 1993م ، ص 45 - 49)

إن هذا المشهد في حياة المجتمع العربي وأنظمته السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية ، قد تأثر بهذا الجانب - النمط الأبوي - في تحليل لماضيه و حاضره ومستقبله ، فحول علاقة الفرد بأسرته من جهة وبالمؤسسات المجتمعية من جهة أخرى ، فهي إما أن تتصف بالتكامل أو بالتناقض ، وتقوم على التفاعل والتأثير المتبادل حيث يتناقض الولاء المجتمعي والولاء القومي مع الولاء العائلي في مرحلة التنشئة الأسرية ، كذلك يشير الفكر القومي أحيانا إلى التناقض ورفض الولاء الاجتماعي مقابل الولاء القبلي ، الذي يتصف بالتماسك والتواكل والعصبية والتوحّد حيث عكس ذلك- بعد ظهور الإسلام- طبيعة تركيب العائلة أيام الجاهلية ، واستمرت إلى اليوم حيث تعتبر الأسرة القبيلة (النواة المركزية) للنشاطات الاقتصادية والاجتماعية وأبوية السلطة وهرمية التراتب ، رغم توسع

نظام الخدمات وسيطرة الدولة ومع هذا فلم تزل تشكّل وحدة ومركز كالسابق (بركات ، 1996، ص 171- 179 )

لقد لفت ( الدراجي ، 2003م) أن ظاهرة العصبية القبلية في بلاد المغرب الإسلامي وقفت في طريق أي مسيرة تنظيمية أرادتها أو قررتها الدول التي نشأت في هذه الديار ، بحيث كانت العصبية دوماً بمثابة حجر عثرة ، بل غدت معول هدم وتدمير لكل خطوة حضارية تخطوها أية دولة من تلك الدول ( ص 4) .

لقد حمّل البعض تراجع دور المرأة العربية إلى القبلية والتنظيم الأبوي برغم إيمانه بأهمية المرأة وحمايتها وشرفها " وقد جاء الإسلام بمفهوم الأمة ، كتعبير عن الهوية الجماعية ، ليحل محل القبيلة ، إلا أن القبائل العربية الأعرابية ، والى حد كبير الحضرية – الريفية ، حافظت باستمرار على تكويناتها السلطوية على ما كانت عليه " ( تقرير التنمية الإنسانية العربية ، 2005م ، ص 15) وقد كان لولادة النظام التسلطي الحديث دور كبير في تحجيم نمو المؤسسات المدنية كما أن العصبة تسحب من الرجل هويته الفردية وتلزمه التضامن في ولاية الدم والثأر، وتعطيه بالمقابل صاحب امتيازات في الجماعة نفسها ، أما المرأة فتدفع الثمن الأغلى لهذه المقايضة في تلك المنظومة الأبوية ، حيث تصبح وسيلة الإنتاج الرئيسة في القبيلة ، مع ما يرتبه هذا الموقع من مكانة متميزة .

إن من يضع يده جيدا على جرح التخلف الاجتماعي ، يلمس أن وراء إحداثه خللا في بنية المجتمع ، والقبليّة جزء من ذلك ، وبعض مشكلات التنمية نابعة من استمرارية تحكم بعض البنى الاجتماعية التقليدية في بعض المجتمعات المعاصرة " وتمثل الظاهرة القبلية في المنطقة العربية إحدى الظواهر التي هجرها البحث الاجتماعي في المرحلة الراهنة ، ولعل ضغوطات موضوعات التنمية والبناء الوطني والقومي ونقل العلوم الاجتماعية ، تمثل بعضا من مبررات هذا الهجر . تمر عقود ولا تظهر الأبحاث المتعلقة بالبنية القبلية إلا لماما هنا أو هناك " ( بو طالب ، 2002م ، ص 13) .

ومن هذا المنطلق فإن التعصب القبلي ، أحد معوقات التنمية على المستوى المحلي والقومي والعالمي، فأغلب خطط التنمية تعيش في دوائر عرقية وطنية مما يمنع تحقيق القفزات القومية والكبيرة سوء كانت اقتصادية، أو سياسية أو تكنولوجية ، أو إدارية، أو ثقافية . ويتنكر التعصب العرقي أحيانا في ثوب المصلحة الوطنية، ويتكلم أحيانا أخرى باسم مصلحة القبيلة، أو العائلة أو الأسرة ولعل، أخطر ما في التعصب العراقي أنه عدو مجهول، أي لم يدرك الكثيرون إلى الآن خطورته وآثاره

المدمرة ، فالكثيرون يعتبرونه جزءاً من الانتماء الوطني أو القبلي أو القومي ولهذا يتمسكون به، بل يدافعون عنه، وهم لا يشعرون أنهم يدافعون عن الباطل، والتخلف، والجهل ( الدويهيس ، 1419هـ، ص 3)

ويعترف باحثي الآثار والأنساب ، أن من بديهيات التاريخ أن النسب فيه دائماً صفحات مجهولة، وروايات متناقضة وضعيفة ، وأحياناً مزورة ، لاسيما من يتحدث عن صفحات تزيد عن ألفي سنة ، في حين أن الكثير يجهل صفحات كثيرة من التاريخ المعاصر ، مع ما يوجد من مذكرات كثيرة يكتبها بعض من شاركوا بالقرارات الكبيرة، هذا إضافة إلى وجود مؤرخين وسياسيين يتابعون الأحداث بصورة يومية . ومع ذلك فقد تجد من يحتج بفضل العصبية القبلية وآثارها الايجابية منتحياً بالآية الكريمة إلى غير مقصدها في قوله تعالى " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات :13 ) " لكن من يتفحص مغزى الآية فإنه سيجد غرضها واضحاً للعيان في قوله تعالى ( لتعارفوا) ولم يقل لتوجدوا بينكم طبقيات وتشعبات ، لايقرّها القرآن المجيد ، ولا الإسلام في توجيهاته كافة ، ولا تقرها الأعراف الإنسانية الحميدة ، ولا يقبل بها منطق ، بل إنها تضاد ذلك كله ، فهل يودّ قبيلي أن ينزل منزلة الآخر فيمتهن ويُنتقص من قدره ؟!" ( الجريسي ، 1427هـ، ص85) .

لذلك فإن التعصب قد يكون للجنس ، واللون ، واللغة ، والمذهب ،والوطن ، والحزب والطائفة والجماعة الدينية ، بل والعصبية المهنية ؛ وكلها تشكيلات اجتماعية لا يمانع منها الإسلام إلا في حالة أن تؤدي إلى الظلم والتمايز والسخرية والاستهزاء، ومن دلائل النبوة ما جاء من أحاديث تثبت أن هذا التعصب سوف يظل ظاهرة فردية في المجتمعات إلى يوم القيامة حيث قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلاثٌ لَنْ يَزَلْنَ فِي أُمَّتِي : التَّفَاخُرُ فِي الأَحْسَابِ ، وَالنِّيَاحَةُ ، وَالأَنْوَاءُ " ( ابن عبد البر ، باب الصاد ، رقم الحديث 2618 )

فالعصبية أياً كان نوعها هي إحدى مظاهر التخلف الاجتماعي ، ومن أهم سماتها أن لا قيمة للإنسان لديها ؛ فلا تحترم حياته ولا شخصه ولا كرامته أو حريته وحقه ، ولا تولي مواعيده وعهوده أي اعتبار أو أهمية أو احترام ، حيث يصعب عليه الاعتراف بحق وذات الأخر، لانتفاء الاحترام والمساواة ، والشعور الشديد بتمّلك الأخر ووجوب ذوبانه فيه ، بوجوب استيعابه في السيطرة والهيمنة عليه ( قباني ، 1997، ص 47 ) بل لقد برز التعصب القبلي – في أبرز صراعاته الحديثة – من خلال المنتديات الإلكترونية فأضحى يشكل أكبر خطر يواجه الوحدة الوطنية، مطلقاً صيحة تحذير

من خطر هذه المنتديات التي تروج للتعصب القبلي وتثير النعرات الجاهلية ، و من أبرز مآخذه ؛ ذكر الحروب السابقة وأن قبيلة أفضل من أخرى .

لقد انحرفت القبيلة في عدد من المجتمعات عن دورها الأساسي في التعاون على البر والتقوى والتعارف بين الأفراد الأمر الذي أنتج طبقاتٍ وفئاتٍ قسّمت المجتمع إلى درجات عليا ودنيا ، لذلك فإن سيطرة العصبيات في المجتمع العربي هو واقع حقيقي، ولا يستطيع المتأمل لها فهم الأحداث السياسية أو التحولات الجارية ، بدون أن فهم تأثير العصبيات وجذورها العميقة ، وانتماءاتها العرقية ، والطائفية والقبليّة والمناطقية ، والمحلية ، حتى أنها أدت إلى فشل الكثير من تحقيق برامج وأهداف المجتمع والنظام العربي ، وخاصة المشروع القومي منه ، إذ ما إن يبدأ المشروع حتى يفشل ويتبخر أمام الولاءات والمصالح العصبية ، وبالتالي يتبخر كل اثر للثقافة والتعليم والفكر الحر ومفاهيم العصرنة والتمدن ، نتيجة فشل النظام العربي في إنجاز الاندماج الاجتماعي، وارتداد الفرد العربي إلى انتمائه الطائفي ، والقبلي والعرقي في الوقت الحاضر ، الذي يتميز بالأزمات والاضطرابات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية( نجم الدين ، 1425هـ، ص 72).

والقبيلة ليست شراً محدقاً للراصد الجيد لها ، لكن حين يعكس السلوك التي يؤمنون بها عن أفكار سلبية تقاوم التقدم ، والتنمية فإنها حين ذلك تصبح معيقاً لأي تقدم منشود ، ولقد اعتبر بعض الباحثين أن نشوء الخلية البشرية يكون في العائلة، ثم في القبيلة ، في كل أصقاع العالم مما يعني أن " هذه مسألة اجتماعية وثقافية تشمل الإنسانية كلها ، ولا تخص قوماً دون قوم على نقيض التصور الثقافي السائد اليوم ، من أن النظام القبلي هو من خصوصيات الثقافات الآسيوية والأفريقية ، وهناك من يربطه بثقافة التخلف والركود ، وما هو سوى مرحلة من مراحل النمو البشري كاستجابة لظروف الحياة ، ومن بين هذه التكوينات ظلت الخلية العائلية ثابتة ، على مر التاريخ والثقافات والظروف ، بينما تنوع مفهوم القبيلة وتبدل ما بين مفاهيم العرق والجنس والهوية بإزاء الطائفة والمذهب " ( الغذامي ، 2009م، ص 32)

**د : معالم ومشاهد التعصب القبلي .**

والتعصب القبلي يتمثل في العديد من المظاهر والمشاهد لعل أبرزها:

**١ -الانتقام من الآخر والثأر للنفس :**

الثأر مظهر من مظاهر التضامن القبلي " وقد عرفته جميع القبائل العربية القديمة دون استثناء كوسيلة من وسائل العقاب الخاص ، فإذا وقت جريمة وكان الجاني والمجني عليه من نفس القبيلة

كان العقاب من اختصاص أسرة المجني عليه ، ولها الخيار بين الانتقام الشخصي أو التحكيم ، وإن كانا من قبيلتين مختلفتين تولت قبيلة المجني عليه الثأر لقبيلتها عملاً بمبدأ التضامن القبلي " (المشهداني ، 1423هـ، ص 217)

وتكمن إشكالية الثأر والتي تقوض دولاً قائمة في أنها لا تهدف إلى إقامة العدل في المجتمع والاقتصاص بقدر الجريمة " لكنه يهدف للتعويض عن الخسارة التي أصيبت بها القبيلة بفقد أحد رجالها فهو يتجه إلى إضعاف القبيلة التي وقع منها الاعتداء " (الكيلاني ، 1982م، ص 50) .

ومن يتابع الصحف العربية لاسيما الصحف العربية ، لا يكاد يمر الشهر أو الشهرين حتى يقرأ حادثة اعتداء أو قتل بسبب الثار الناتج من التعصب القبلي ، والقارئ لروايات ضحايا هذا السلوك ، تجد أنهم يعضون أصابع الندم على ما اقترفوه من فعل شنيع، أودى بهم إلى السجن وقد يحكم على بعضهم بالقصاص قتلاً ، و حكاية المتهم (ث.س) – وهذا رمز لاسمه الحقيقي – وهو أقدم سجين في مدينته منذ 28 عاما، وفي كل يوم يتوقع اقتياده لساحة القصاص بعد جريمة قتل بسبب الثأر ارتكبها ، بالمشاركة مع ابن عمه ثم توفيت زوجته بعد ذلك ، وأصيب ابنه بالصرع ،حين اكتشف أن والده ينتظر القصاص ( عكاظ ،1432 هـ ) وهذا بدوره أدّى إلى شتات أسرة كان مخطط لها أن تشارك في تنمية أمتها ، وتسهم في بناء مجتمعها .

إن الفرق بين المجتمع المثالي والمجتمع المتخلف، هو في أن الأول يقوم بسن القوانين والأنظمة ، ويلتزم بها وينبذ الالتفافات المنحرفة على هذه اللوائح كائناً من كان يقوم بها ، أما المجتمع المتخلف فإنه يسن اللوائح ، ويقفز عليها بطرق مختلفة لعل أبرزها الاعتماد على رابطة الأقارب ،أو القبيلة أو المعارف ، ليقف فوق الجميع . والنافذ بعمق إلى المفاهيم المتعلقة بالقبيلة والقبلية يشعر برائحة التفاضل والتمايز تنبعث منها " على اعتقاد المجموعات القبلية في انتمائها إلى جد أعلى مشترك ، انتماء يميزها من مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها، بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتنافس وتصارع " ( الجابري ، 1990م ، ص 83).

ومن مظاهر إتباع الهوى التعصب للقبيلة والبلد والأقارب والأحباب " وهنا ينبغي أن نفرق بين الولاء في معناه الإيجابي والتعصب بمعناه السلبي والتعصب سمة من سمات المجتمع الجاهلي " ( يونس ، 2004م، ص669)

**٢ -التأثير على صناعة القرار .**

تتأثر القرارات الإدارية في العالم العربي والإسلامي ، بالعديد من العادات ، والتقاليد والأعراف الاجتماعية ، وذلك لأن العامل الاجتماعي الثقافي؛ يرتبط كثيرا بالوضع الاجتماعي في الدولة، التي تتكون من جماعات ، وأفراد تتفاعل مع بعضها ، ومن بين التقاليد التي تؤثر على اتخاذ القرارات في العالم العربي: التسليم المطلق ،أو الاستسلام للظروف ،أو الضغوط القبلية والأسرية ، كما أن هناك العديد من العوامل الاجتماعية مثل : اللامبالاة ، وعدم تحمل المسؤولية ، والانتهازية والتملق إلى السلطة ، أو الجهات العليا ، ومن أبرز هذه العوامل الوساطة والمحسوبية، لذا تتصف العوامل الاجتماعية ،التي تشكل جزءاً من البيئة الخارجية للمنظمة الحكومية في المملكة العربية السعودية ،بانتشار ظاهرة القبلية ومؤازرة الأقرباء وذوي الأرحام ومساندتهم باعتبار ذلك سلوكاً تمليه الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع( الصباغ ، 1982م، ص 22-33) .

ومن ينظر إلى واقع بعض الدول العربية يجد أن مظاهر التعصب قد وصل بعضها إلى صناعة القرار في مراتبه السفلى ، وكثيرا ما يقع الحديث عن القبيلة وعن النزعة القبلية ، وهي نزعة يعبر عنها سلوك الفاعلين ، المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية وللهوية القبلية ، لكن هذه النزعة تبدو متفاوتة الحضور لدى المجتمعات الأخرى ( بوطالب ، 2002م، ص62)

إن أزمة بعض العرب والمسلمين المعاصرين أنهم لم يتعدوا مرحلة الأسر والقبائل الرعوية ، فمنذ بدء الوجود الإنساني ،حاول الناس تنظيم أنفسهم في جماعات بدأت بالأسر ، والقبائل والتجمعات المحلية ، ثم انتقلت إلى الدول والأمم ، حتى انتهت في الوقت الحاضر بالكتل القارية- العالمية" (الكيلاني ، 2005م، ص 159) .

إن بعض الأقطار العربية والمسلمين من غير العرب الذين " دخلت عصبيات العرب إلى بلادهم مع الفتح الإسلامي ، انحسرت من حياتهم -التقاليد الإسلامية في التفكير والحوار - بانحسار التربية الإسلامية ، وظلت هوية العصبيات الأسرية ،والقبلية والطائفية ، ومهاراتها في الفخر والهجاء ، وتطبيقاتها في الميادين السياسية ،والإدارية ، والعسكرية والاجتماعية ، والمعرفية والتي تنذر بإفلاس هذه الأقطار ، وتفريغها من البشر والحيوان والنبات " ( الكيلاني ، 2005م ، ص 159)

وفي هذا الصدد فإن سلبيات التعصب القبلي تكمن في خطورة الأنانية ، وعدم الاعتراف بالآخرين ، وإن كانت القبيلة في معناها الواسع تحرص على التكافل المجتمعي ، وتحرض على مساعدة الآخرين " وكلما كانت الهوية معتمدة على ثنائية ( هم / نحن) فهي هوية سلبية لا تعرف الذات إلا عبر إقصاء الآخر ، ومن هنا نقول إن القبيلة قيمة ثقافية واجتماعية مثلها مثل العائلة

والمذهب والشعب ، ولكن ما هو نسقي وعنصري هو القبائلية مثلها مثل الشعوبية ، وهذا أساس مصطلحي يقوم عليه التصور وتبنى عليه الأفكار " ( الغذامي ، 2009م ، ص10 )

ويعتقد كثير من المعنيين إن تناول قضية من ينتمي إلى قبيلة ، ومن لا ينتمي عمل غير مفيد؛ بدعوى أنه من العنصرية البغيضة التي نهى عنها الإسلام، إلا إن الوقائع تشير إلى إن هذه الظاهرة متجذرة في ثقافة المجتمع ، بل إن الموروث الاجتماعي والثقافي يحظى بقدسية تعادل قدسية الديني أحيانا ، والدليل على ذلك بروز ما سمي بقضية تكافؤ النسب ؛ التي طفت على السطح في السنوات الأخيرة ، والتي تجد لها سندا ومبررا دينيا رغم الخلاف حولها على المستوى الفقهي والاجتماعي. كما أن التقسيم الفئوي على أساس قبيلي وغير قبيلي كما يرى ( الرديعان ، 2008م ) لا يزال قويا في المجتمعات الداخلية في المملكة، وخاصة في المنطقة الوسطى ؛ حيث سطوة العادات والتقاليد والمتوارثات الاجتماعية، لأن البنية التي يتركب منها المجتمع ، هي في الأساس بنية قبليّة ، وأن هناك تصنيفات داخلية حتى للقبائل أنفسها. بكلمة أخرى تقوم القبائل بتصنيف نفسها إلى مراتب فهناك قبائل تعد أعلى وهناك قبائل تعد أقل شأنا ويتعذر الزواج فيما بينهم .

ومن مظاهر التعصب القبلي المتعلقة بالتأثير على صناعة القرار : قيام بعض أبناء القبائل من الكتّاب والباحثين بالتأليف في مجال الأنساب وإصدار الكتب والموسوعات القبلية بداعي الشهرة أو الثروة وكل ذلك دون خبرة أو تمكن من أدوات البحث العلمي " وللأسف الشديد أيضا فإن معظم الكتابات المعاصرة التي أدت إلى ظاهرة زيادة إصدار كتب الأنساب تندرج تحت هذا النوع من المؤلفات " (الحربي ، 1427هـ، ص 27-28) وغذّى هذا النوع من الكتابات الانتشار الواسع بين القبائل على هذه الكتب التي إما أن تعلي قيمة قبيلتها أو تذمّ قبيلة أخرى .

**٣ -التنازع على الحكم والصدارة وإهمال التنمية:**

يؤدي العصبية القبلية إلى التنافس غير الشريف ، في العديد من المجالات ولعل أبرزها هو الصراع على الحكم والنفوذ ، والسيطرة على الشعوب أو القبائل الأخرى " والتاريخ العربي مليء بالحروب والمنازعات التي نشبت بين القبائل لهذا السبب ، وهي ما تزال تثور حتى اليوم ، ولكن على نطاق محدود ، ونحن نرى ذلك حقيقة في الحروب القبلية والعرقية التي حدثت ولا زالت في بعض دول إفريقيا ، حيث الصراع الدموي الرهيب بين القبائل ، وذلك في سبيل استيلائهم على الحكم

لإرضاء غرورهم وتقديس أشخاصهم ، وكذلك الحال في إحدى دول جنوب آسيا " (المشهداني ، 1432هـ، ص 219).

والعصبية القبلية حين تتغلغل في نفوس المؤمنين بها ؛ فإنها تغرس في نفوس أفراد القبيلة روح التمرد ، وعدم الانقياد لأي تسلط يأتي من خارج القبيلة ، سواء كان مصدره قبيلة أخرى أو الدولة التي تعيش القبيلة في ظلها ، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة، والسبب في ذلك اختلاف الآراء ، والأهواء و أن وراء كل رأي منها و هوىً عصبية ، تمانع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة ، والخروج عليها في كل وقت و إن كانت ذات عصبية ؛ لأن كل عصبية ممن تحت يدها ، تظن في نفسها منعةً ، مدللاً على ما وقع بأفريقية المغرب منذ أول الإسلام " و لهذا العهد فإن ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل عصبيات فلم يغن فيهم الغلب الأول ، الذي كان لابن أبى سرح عليهم و على الإفرنجة شيئاً ، وعاودوا بعد ذلك الثورة و الردة مرةً بعد أخرى " ( ابن خلدون ، د ت ، ص 164).

والنظام القبلي في حد ذاته من حيث الهيكلة والتنظيم لا يشكل خطراً أساسيا على الدولة " بل يكمن في تلك الرابطة المعنوية ذات الروح المتحفزة ، الجياشة ، التي يسميها ابن خلدون العصبية ، تلك الروح التي تلازم القبلية ، فتمتن لحمتها ، وتشد رباط القربى بين فئاتها ، فتغدو بذلك قوى دفاعية وهجومية ، تتسلح بها القبيلة ، والعشيرة ، من أجل مقاومة النظم الغريبة عنها والمناوئة لها ، وهي – بالطبع – نظم الدولة ( الدراجي ، 2003م، ص 13)

وقد عانت بعض هذه الدول من التعصب والولاء المطلق للقبيلة دون الدولة ورأت أنه يقوض وحدتها ويهدد كيانها " فهذه النزعة كانت مجال نقد سلطة النخب السياسية منذ بدايات هذا القرن على الأيديولوجيا القبيلة ، باعتبارها طرفاً ينازع الأيديولوجيا الوطنية والقومية . كما يرى ريكاردو بوكو أن إحدى خصوصيات التنظيمات القبلية في المشرق العربي وفي أفريقيا تتمثل في حضور القرابة وتوحدها مع التعبيرات السياسية " ( بو طالب، 2002 م ، ص 63)

**٤ – سيطرة القبلية على الانتخابات الحكومية.**

تبدو تجارب بلدان الخليج العربي مع المعطى القبلي مختلفة ومتفاوتة من حيث القدرة على صهر القبيلة في الدولة وملاءمة الدولة للقبيلة . فإذا كان بعض الدول والإمارات يعجز عن مواكبة ظاهرة المشاركة السياسية والاجتماعية الواسعة التي تميز العصر ، فإن بعضها الآخر استطاع ، عبر

المجالس البلدية والنيابية، أن يمهد الطريق أمام المشاركة والاندماج السياسي (بوطالب 2002م ، ص 85)

والانتخابات هي الركيزة التي يستند اليها أهل التعصب القبلي ، وهي انتخابات تقوم على أساس انصر أخاك ظالما أو مظلوما، بالمفهوم الجاهلي ، وهي تجعل القبائل تدعم أسوأ المرشحين ، إذا نجح بالانتخابات الفرعية، وهي تلغي شرط القوي الأمين . وقد تتحالف قبيلتان قبل أن تعرفا كفاءة وأمانة مرشحيهما اللذين سينجحان في الانتخابات الفرعية ، وهذا التحالف قد يكون ضد مرشحين أفضل كفاءة وأمانة ، وإذا كان الهدف الأساسي من العلم والعمل هو تحقيق رضى الله ، وتطبيق المبادئ الإسلامية " فإننا نسير في طريق مصالحنا ، فالذي يحقق مصالح قبائلنا هو أن نتنافس في زيادة نسبة الجامعيين من أبنائها ، وفي حسن استغلال وقت شبابها، وفي تحقيق إنجازات طيبة في العمل الخيري والتكافل الاجتماعي وغير ذلك كثير ( الدويهيس 1419هـ ، ص 65)

وتحاول بعض الدول أن تخفف من حدة الصراع القبلي ، بالالتفاف عليه والاعتراف به شكليا حيث يقول أحد زعماء العالم المتخلِّف" القبيلة رابطة اجتماعية ، حافظوا عليها ، لكن إذا أدخلتموها السياسة فستخرب " ( بوطالب ، 2002م ، ص97 ) ثم يعود هذا الزعيم ليقارن بين الأحزاب والقبائل في الصراع على السلطة ليقول : إذا كان النظام الطائفي والقبلي مرفوضا ومستهجناً سياسياً فيجب أن يرفض ويستهجن النظام الحزبي أيضا، فكلاهما يسلك مسلكاً واحداً ويؤدي إلى نتيجة واحدة .

وقد حاولت العديد من المجتمعات التقدم عن طريق التخلص من المقهقِرات الروحية ، التي تعيق تقدمها لكن المجتمعات المأخوذة بالتعصب وبالثقافات المغلقة ، قد استوردت علوم المزدهرين وتقنياتهم ومناهجهم ، وعمَّمت التعليم ونشرت المدارس ، وأقامت الجامعات وأنشأت معاهد البحوث ولكنها لم تحقق ما كانت تتوقع . بل إن الأمم شرقاً وغرباً تتواثب وتزدهر، بينما هذه المجتمعات ترزح في التخلف والهوان ، وحين نتلمس هذه الأسباب فإن عقل المجتمع أو العقل الجمعي يبرز لنا كمؤثر في ذلك حيث احتلته الثقافة الموروثة ، أما المعلومات الحديثة التي يتلقاها الدارسون في المدارس ، والجامعات فيستحيل التزاوج بينها وبين الثقافات السائدة .

**٥ -التمايز الطبقي .**

يفتخر بعض الأفراد بنسبه القبلي دون أدنى اعتبار للمعايير الصحيحة ، في تصنيف الناس معيداً جزءاً من مظاهر الجاهلية القديمة ليلبسها من جديد في جاهليته القرن الواحد والعشرين " ومما يؤسف له حقاً أن يكون بين ظهراني المسلمين من يرغب عن تعاليم الإسلام ، فيرجع القهقرى ، آخذاً بعادات وتقاليد اجتماعية جاهلية، تصنف الناس على أساس من العصبية القبلية التي كانت أساساً للنظام الاجتماعي في العصر الجاهلي ، وهي تعتمد في تصنيفها الأفراد على مقاييس الجاه ، والمنصب ، والنسب ، والحسب ، والسيادة والريادة ، فلا تقيم وزناً لصالح الفرد ، وتقواه ، وخلقه الحسن ، وتعامله السوي " ( الجريسي ، 1427هـ ، ص 19-20)

وقد تناولت دراسة استطلاعية ضمت 100 فرد من مختلف طبقات المجتمع اليمني مدى التمسك بالمراتب الاجتماعية وتطبيقها " حيث أكد 90% من أفراد عينة الاستبانة أن التقسيم الاجتماعي من حيث النسب مازال قوياً وفعالاً ، كما أن 48% من أفراد العينة يفهمون بقوة أن التقسيم الاجتماعي أمر موروث وطبيعي ومقبول ، وأن 81% من أفراد العينة يؤكدون بقوة أن الناس متمسكون بهذا التقسيم النسبي المبني على النظام القبلي " ( الجريسي ، 1427هـ، ص79-89)

ومن عجيب أمر المتعصب وغريب شأنه أنه يذم المتعصبين من القبائل الأخرى ، ويبغضهم وينسب إليهم عدم العدالة والإنصاف ؛ لميولهم دائماً لمصالح قبيلتهم ورغباتها ، ولا يدري أنه متصف بوصفهم ، وأن كل لوم يرمي بهم هو موجه عليه ، إذ ما يكون لأحد النظيرين يكون للآخر لا محالة فهو حينما يذم الآخرين يذم نفسه ( العيل طيري ، 1428هـ ، ص22)

وتعد الكفاءة من أكثر مظاهر العصبية القبلية شيوعاً وانتشاراً ، حيث تشترط الأعراف القبلية الكفاءة النسب بين الزوجين ، ويتشددون في ذلك ، بل ينكرون على من خالف هذا العرف ، أو حاول الخروج عنه ، وقد كشفت دراسة قام بها أحد الباحثين ، في أحد مجتمعات الجزيرة العربية بأن نسبة كبيرة من أبناء القبائل ، يرفضون تزويج بناتهم لآخرين من قبائل أخرى بحجة عدم عراقة نسبهم وحسبهم ، وقد أوردت إحدى فقرات الاستبانة هذا التساؤل : لماذا يمتنع القبيلي من تزويج غير القبيلي ، مع أنه عربي ويعيش في المجتمع نفسه ، ويتفق معه في العادات والتقاليد ؟ فكانت إجابة ستة وثلاثين مستهدفاً من القبيلين وأربعة وعشرين مستهدفاً من الخضيرين تفيد بأن سبب المنع هو : الأعراف الاجتماعية الموروثة ، الالتزام بها ، الخوف من مخالفتها ، وهذا المظهر نتيجة طبيعية للمظهر السابق ، وهو الطبقية " ( الجريسي ، 1427هـ ، ص 93 - 95)

وحين يعود الباحث إلى الوراء ، لاسيما قبل الإسلام يجد أن مظاهر العصبية القبلية في الجاهلية " المفاخرة بالأحساب والأنساب فكل قبيلة تعتقد أنها أعرق حسباً ونسباً من غيرها ، وأنبل شرفاً وأسمى نفساً من سائر القبائل و والخطباء يتفاخرون في الأسواق والمواسم بقبائلهم فيعدون مآثرها ويمجدون فعالها وفضائلها في عكاظ وفي ( مجنة) وفي ( ذي المجاز ) مجال رحب يتصارع فيه بالخطابة والشعر يعلنون علو قبيل على قبيل ورفعة عشيرة على عشيرة " (المشهداني ، 2002م، ص 215 )

٦ -المحسوبية والفساد .

لقد آل تفشي التعصب ، وإتباع الهوى في بعض المجتمعات العربية المعاصرة ، إلى انتشار أمراض اجتماعية خطيرة أشدها فتكاً المحسوبية ، وتقريب أهل الثقة بدل أهل الخبرة ، الأمر الذي حال دون وضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من آثار سلبية على صعد مختلفة أهمها الصعيد الاقتصادي ( يونس ، 2005م ، ص669) .

وأكد ذلك دراسة عن التعصب القبلي كأحد أبعاد الإطار الثقافي – الاجتماعي المؤثرة على الخطة الإستراتيجية لمنظمات الأعمال في السعودية في أن " القبلية – الواسطة أصبحت شيء أساسي في حياتنا ، أمر واقعي ، ونعتمد عليها عند القيام بأي عمل ، أو عند رغبتنا في الحصول على منفعة معينة فنلجأ إلى طلب المساعدة للوصول إلى تحقيق هذه الخدمة " (النعماني ، 1417هـ، ص177) وحين تصل هذه العصبية إلى التدخل في الأعمال التي يجب أن تخضع لمقاييس الجدارة ؛ فإن هذه المنظمة أياً كانت ستراوح مكانها دون تقدم أو إنجاز ، والمحسوبية يقصد بها المحاباة والوساطة : أي أن يحابي الفرد ذويه وجماعته ، ويحامي عنهم ويشفع لهم بحق وبغير حق .

كما يرتبط بقضية التعصب ، والانحياز للقبيلة ، مشكلات اجتماعية أخرى مثل: المحسوبية واعتبارات الولاء الطائفي ، والقبلي والقرابة، ومثل المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالوضع الاجتماعي ، الذي تكون في هذه الجماعات على أساس ملكية الأرض ، أو على أساس ارتباط ملكية الأرض بالمناصب ، وتقدير الإنسان على أساس ما يملك لا على أساس ما ينتج، وما إلى ذلك من العادات الاجتماعية التي تشكل علاقات الناس بعضهم ببعض، وعلاقاتهم بالعمل والإنتاج، وهي علاقات غالباً ما تعوق كل تجديد، وكل تخطيط علمي على اعتبار أن التخطيط العلمي يستهدف تحقيق أهداف عامة للجماعة قد لا تبقي على كثير من هذه العادات الاجتماعية القديمة " ( الكاشف ، 2007م ، ص 23)

وحتى لا يفهم من ذم التعصب القبلي ، إدخال مفاهيم النخوة ، ومساعدة المحتاجين من أبناء القبيلة الواحدة فإن هذه الأفعال محمودة شرعاً ، بل هو في بعض الحالات جائز ومطلوب ، كما إذا كانت مظلومة ظلماً محققاً ، فالنصر لها والدفاع عنها واجب عند الاستطاعة سواء كان المظلوم من القبيلة أو من غيرها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: خيركم المدافع عن قبيلته ما لم يأثم " ( أبو داوود . باب العصبية ، كتاب الأدب) فالمدافع عن عشيرته المظلومة بنية النصر للحق ودفع البغي والظلم

عن المسلم المظلوم يكون مثاباً مأجوراً ، لحسن نيته وقصده ، وإن كان قصده الحمية والأنفة لعشيرته فله جزاء ما نوى " ( العيل طيري ، 1428هـ ، ص22)

٧ **تمجيد الذات.**

إن إشكالية التعصب ؛ أنه نوع من إلغاء حق الآخر في الوجود والتعبير عن الذات بشكل يحاول الهيمنة على الآخرين ، وتحويلهم من معبرين عن ذواتهم إلى كونهم معبرين عن ذوات غيرهم، وكم من مرة صار حب المرء لذاكرته التاريخية سواء كانت عرقية أو قومية أو قبائلية ، صار قاتلاً وذا مفعول دموي ، ودفاع أمريكا عن معنى الأمركة ومكانتها السلطوية أو المعنوية لا يختلف عن أي حمية قبائلية أو عرقية " ( الغذامي ، 2009م، ص 112)

" والبدوي قلّما يحاول في استكمال العشيرة بصورة عامة تعليل سلوك عرفي على الإطلاق ، وكثيرا ما حاولت أن أستشف بنفسي تعليلاً من عشائري لأي من أنواع السلوك المألوف فكان الرد يأتيني دائماً : هكذا وجدنا آباءنا ورأينا من حولنا يفعلون "(حسنين ، 1404هـ، ص 116 ) فالقبيلة بما أنها سلالة متوارثة أبا عن جد ، فإنها تعتمد على موروثات ومرويات شفهية تلعب فيها البطولة دور رئيسي وفي الغالب فإنها موجهة ضد الآخر ( الجار) دون أدني اعتبار لهذه الحقوق " وبما أنها شفاهية فإنه يغلب عليها الاختلاف وتقع في دائرة التنافس والمباهاة بين الأطراف لأنها عرضة للتداخل والتقاطع ، ويحدث فيها شيء من المساس بالغير ، إذ لا يمكن مديح الذات إلا بانتصارها على الآخر ، وهو عادة آخر مجاور ، ومعروف باسمه وتاريخه ، ولذا تقوم قيامة الحروب الثقافية بين المتنافسين ، وتأسس على هذا ثقافة عريضة وتحددت الانتماءات والمقامات بناء على غلبة مروية على أخرى ، وهي حرب ثقافية أدبية ذات طابع ملحمي وقصصي وأسطوري لا تقوم مفاهيم القبيلة والعرق والهوية إلا به " (الغذامي ، 2009م، ص 112-113)

والبيئة التي يعيش فيها الفرد ، تؤثر تأثيراً مباشراً على سلوك الأطفال داخل المجتمع المتعصب قبلياً ، وذلك مجاراة لكبار العائلة " فالطفل الذي يولد في مجتمع قبلي ينشأ ونظام العصبية يحكم سلوكه ويوجه إرادته وعقله ، أما إذا نقل في مرحلة الفطرة إلى مجتمع ديمقراطي لينشأ فيه فإنه يحمل في نشأته نظام قيم هذا المجتمع الخير تماماً كسائر الأطفال فيه " (المشهداني ، 2002م ، ص 129-130)

وتعد قضية التعصب القبلي إحدى إفرازات العنصرية البغيضة وتهز التماسك الاجتماعي بين فئات الأمة وعناصرها " وذلك أن كثيراً من البلدان المتخلفة والنامية تمزقها الانقسامات الدينية والطائفية والعنصرية، والإقليمية مما يؤثر مباشراً على تنمية الشعور والإحساس بالوحدة والترابط الاجتماعي والتعاوني ، ولذلك فإن المحلل للعمليات الاجتماعية داخل المجتمعات يجدها تعاني من الصراع الاجتماعي والقيمي، وتعاني من الصراع الطائفي والديني والعنصري والإقليمي مما يمزق من وحدة الأمة وتماسكها، وهما أهم عوامل إنجاز الأعمال المختلفة في التنمية والنمو في العالم المعاصر، وأهم عوامل نجاح الإدارة والتنظيم وتحقيق الأهداف المختلفة لكل عمل ولكل مشروع من المشروعات التنموية، ويكون محصلة هذه السلبيات إعاقة مسيرة التنمية وتمزيق التخطيط من الداخل" ( الكاشف ، 2007 م ، ص 22-32)

ونتيجة لهذا التعدد المضطرب المختلط في دوائر العلاقات ومحاور الولاءات ؛ أصبح ولاء الفرد في بعض المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة لعائلته ، أو قبيلته ، أو إقليمه ، واختفى مفهوم الأمة الواحدة ذات الجسور والمعابر المنفتحة على الإنسانية برسالتها وعطائها الحضاري ( الكيلاني ، 1427هـ، ص 187) الأمر الذي مهّد لتفتت الأمة الإسلامية إلى قوميات ثم إضعاف القوميات وتفتيتها إلى إقليميات مضطربة غير مستقرة ، تتصارع داخل أطرها محاور الولاء القبلي.

**٨ -التقاليد العشائرية الجامدة :**

تسفر التقاليد العشائرية الجامدة إلى شل الفكر عن التفكير وشراء الذهنية المتوقدة ، وإن لم تستطع تقوم بنبذها أو تصفيتها ، أو عدم الاعتراف بها ، وهذا يخلق ذهنية متصلبة الفكر والسلوك ، محدودة الأفق ، يتحكم فيها القهر من الداخل ، لذا فإن ابن القبيلة والعشيرة عادة ما يكون عقله ملكاً للقبيلة ويغلب عليه التفكير الجمعي .

والمجتمع التقليدي الذي تفرزه العشيرة والقبلية بما يشيع فيه من عرف وما تتحكم في أفراده من عادات ، وما يفرضه على عملية التفاعل الاجتماعي والتحرك السلوكي من جمود ، يخدم إذاً مصالح فئة ضئيلة هي التي تحظى بمعظم الامتيازات ، وتستفيد من الحفاظ على الوضع القائم ، ذلك أمر لا يحتاج إلى جهد كبير للتدليل عليه والبرهنة على صوابيته ( حجازي ، 2005م، ص105) لذلك فإن هناك توافقاً وترابطاً بين أشد مظاهر التقليد تخلفاً وبين القلة التي تسيطر على القبيلة .

## المبحث الثاني : إهدار الوقت .

**تمهيد :**

يعتبر الوقت من أهم عناصر الحياة ومقوماتها على مستوى الأفراد والمجتمعات والمؤسسات، وهو نقطة الانطلاق الحقيقية للعمل والإنتاج ، وهو مورد من أهم الموارد ، وما يميزه عن غيره من الموارد أنه يمر وينتهي من نفسه ، لا يمكن إيقافه ، أو استرداده ، ولكن المسلم به كغيره من الموارد يمكن استخدامه بعقل أو دون عقل . ولكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية مرجعية مميزة يبني عليها رؤيته للوقت . ويرى بعض العلماء والمفكرين أن المجتمعات الإنسانية عبارة عن جوهر تتداخل في إطاره الأحداث ، وتمتد الظواهر وتتشابك وتتفاعل عبر علاقة الإنسان بالزمن ، الذي يتميز بخاصية الاندفاع الدائم نحو مستقبل غير منظور ، ويحكمه قانون التغير أو الصيرورة (الحر ، 2001م، ص 13) .

وإذا كان الزمان وعاء للأحداث ، فإن قيمة الزمان ترتبط بقيمة الفعل أو الحدث الذي يتم فيه ، وإذا كان هذا الحدث أو الفعل من صنع الإنسان ، فإن القيمة الجوهرية له تتمثل فيما فعله في الماضي ، وما يفعله في الحاضر ، وما سيفعله في المستقبل ( حسام الدين ، 1998م، ص 42) لهذا فإن الوقت معدن ثمين ، وعنصر هام من عناصر تقدم المجتمعات اجتماعيا وثقافيا وسياسيا ،واستثماره ومعرفة قدره يسهم في علاج كثير من مقومات تخلف المجتمعات العربية والإسلامية .

**أ : تعريف الوقت لغة .**

تحدثت معاجم اللغة بكثرة عن الوقت والزمن ، ففي لسان العرب ورد تحت مادة ( و ق ت) أنه مقدار من الزمان وكل شيء قدرت له حيناً فهو مؤقت، والوقت مقدار من الدهر ، معروف وأكثر ما يستعمل في الماضي، وقد استعمل في المستقبل ، واستعمل سيبويه لفظ الوقت في المكان تشبيهاً بالوقت في الزمان لأنه مقدار مثله ( ابن منظور، د .ت ، ج2 ، ص 107)

**ب : تعريف الوقت اصطلاحاً**

مفهوم الزمن في اصطلاح علماء المسلمين هو مرتبط بمعناه اللغوي، فهو يعني: ساعات الليل والنهار، ويشمل ذلك الطويل من المدّة والقصير منها (ابن فارس، 1979م ، ج3، ص22). وبذلك عرفه (الزركشي ، 1957) بقوله "إن الزمان الحقيقي هو مرور الليل والنهار، أو مقدار حركة الفلك" (ص 123) ولا يخفى ما بين هذا المعنى والمعنى اللغوي من ارتباط وثيق.

وقد ورد في القرآن الكريم مصطلح الوقت ، إضافة إلى ورود ألفاظ دالة عليه ، ومن ذلك قوله تعالى: قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ( الحجر : الآيتان 37، 38 ) الحين. قال تعالى: أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ (هود: الآية 5) كما ورد بلفظ الدهر. قال تعالى: هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ (الإنسان: الآية 1)

كما أن الوقت في منظور علماء النفس والاجتماع هو الوعاء الحقيقي للعمل الاجتماعي ، وتوافر الوقت يعني طاقة الإنسان لاستغلاله واستخدامه في العديد من الأعمال ( منصور ، 1991م ، ع 107، ص 163)

ويعتبر الوقت بأنه المادة التي صنعت منها الحياة . والحياة المنظمة تتيح الوقت ، بالتخطيط والمتابعة ، وهو مورد فريد لا يمكن ادخاره بل استخدامه بحكمة ، فالوقت موزع على الكل بالتساوي ، ولكن كمية الوقت ليست مهمة ؛ بقدر أهمية كيفية إدارة الوقت المتاح لنا وتنظيمه ، ويمكن إدارة الوقت بفاعلية إذا تم التخطيط له ، كما أن الوقت عبارة عن مجموعة من التصورات ، والمفاهيم ، والأحداث ، والإيقاعات ، التي تغطي نطاقاً عريضاً جداً من الظواهر (أحمد وحافظ ، 2003م ، ص 180) .

لذلك فإن الوقت يقاس بواسطة سلسلة من الوحدات المتكررة التي يمكن حسابها بدقة ، فهو مورد وعنصر ثمين ونادر في الحياة فهو لا يمكن شراء المزيد منه ، أو استئجاره ، أو تخزينه ، وإذا استخدم أو لم يستخدم انقضى إلى الأبد ( الصوري ، 2008م ، ص 15)

ج: معالم إهدار الوقت .

**١ -غياب الوعي الاجتماعي بقيمة الزمن .**

رغم النقلة النوعية الأساسية التي تحققت منذ التجمعات الحضرية المستقرة ، في عصر الزراعة الأول ، فقد بدأ استشعار الإنسان الواعي بالوقت والزمان ، وبضرورات الضبط والتنظيم بما يحقق أقصى استثمار متاح ، ومع ذلك لم يكن إنسان تلك المراحل بقادر ، وربما غير مهيأ للتوظيف الراشد للوقت ، وهذا أثبت عجز الإنسان ، وفشله في التوظيف ، والإفادة الإيجابية بكل ما يترتب على ذلك في المقابل من نتائج سلبية ( خليل ، 1422هـ، ص 43)

ولعل من أهم العوامل التي تشد دول العالم الثالث إلى مواقع التخلف ، وتمنع انطلاقها نحو الأفضل ، هو غياب عنصر الزمن في وعي تلك الدول ، فالزمن يجري ويتسرب من بين أيديها فلا تمسك به ، أو تستفيد منه ، ولعل الفجوة الحضارية بين تلك الدول والدول المتقدمة هي في المقام الأول فجوة زمنية ، تفصل بين بلدان توقفت عند أعتاب القرن التاسع عشر ، وأخرى تعيش نهايات القرن العشرين ونتج عنها تخلف تقني وحضاري وثقافي يجثم عليها ويضغط على عقول أبنائها( سفر ، 1404هـ، ص174)

وهذا هو الحال في عدد من المجتمعات العربية والإسلامية، فالتخلف هنا معناه أن المسلمين لا يزالون عالة على غيرهم ؛ فنصف ما يأكلونه أو أكثر لا يزرعونه، وجُلُّ ما يستعملونه لا يصنعونه، وحتى السلاح الذي يدافعون به عن أرضهم وأعراضهم ، لم يزل صناعة أجنبية يستوردونها، ويستهلك العرب الأجنبي من الإبرة إلى الصاروخ، الأمر الذي يطيل أمد التخلف ويعمقه في المجتمعات العربية والإسلامية ( القرضاوي، 1997م ، ص111- 112).

" فالصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري ، وإذا ما درست هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة في الحساب ، فسننتهي حتماً إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية :

منتج متقدم حضاري : إنسان + تراب + وقت .

وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة ، تحلل إلى ثلاث مشكلات أولية : مشكلة الإنسان ، مشكلة التراب ، و مشكلة الوقت " فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات ، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها ، ومع ذلك فإن هذه الصيغة تثير عند

التطبيق اعتراضاً هاماً هو : إذا كانت الحضارة في مجموعها ناتجاً للإنسان والتراب والوقت ، فلم لا يوجد هذا الناتج تلقائياً حيثما توفرت هذه العناصر الثلاثة ؟ " ( ابن نبي ، 1406هـ، ص45)

لقد خلصت إحدى الدراسات العلمية في نتائجها إلى " أن الوقت لا قيمة له بين معظم الشباب في واقعنا المعاصر ،كما أن الأسرة لا تقوم بواجبها المطلوب ، في توجيه أبنائها نحو الاستثمار الأفضل للوقت ، إضافة إلى أن هناك مجموعة من الأسباب تتداخل فيما بينها وتؤدي إلى ضياع الوقت ، وعدم الاكتراث به – خاصة بين الشباب – والتي من أهمها : التلفزيون ، الغفلة وغياب الهدف ، التسويف وطول الأمل ، صحبة البطالين الفارغين " (الثبيتي ، 1412هـ، ص هـ)

ومن نواقض الحضارة ، أن يكون الوقت في بعض المجتمعات العربية والإسلامية في مهب الريح بدون قيمة وبلا مفهوم " فلا نضع له ميزانية محددة ببنود للصرف ، وأخرى للاستثمار أشبه ما تكون بميزانية الأموال ، ولم لا ؟! أليس الوقت أثمن من المال ، مهما تعاظم واكتمل ، لأن المال يمكن جمعه واستثماره بالوقت ، بينما أن الوقت لا يحافظ عليه المال ، أو يسترد إن ضاع في جميع الأحوال ، وذهب سدى " ( سفر ، 1426هـ، ص113)

**٢ تضييع الوقت في المقاهي والأسواق .**

غالبا ما تضيع أوقات المسلمين في الجلوس بالمقاهي لفترات طويلة ، بين الثرثرة ولعب الورق ، فالهدف الأساسي للجلوس على المقاهي هو لقضاء الوقت وقتله ، إضافة إلى الغيبة والنميمة ، فالمقهى أداة تفريغ وتنفيس ، لما يعتري نفسية الإنسان العربي من أمراض ، وعقد وكبت وخوف، ونكوص واجترار سوداوي ، وتشّفي من الذات المتوترة ( زيعور، 1987م، ص 106) فأضحت الحياة في نظر العربي هي غاية وليست وسيلة .

يقول أحد مفكري الإصلاح المعاصر في هذا الصدد " كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونفكر في العلاج وحسم الداء. وكم كنا نعجب إذْ نرى أنفسنا ، والخليّون هاجعون يتسكعون بين المقاهي ، ويترددون على أندية الفساد والإتلاف. فإذا سألتَ أحدهم عمّا يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة، قال لك: أقتل الوقت، وما درى هذا المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه، فإنما الوقت هو الحياة" (البنا، 1984م، ص169)

ومشكلة بعض المجتمعات العربية والإسلامية أنها في " داومة التخلف والمشكلات المتلاحقة لا يدري المصلحون ماذا يعملون ؟ ولا بأيها يبدؤون ؟ ومن ثم فإنه لا بد من إيجاد نوع من الإجماع

الشعبي على الأهداف الاجتماعية التي ينبغي تحقيقها خلال عشر سنوات أو عشرين سنة – مثلا – وتحديد الزمن يساعد على تحديد البرامج والآليات التي ينبغي وضعها واستخدامها " (بكار ، 1420هـ، ص 256)

وقد يعترض على ذلك أحدٌ ، بأن تلك المظاهر ليست بالضرورة من نواقض الحضارة ، بدليل أنها منتشرة ، وتسيطر على كثير من المجتمعات المتحضرة المعاصرة ، ومع ذلك فإن الحضارة قائمة والمجتمعات في قمة تقدمها " لكن مقاييس الحضارة عندنا ليست بالضرورة متطابقة مع ما لدى تلك المجتمعات ، كما أن أسس ومنطلقات الحياة – عندنا– في المجتمع المسلم تخضع لقيم و مبادئ عقائدية محددة ، ومن ثم لا يصح قبول الاعتراض بأن مظاهر الاستفزاز الاجتماعي التي سردنا بعضها ليست بالضرورة " (البنا، 1984م، ص169) .

والأمثلة على هذه الظاهرة أكثر من أن تحصى " ولنأخذ مثلا ظاهرة التسكع والتجمهر على مفترقات الشوارع أو المنعطفات أو في الحدائق العامة ، أو أمام محلات بيع الأشرطة والأغاني ومحلات بيع الملابس النسائية ، والغريب أن لدى هذه الفئة، قدرة واستمرارية للوقوف ساعات طويلة يقضونها في هذه الأماكن ، ولا يحتملون قضاء ساعتين أو ثلاثة في مدارسهم أو في أماكن عملهم ، أو حتى في مواقفهم الجدية ( نجم الدين ، 1425هـ، ص 66) .

لقد نجم بعد انتشار الآلة ، ومظاهر الترف، أدوار هامشية للشباب في المجتمعات الحديثة ، رغم أنهم يعول عليهم انتشال هذه المجتمعات من براثن الجهل والتخلف ، وقد أرجع بعض الباحثين ارتفاع نسب حوادث الانتحار ، والإدمان على المخدرات والخمور ، والمرض العقلي والنفسي بين الشباب ، إضافة إلى انخفاض روحه المعنوية ، إلى تزايد أوقات فراغه وضياع هويته ( خليل ، 1421هـ، ص 70)

ويعتبر سوء استغلال وقت الفراغ من أبرز معوقات التنمية الاجتماعية و ترتبط بعض العادات في الدول النامية بسلوك معوق للتنمية " كقضاء وقت الفراغ فيما يمكن أن يضر الشخص والمجتمع ويؤثر على التنمية ، مثل مجالسة رفاق السوء والذي ينجم عنه انحراف وميل للرذيلة، والاكتفاء بالجلوس على المقاهي وترديد الشائعات ، والشكوى من سوء الأحوال بلا مساهمة في الإنتاج ، فضلا عن أن جزءاً كبيراً من الوقت في الدول النامية ، يضيع كذلك نتيجة المبالغة في عدد أيام الأجازات ، والأعياد الرسمية ، والمواسم والمهرجانات والاحتفالات " ( شفيق ، 2006م، ص 59)

لقد ورث بعض أفراد المجتمع الإسلامي عددا منمظاهر عصور التدهور والانحطاط ، فتجد المسلم يقوم بالحد الأدنى من النشاط ، و بما يوفر له ما يبقيه على قيد الحياة ؛ مما جعل مجتمعاتنا نماذج حية للكسل والبطالة والتسيب والجلوس في المقاهي ، وعلى آلات اللهو ، وعلى أبواب المنازل و وربما زادت ساعات البطالة على الساعات التي يقضيها الناس في المدرسة أو المصنع أو الحقل " ( بكار ، 1420هـ، ص 298)

**٣ ضعف الإنتاجية .**

لقد وصلت الفوضى بقيمة الوقت إلى طلاب الجامعات ، والذين كان يعتقد منهم أنهم وصلوا إلى مرحلة النضج والإبداع ، وهذا ما أثبتته دراستين في جامعتين بالمملكة العربية السعودية حيث توصلت دراسة( الحميدي ، 1415هـ) والتي استهدفت التعرف على واقع إدارة الوقت واستخدامه لدى طلاب جامعة أم القرى إلى النتائج التالية:

١ - شيوع ظاهرة السهر والتأخر في النوم والاستيقاظ بين نسبة كبيرة من الطلاب.

٢ - حوالي ثلثي الطلاب يضعون خطة لتنظيم الوقت ولكن أغلبهم لا يلتزمون بها.

٣ - معدل ما يسجله الطالب في الفصل الدراسي حوالي 16 ساعة أسبوعياً وهو ينقص بمقدار ساعة كما ينبغي تسجيله ، ومعدل ساعات الدراسة التي تشمل حضور المحاضرات والاستذكار حوالي 35 ساعة أسبوعياً. أي بنقص عن معدل ما ينبغي تخصيصه للدراسة بمقدار 17.5 ساعة أسبوعياً.

٤ - بلغ ما يخصصه الطلاب للأوقات الحرة وأنشطتها المختلفة 58 ساعة أسبوعياً وهو أكثر مما ينبغي تخصيصه بمقدار 37 ساعة أسبوعياً ( ص 5)

وإذا كانت المدرسة أو الجامعة التي يأمل المجتمع منها التخطيط للتقدم ، والعمل على علاج التخلف ؛ لم تسفر عن نتائج ناجعة منذ عقود ، حيث تشير التقارير والدراسات التي تناولت الوقت المدرسي إلى حالة تدعو إلى القلق ، وتنذر بالخطر ، كما أن بعض الدراسات توصلت إلى وجود وقت غير مستثمر الاستثمار الأمثل في المدارس في كثير من بلدان العالم ( حسين ، 1996م، ص 130) .

لذلك فإن شعوب العالم المتخلف ، وطبقة المثقفين بينها على وجه الخصوص ما زالت ترقب جريان الزمن بتأمل كسول ، وثرثرة مملة حول ضرورة اللحاق بالعصر ، دون أن تبدي أي حركة فعلية منتظمة ، أو تبذل أي جهد مثابر وملتزم للحاق مجتمعاتهم بالعصر بدلا من التباكي . وحتى

إن جاءت حركة ، أو برز جهد فهما عشوائيان ، ما يلبث طامع في سلطة أو متسلط على مقدرات تلك الشعوب أن يجهضها فيعود بأمته إلى حيث بدأت أو أدنى مما كانت (سفر ، 1404هـ، ص173) .

وقد تجد هذه الظاهرة اعترافاً لدى بعض الدول العربية والإسلامية ، لكنها لا تجد علاجاً ناجعاً لها ، أو حلولاً لاستثمار وقت الشباب ، بل تعد وقت الفراغ من أبرز التحديات لخطط التنمية " فسبل قضاء الوقت الحر وغياب وسائل الترويح المناسبة تعد إحدى المشكلات الأساسية لدى الشباب من الجنسين ، حيث تشير العديد من الدراسات إلى أن كثير من الشباب لديهم وقت فراغ طويل يتراوح بين 4–12 ساعة يومياً ، وفي الغالب فإن هذا الوقت غير مستغل استغلالاً مثمراً وهذا الوضع يحمل في طياته مخاطر تربوية واجتماعية ، تولد قلقاً لدى الشباب والمسؤولين عنهم ، مما يتطلب توجيه الجهود لتوفير الأنشطة الترفيهية الملائمة للشباب " (وزارة التخطيط ، 2010م، ص 301)

وتوصلت دراسة بحثية عن ( الشباب وأوقات الفراغ ) أصدرتها أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية أن " 282 فرداً بنسبة 86,77% من إجمالي عينة البحث أقروا بوجود مشكلات داخل أسرهم ، فيما أوضح 198 فرداً منهم بنسبة 60,92% أن أسباب المشكلات داخل أسرهم : وجود أوقات فراغ لا يتم استثمارها بطرق مفيدة " ( خليل ، 1421هـ ، ص 224) والذي يشاهد هذا الواقع المعاصر ، يشاهد العجب من سلوكيات الشباب، فمعظم أوقاتهم تُهدر في العبث، واللهو وليس لهم حظ كبير من أوقاتهم لا في الجانب الديني ، ولا في الجانب الدنيوي .

إن المنتج من سلعة الزمن في العالم الأول ، أضعاف المنتج منه في دول العالم الثالث ، فكيف يتأتّى غير ذلك ، والاحصاءات تذكر أن الفرد من مواطني إحدى الدول العربية يقضي 4% فقط من وقته في العمل ، وتلك نسبة تقل أربعة مرات عن النسبة التي يقضيها المواطن الأمريكي في العمل . بل إن هذا المواطن الذي لا يقضي سوى 4% في العمل ، يقضي 36% من وقته في مشاهدة التلفزيون ، حتى المواصلات تستهلك 16% من وقته " إن هذا الخلل الشديد في النظام اليومي لهذا المواطن يجعلنا نتساءل : أين مكانه في السباق المطروح في عالم اليوم ؟ فحتى لو تساوت مقدرة هذا المواطن وكفاءته مع قرينه الأمريكي وحتى لو تساوى المناخ التكنولوجي وظروف العمل المحيطة الأخرى – وتلك فرضية شبه مستحيلة – فإن ما ينتجه المواطن الأمريكي سيكون أربعة أضعاف ما ينتجه هذا المواطن بالتأكيد " ( سفر ، 1404هـ، ص173–174) فهل ستتقدم أمة

متأخرة وهي لا تدرك أهمية الوقت عملياً، وتنظر إلى بقية الأمم المتقدمة وهي تتسابق إلى السيادة مستفيدة من عنصر الزمن.

ولقد أسفر التقدم الصناعي في العصر الحالي عن رقي البشرية ، وسهّل تأقلمها مع مصاعب الحياة والعمل، لكن بعض المسلمين لم يستغل هذا التقدم لصالحه ، بل رسم أبشع صور التخلف الاجتماعي في تعامله مع التنمية .

٤ -انعدام الفعالية واللامبالاة .

إن عدم استثمار واستغلال الزمن في حياة بعض أفراد المجتمع العربي ؛ يعني عجز الفرد والمجتمع عن التحكم بمصيره واضطراب ديمومته بمعنى أن الزمن جدلي وليس تسلسلي ، وعليه فبعض أفراد المجتمع العربي يعيش في دوامة الفوضى واللامبالاة أيضا كسلسلة لا متناهية ، وحاضره أيضا متأزم وآفاق مستقبله مظلمة ومجهولة ، وفقدان الإحساس في السيطرة على يومه وغده ، فهّمه الوحيد أن يعيش ليومه ويحصل على قوته بشتى الوسائل ، لذا فالإنسان العربي المتخلف والمقهور يعيش في دوامة الفوضى والقهر ، ونظرته للحياة كلها هواجس وتشاؤم وإحباط ويأس وقلق متواصل وشرود مستمر " لذا تراه متوترا فاغراً فاه ، يسير بشكل غير متزن وهائم متحفز ولا ينظر إلى ساعته ، وان نظر فهو يود لو تنقضي الساعات بسرعة ليرى ماذا سيحدث له غدا عله يهدأ من قلقه وانفعاله ، ولا يدري أن غده كسابقه وهكذا نراه أحيانا يطلب السلامة ، ويهوى بشغف قراءة الأبراج والكف وكشف الطالع والفنجان ، وان طال يومه فهو يقطّعه بالثرثرة والغيبة "( نجم الدين ، 2005م، ص63 ) .

على ضوء ذلك فإن الإنسان المتخلف اجتماعياً ، لا يلتزم بالتعهدات التي قطعها على نفسه لأنه لا يدرك قيمة الوقت، ولا يبالي بدقة المواعيد ، ومن يتتبع سمات العقلية المتخلفة فإنه سيلحظ انعدام الدقة والضبط في التصدي للواقع ، وكل شيء يظل على مستوى التقدير الإجمالي والانطباع العام ، فالدقة الرياضية لا مجال لها في العالم النامي ، وكل شيء عرضة للتهاون والتراخي والتساهل حتى الاستهتار ( حجازي ، 2005م، ص 65) لذا فإن مجتمعاً كهذا يكتفي بالعموميات والظواهر دون سبر أغوار العلم، والحقيقة ، وبالتالي فهو لا يستطيع الإنتاج والمنافسة وتطوير قدرات أفراده .

لقد رصد (ابن نبي ، 1988م) مظهر تخلف بعض المسلمين اجتماعيا ، في عدم مبالاتهم بالوقت الذي يصنع الحضارات ، وعدم قدرتهم على استغلاله ، فهو يرى أن التاريخ ليس ما تصنعه الصدف ولا مكائد الاستعمار ، ولكن ما تصنعه الشعوب بذاتها في أوطانها " فالزمن نهر قديم يعبر

العالم ، ويروي في أربع وعشرين ساعة الرقعة التي يعيش فيها كل شعب ، والحقل الذي يعمل به ، ولكن هذه الساعات التي تصبح تاريخاً هنا وهناك ، قد تصير عدماً إذا مرت فوق رؤوس لا تسمع خريرها " ( ابن نبي ، 1988 م، ص 68)

ومن يرصد أسباب التخلف والتقدم في المجتمعات يجد أن أحد أسابها الوقت وكيفية استثماره " فلننظر نحن شباب المسلمين إلى حضارة الإسلام في عهد ازدهارها ، ونسأل أنفسنا : لماذا توقفت وجمدت ؟! ولا مانع أن ننظر إلى حضارة الغرب القائمة ، ونسأل أنفسنا لماذا ازدهارها ، وتفوقها ؟! والإجابة أن ذلك مرده إلى تقدير قيمة الوقت عند أولئك القوم . فالواجب علينا أن نصحو من غفلتنا ، ونعيد سابق مجدنا ، من أجل أن نكون أمة تقدر الزمن ، وتوجه الجهود من أجل المنافسة والبناء " ( سفر ، 1404هـ ، ص 172) وليس ثمة مبالغة في القول بأن العالم المتحضر لم يصل إلى ما وصل إليه من تقدم ورقي ، إلا لأنه طوّع الوقت لصالحه ، واعتبره أغلى شيء في الوجود ، حتى لقد أصبحت السلع تقيم بمقدار ما ينفق عليها من وقت وحسبة الأجور على الساعة ومعشارها

وغير خاف المدى الذي وصلت إليه بعض الدول بشبابها ، الذي وقع فريسة لتيارات غربية جاءت نتيجة الفراغ الذي يعانيه بعض شباب بلاد العالم ، فأخذ يتخبط دون توجيه أو توعية لملء هذا الفراغ ، فتلقفته أفكار غريبة ضاع بين غوامضها ، وضل عن الخط المستقيم فانحرف ، الأمر الذي أدى به إلى مناصبة مجتمعه العداء" ( حلمي ، 1973م ، ص160)

وحظ بعض الشعوب العربية والإسلامية من الساعات كحظ أي شعب متحضر ، ولكن عندما يدق الناقوس منادياً الرجال والنساء ، والأطفال إلى مجالات العمل في البلاد المتحضرة أين يذهب الشعب الإسلامي ؟! تلكم هي المسالة المؤلمة " فنحن في العالم الإسلامي نعرف شيئاً يسمى الوقت، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم ، لأننا لا ندرك معناه ، ولا تجزئته الفنية ، لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة ، وثانية ، ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ ، مع أن فلكياً عربياً مسلماً هو أبو الحسن المراكشي يعتبر أول من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا " ( ابن نبي ، 1406هـ، ص 140) ويضيف الباحث هنا أن الزمن يسهم في التقدم والنهضة الاجتماعية أيضاً علاوة على النهضة المادية .

فالزمن وسيلة وإعادة بناء للذات ، لتأخذ معنى جديد من حيث انه الزمن قدرات، وإمكان وإحداث وإبداع، وجسر الانتقال إلى الطور الإيجابي وتحقيق الأفضل للإنسان ، فهو غير فعال لأنه يعود به إلى عصر ذهبي قصير مضى، قرأ عنه فترتاح نفسه ، فيعود إلى الحنين للأيام الخوالي، ويتمنى

أن تعود وهنا لا يسير صوب الأمام ، بل إلى الخلف ، لذا فالعربي يضع نفسه وتاريخه فوق الزمن وخارج التاريخ ، فالزمن يصبح سكوني ، والعلاقة بينهما غير سوية ومضطربة (زيعور ، 1987 م، ص 40 ) .

**ه- الجلوس أمام التلفاز، والانشغال بوسائل الاتصال**

إن قيمة الوقت واستثماره الزمانية لدى الفرد العربي ، ما زالت تحمل سمات مميزة ، تعكس التخلف والإحباط واللامبالاة في تقدير قيمة الوقت وإهداره وعدم استغلاله ، ولو استعرضت الدراسة الأوقات المهدرة في مالا جدوى بوسائل الإعلام لوجدت الكثير من المظاهر ولكن حسب الباحث أن يلم طرفاً بجزء من ذلك في إحدى وسائل الإعلام المهمة " فساعات العرض الطويلة التي يبث فيها التلفزيون برامجه قد أربكت الأسرة المسلمة ، وخلقت لها مشكلة في تنظيم وقتها ليلاً ونهاراً ، وصرفت الأطفال من قراءة القصص التي توسع مداركهم وتنمي فيهم الرغبة في القراءة ، وسرقت الساعات الطويلة من ربة المنزل وفوتت عليها جزءاً من عملها ، أو أبطأت به عن وقته ، وكذلك صرفت كثيرا من الشباب عن القراءة الجادة ، وحضور الندوات ، والمحاضرات "( الثبيتي ، 1421هـ ، ص 200) .

والبرامج التي تبثها الإذاعات أو محطات التلفزة العربية ، تتصف بالبؤس الشديد والضحالة وانعدام الفائدة من حيث الشكل والمضمون والتوجه ، حيث شكلت عاملا مساعدا في إدمان المواطن العربي على قضاء وقت طويل في مشاهدة القحط الفكري والمشاهد المركّبة التي لا تواكب الحدث والبرامج المكررة والمملة أو الموجهة ، والمبالغة في نقل الخبر أو الحدث بصورة مضخمة ، لجذب اكبر عدد من المشاهدين من جهة ، ولجلب المعلنين من جهة أخرى ، فالمحطة التلفزيونية والمعلن هما الجهتان اللتان شكلت عاملا هاما في تكريس عدم استثمار الوقت أو الزمن في حياة الفرد العربي ( العظم ، 1997 ، ص 11 ) .

ولذا فإن الإنقاص من عدم فعالية الفرد تنعكس على تخلف المجتمع ، مما يعني أن الصلة وثيقة بين الثقافة والفعالية باعتبارها صفة ملازمة للإنسان المتحضر والذي هو عبارة عن مستوى معين من الإنسان والتراب والزمن ومهما يكن من أمر " فإن التخلف – عندما نعبر بمصطلحات اقتصادية عن الحقائق الواقعية لمجتمع في حالة ركود أو تقهقر – لا يشكل سوى مظهر من مظاهر مشكلة الإنسان الذي لم يتعلم طريقة استعمال وسائله الأولية ، التي هي عبارة عن التراب والزمن بصورة فعالة " (ابن نبي ، 1991م ، ص 70).

**المبحث الثالث : تفشي الأمية بأنواعها .**

**تمهيد :**

إن من أبرز مظاهر التخلف الاجتماعي في بعض المجتمعات العربية والإسلامية، شيوع الأميّة بين قطاع عريض من أفراد تلك المجتمعات، حيث لم تعد الأمية فيها مشكلة تربوية وتعليمية ، وفنية بحتة، بل تجاوزت ذلك كله وأصبحت قضية سياسية، تتعلق بالدرجة الأولى ببنية النظام السياسي وفاعليته، كما أصبحت قضية ترتبط أشد الارتباط بمجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية، وفوق كل ذلك فهي ترتبط بقضية التنمية خاصة، حيث لم يعد يُتَصَوَّر في أي مجتمع أن تتم التنمية الشاملة في ظل غياب وعي المواطن بها وبآلياتها وأهدافها، ومن هنا أصبح بناء الإنسان قضية محورية تتعلق أولا وأخيرا بملامح حركة المجتمع وتطوره، وبصورة مبسطة فإن الأمية مشكلة اجتماعية قومية تشكل في البلدان المتخلفة أخطر مظاهر التخل ف (بدران، 1995م، ص299) .

لذا تحرص الدول المتقدمة على الاهتمام بالتعليم بمستوياته المتخلفة ، ابتداء من التعليم الابتدائي إلى التعليم العالي ، وكلما زادت نسبة الأفراد الذين يتلقون تعليماً – وخاصة في المراحل العليا – كان ذلك دليلاً على زيادة المشاركة في مشروعات التنمية بالمجتمع (شفيق، 2006م، ص 53-54)

**أ : تعريف الأمّية لغة واصطلاحاً .**

الأمي هو من لا يعرف القراءة والكتابة، وقد اختلف في نسبته، فقيل إنه منسوب إلى الأمة بمعنى عامة الناس، فهو يرادف العامي، وقيل إنه منسوب إلى الأم، وهي الوالدة، أي أنه بقي على الحالة التي كان عليها مدة حضانة أمه إياه، فلم يكتسب علما جديدا ، وسمي العرب أميون لأن الكتابة والقراءة كانت فيهم عزيزة أو عديمة(ابن منظور، ج12، ص 34) ، وفي الحديث الشريف " إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا ، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين " (صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، رقم الحديث 1814)

كما أن الأمي هو الشخص الذي لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب أو يفهم عبارة قصيرة وبسيطة عن حياته اليومية . كما أنه الذي يعجز عن التواصل مع غيره خارج الخطاب الشفهي . وتعاني البلدان العربية من مشكلة الأمية بأنواعها الثلاثة الأمية الهجائية ، الأمية الثقافية الحضارية ، الأمية

التكنولوجية وهي مظاهر للتخلف واستمرارها هكذا يعني استمراراً وتكريساً للتخلف وتكريساً للتجزئة والتبعية أيضا ( زايد ، 2010 م، ص 80) .

إن الاستفادة من العلم الذي تحقق ، تجعل سير الحياة متوازناً وسوياً لا يعتريه ظلم ، وإذا كانت الأمية المنتشرة في المجتمعات العربية والإسلامية وصمة عار، فإن عدم تكوّن القمة المفكرة المبدعة الطُلعة التي تتحسس علم العالم أخطر من الأمية البسيطة ، لأن مشكلة المجتمعات الإسلامية مشكلة أمية مركبة ، ومن هنا كان اعتبار القران أن الأمية ليست فقط أمية القراءة والكتابة ، بل أمية الأفكار كما ورد في قوله تعالى " وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ( سورة البقرة ، الآية : 78) أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة فقط على أحد وجوه التفسير ، قال ابن تيمية عن ابن عباس وقتادة في قوله ومنهم أميون أي غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظاً وقراءةً بلا فهم ، ولا يدرون ما فيه ، وقوله إلا (أمانيّ ) أي تلاوة ، فهم لا يعلمون فقه الكتاب ، وإنما يقتصرون على ما يسمونه يتلى عليهم (سعيد ، 1988م ، ص3).

ومن منطلق أن الأمية قضية مجتمعية قومية، وليست ظاهرة فردية تعليمية وفنية بحتة، فقد قسّم بعض الباحثين الأمية إلى قسمين: أمية أبجدية، وأمية حضارية، وهذا التقسيم استقرت عليه وثيقة إستراتيجية محو الأمية في البلاد العربية، والتي قُدِّمت إلى مؤتمر الإسكندرية الثالث فتم إقرارها في ديسمبر 1976م، ثم أجازها المؤتمر العام للمنظمة العامة للتربية والثقافة والعلوم في دورته غير العادية، والتي عقدت في الخرطوم عام 1978م، وقد لقي هذا التقسيم قبولا من الجميع؛ لأنه انطلق من قراءة حضارية للواقع العربي، والذي تم التوصل من خلالها إلى ازدياد حدة التخلف في المجتمعات العربية والإسلامية، وأنه لا سبيل للقضاء على الأمية الحضارية ومعها بالطبع الأمية الأبجدية إلا بمواجهة حضارية شاملة للتخلف في المجال الثقافي والاجتماعي ، ثم مع التطور العلمي والتكنولوجي أضيف للأمية بعد آخر تمثل فيما عرف بالأمية التقنية، والتي مفادها أن كل مواطن محروم من الإلمام بمبادئ التقنية هو مواطن أمي، ولو حمل درجة الدكتوراه، فمثل هذا المواطن لا يستطيع أن يشترك في تحقيق التنمية وتم في هذا البحث إدراجها ضمن الأمية الحضارية (عجمي ، 2005م، ص 102).

وسيتناول الباحث أبرز نوعين من أنواع الأمية ، وهما الأمية الأبجدية ، والأمية الحضارية وذلك لما لوقوع معظم المجتمعات العربية والإسلامية في دائرتهما ، إضافة إلى أنهما يشملان في مجموعهما بقية عناصر الأمية سواء كانت الثقافية أو الدينية أو الاقتصادية .

**ب : الأمية الأبجدية**

إن مشكلة الأمية ، وما يخسره الإنسان بفقدانه القراءة والكتابة ، شيء لا يعوض ، وإن البلدان التي تعاني من الأمية تعاني من نقص في فاعلية الإنسان ، فالأمي منزوع منه الشريان الذي يمده بالسلطان ، لأنه مفصول عن تجارب البشر ، بل يمكن القول : إنه غير قابل أن يبلغ الرشد ( سعيد ، 1408هـ، ص 40)

فالأمية تعد مشكلة حقيقية ، وهي مشكلة تربوية ومشكلة اجتماعية وتنموية ، في نفس الوقت لما لها من تداعيات على مختلف تلك المجالات وكذلك لخطورة انتشارها . وفي عالم مليء بالمعرفة سريع التحولات اتخذ من العلم أداة للتنمية والتقدم الحضاري ، وهذه المشكلة آخذة في التنامي وليس النقصان ، وهو ما يستلزم إستراتيجية حقيقية لوقف هذا النزيف والحد من الأمية الأبجدية ثم الانتقال للقضاء على الأمية التكنولوجية ثم الأمية الحضارية ( الحر ، 2005م، ص 50) .

إن الاستفادة من القدرات البشرية في بعض بلدان العالم العربي ضعيف نسبياً، ويتجلى قصور القدرات الإنسانية بأخطر ما يكون في عصر كثافة المعرفة في قصور اكتساب المعرفة، ودلالة قصور التحصيل التعليمي في البلدان العربية ؛ في ارتفاع منسوب تفشي الأمية فيها عن نظيراتها في البلدان الصاعدة في شرق آسيا وأمريكا اللاتينية، وانخفاض معدلات الالتحاق بالتعليم، خاصة العالي، عن متوسط البلدان النامية. وتحتل المنطقة العربية بين مناطق العالم الأخرى أدنى مستوى من الوصول إلى تقانات المعلومات والاتصالات، حتى أنها أقل من أفريقيا جنوب الصحراء (تقرير التنمية الإنسانية العربية، 2002م).

**ج : معالم تفشي الأمية الأبجدية**

**١ -إحصائيات مرتفعة لفاقد العنصر البشري**

تشير الإحصاءات التي تحدد نسب ظاهرة الأمية في المجتمعات العربية إلى مدى خطورة الظاهرة، وظلت نسبة الأمية مع جهود القضاء عليها مرتفعة جدا، وقدرها بعض الباحثين بالتراوح بين (45%-90%)، وتقل نسبة الأمية في دولتين عربيتين فقط عن ( 32%) من جملة عدد السكان، وفي مصر على سبيل المثال تبلغ نسبة الأمية ( 38.6%)، ونسبة (22.8%) لمن يعرفون القراءة والكتابة فقط، ونسبة (32.8%) لأصحاب المؤهل أقل من الجامعي، ونسبة ( 5.8%) لحملة المؤهل الجامعي، وقد أشارت دراسات إلى أن الأمية تنتشر بين الفئات الأضعف اجتماعيا واقتصاديا، وأن نسبة الأمية في الإناث أعلى منها بكثير عن الذكور(أبو السعود ، 2003م، ص193، عمار ، 1992م ، ص84، العوضي، 2004م، ص ص23- 26 ).

والمُلاحِظ يلمس أن المقارنة في المقاييس بين العالمين هي مقاييس مادية واقتصادية نوعاً ما ، لكن ما هي المقاييس العلمية ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تأتي في سياق إظهار الفروق بالمقاييس العلمية ونسب المتعلمين من المجموع الكلي للسكان ، فنسبة المتعلمين في سوريا ومصر والجزائر والعراق والتي لم تتعد 53% ، 44% ، 35% ، 26%على التوالي عام 1979 ، بالإضافة إلى أن الناتج الإجمالي للفرد الواحد لنفس الأقطار كانت على التوالي : 910$ ، 320$ ، 1110$ ، 1550 $ (سلامة وآخرون ، 1989 م، ص 682 ) .

وقد رأى بعض الباحثين – وإن كان الباحث لا يتفق مع ذلك – أن الأمية تشكل ظاهرة خطيرة في بعض المجتمعات العربية والإسلامية، وأن وجودها ليس عملا من أعمال المصادفة البحتة، ولكنه عمل إرادي واختياري، حيث تعلم بعض الأنظمة السياسية أن وجود الأمية بهذه النسب المرتفعة تحقق من خلالها مكاسب في تضليل وتزييف وعي بعض الجماهير وقهرها سياسيا ، ويتمثل ذلك في بعض المواقف والخطب السياسية، حين تنادي الجماهير بحقوقها ومصالحها، ورغبتها في الديمقراطية الحقيقية ورفع القيود عنها، وإلغاء القوانين والتشريعات التي تعوق العمل السياسي والاجتماعي لهذه الجماهير، حينئذٍ تتهم القيادات السياسية الجماهير بأنها أمّية، وأن نسبة الأمية في صفوفها عالية، ولا بد من وجهة نظر القيادات أن يبقى الحال على ما هو عليه إلى أن تنمحي أمية الجماهير؛ فتحصل بعد ذلك على حقوقها، وربما في نفس الخطاب تشيد القيادات السياسية بوعي الجماهير وفكرها العالي، وذلك حين تريد تلك القيادات الحصول على استفتاء الجماهير فيما يخدم مصالح تلك

القيادات؛ وهي التي كانت منذ لحظات تعيب أميتها؛ لتتجاهل مصالحها(بدران ، 1995م، ص325 ).

ولم يتوفر على مدار التاريخ الإسلامي من المدارس ، والمعاهد والمحاضن العلمية ، ما يكفي لتعليم جميع الناس وتثقيفهم ؛ فعلى الرغم من أن كثيرا من الدول الإسلامية تنفق ربع ميزانيتها على التربية والتعليم ، إلا أن نسبة الأمية مرتفعة حيث تصل نسبتها إلى 60% ، أما الأمية الثقافية والفكرية ، والمنهجية التي تشل القدرة على التفكير الموضوعي ، والقبض على الواقع وتنظيم ردود الأفعال ، فإنها مع الأسف هي القاعدة ( بكّار ، 1426هـ ، ص 241)

وما تزال الأمية تشكل عائقا في الدول النامية عموماً والدول العربية خصوصاً ، فرغم تضاعف عدد المحررين من الأمية إلا أن نسبة الأميين في العالم العربي ما تزال مرتفعة خاصة في فئة الإناث ، " حيث تقدر منظمة اليونسكو نسبة الأمية خلال الفترة 1985-1994م في المنطقة العربية ككل 30.2% بين الرجال و 53.9% بين النساء وهي نسبة أعلى بكثير خاصة بين النساء عن نسبة الأمية المقدرة على مستوى العالم ( 17.4 % بين الرجال و29.9 % بين النساء) وبالرغم من تحسن نسبة الأمية في المنطقة العربية 1995-2005م والتي انخفضت إلى 19.3 بين الرجال و40.3 % بين النساء إلا أنها ما زالت أعلى بكثير من النساء في المنطقة العربية بالمقارنة بنسبة الأمية بين النساء في العالم والتي بلغت 22.6% ، بينما تفوق نسبة أمية الرجال في المنطقة العربية نظيرتها في العالم بحوالي 7 نقاط والتي تبلغ 12.6 خلال الفترة 1995-2005م " (الألكسو ، 2010م، ص2)

لذلك فإنه لا يلوح في الأفق القضاء تماماً على الأمية في البلدان العربية " فالجهود الهامشية المعطاة لمحو الأمية ، تنطلق من إيمان خفي بأن الزمن كفيل بحل مشكلة الأمية ، وأن التركيز يجب أن يكون على تعليم التعليم الأساسي " ( الجلال ، 1985م، ص 26) ورغم كل ذلك فإن العالم العربي والإسلامي يدلف إلى الألفية الثالثة ويتجاوزها بعشرة أعوام ، وهو لا يزال يتحدث عن الأمية وسبل علاجها وليس حتى محوها بالكامل .

ولو أخذ الباحث بلداً كالمملكة العربية السعودية كشاهد عن كثب فإنه سيلحظ في خطة التنمية التاسعة الآتي " تبين موازنة هيكل توزيع السعوديين ( 15 سنة فأكثر ) لعام ( 2004م) مع عام (2007) حسب الشهادة التعليمية ، انخفاض نسبة السكان الذين لا يحملون شهادة مدرسية ( أمي / يقرأ ويكتب ) حيث انخفضت للذكور من 15% إلى (13.6) وللإناث من ( 32.6) إلى (30.2) ورغم الانخفاض في نسبة هذه الفئة من الإناث ، إلا أنها لا تزال عالية وخاصة لفئات العمر الأعلى

( أي اللواتي خارج العمر التعليمي ) مما يستدعي تكثيف الجهود والبرامج للقضاء على هذه الفئة العمرية من الإناث " ( وزارة التخطيط ، 2010م ، ص 316) لكن الباحث يعتقد بأن هناك جهود قائمة وحثيثة للقضاء على الأمية من خلال البرامج السنوية والفصلية التي تقيمها في المدارس وبعض القرى والهجر النائية.

**٢ -انتشار البطالة**

لقد برزت سلبيات الأمية في نشر البطالة والفقر ، التي تعيق نمو الأفراد اجتماعياً ، ولا يتسنى لهم الإحاطة بالمسائل الاجتماعية ، وصعوبة استغلال موارد الثروة المتاحة بالبلاد الإسلامية من النواحي الاقتصادية ، كما تؤثر أميّة الآباء والأمهات ، على مستوى تعليم الأبناء واستمرارهم في الدراسة ونظراً لارتباط الأميّة بالكثير من المشكلات ، كانخفاض الدخل الفردي المتوسط، الانفجار السكاني ، وصعوبة اقتناع الأميين بتنظيم الأسرة ،وانتشار الخرافات وانعدام الوعي فلقد كان لتزايد عدد الدول النامية الإفريقية والآسيوية ، التي انضمت لهيئة الأمم المتحدة اثر كبير في إثارة مشكلة الأميين على نطاق عالمي ، وهي مظاهر للتخلف واستمرارها هكذا ، يعني استمرارا للتخلف وتكريساً للتجزئة والتبعية أيضا ، وتمهيد الطريق لاحتمال سيناريو الهبوط والتدهور . ويعاني التعليم من جوانب قصور عدة أبرزها كتحد هام : هو وضعية المعلم وقصور إعداده بالشكل الذي يتناسب مع العصر الراهن ، وما يستدعيه ذلك من فلسفة حوارية في منظومة التعليم بصفة عامة ، وفي إعداد المعلم والمتعلم خاصة ( زايد ، 2010م، ص 80)

وتعد الأمية إحدى المشكلات الكبرى التي تنوء بها الإنسانية ، فهي إلى جانب أنها عقبة في التطور الاقتصادي والاجتماعي ، فهي كذلك مظهر من مظاهر القصور في المواطنة الصالحة لأن التعليم والعمل حقّان أساسيان للمواطنين لا غنى عنهما ، فالأمية عدوان على الأفراد من حيث حرمانهم من حقوقهم وحرمانهم من واجباتهم ، لعجزهم عن الإسهام المادي والمعنوي في النهوض بمسؤولياتهم المدنية ، وهي كذلك عدوان على المجتمع لحرمانه من جزء لا يستهان به من قدراته البشرية الدافعة إلى التقدم الحضاري .

**٣ -انعدام الرغبة في التعلم**

الأمية عقبة كؤود تقف أمام التقدم والتحضر؛ فهي تفرز الجهل والجريمة في المجتمع، كما تؤدي إلى التكاسل والتواكل وعدم الانتماء، كما أن الأمي في غالب الأحيان عالة على أمته، كما تسبب الأمية فقدان الوعي وضعف المشاركة السياسية( الصاوي، 1997م، ص134)

والأمية فقدان المجتمع لحاسة الثقافة المطلوبة للتعامل مع معطيات العصر، كما أن محو الأمية والتعلم هو: القوة التي تزيد فاعلية العقل على الفهم والإدراك والتفسير، وإنسان اليوم لم يعد مثل إنسان الأمس الذي كان يتعامل فقط مع العالم الطبيعي، بحيث لا يحتاج إلا إلى حواسه المعروفة، أما إنسان اليوم فقد صنع عالما آخر من الآلات والأجهزة والمعدات والمعلومات والتكنولوجيا والنظم الاجتماعية والسياسية؛ فلا يكفي أن يكون ذا حواس طبيعية، بل لا بد أن يكون مزودا بحاسة عظمى، هي حاسة الثقافة والتعلم، وهي ما لا تتأتى مع الأمية، والتي بها لا يستطيع الإنسان أن يتعامل مع العالم المصنوع، وهذا يفسر أن إنسان الأمس يستطيع أن يتعايش مع الأمية؛ لأن عالمه هو العالم الطبيعي، بينما لا يستطيع ذلك إنسان العصر الحالي، والنهاية في القول: إن الأمية علامة فارقة بين الأمم المتقدمة والأمم المتخلفة(علي ، 1999م، ص323- 324) لذلك فإن الأمية قاعدة مثلث التخلف، والذي يمثل أضلاعه الجهل والفقر والمرض، وهي أصل لهذه الأضلاع الثلاثة .

إن عدم التحاق الأميين في البرامج التعليمية الموضوعة لهم ، وعدم إقبالهم عليها يعتبر موقفاً سلبيا من تقدم وتطور المجتمع الذي يعيشون فيه ، في جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وبالعكس فإن التحاقهم والإقبال على البرامج ، يعتبر إسهاماً منهم في عملية التنمية الشاملة التي يعيشها المجتمع ، وخاصة في مجتمع المملكة العربية السعودية حيث يعيش الآن فترة انتقالية حضارية كبيرة ولذلك فهي تسعى جاهدة للقضاء على الأمية وتخليص أفراد المجتمع منها ، إلا أن هناك كثير من الأميين يحجمون عن الالتحاق بفصول محو الأمية ولا ينتفعون بها ( خاطر وآخرون ، 1986م، ص32 ) " وذلك رغم وجود الحوافز المتعددة والفرص التعليمية المهيأة لهم ، وهناك عدد آخر من الأميين يقبلون على الالتحاق بهذه البرامج ويشاركون في الانتفاع بها إلا أنهم ينقطعون بعد فترة وجيزة " (مرسي ، 1983م،ص82 ).

وفي ظل ارتفاع نسبة الأمية في بعض المجتمعات العربية إلى أعلى معدلاتها في العالم، فإنه لو قُدِّر وسارت الأمور حسب المعدلات الحالية لمحو الأمية، فإن القضاء على الأمية سيتطلب أكثر من 42 سنة في بعض الأقطار، وسيتطلب 120 سنة في البعض الآخر، هذا إذا تحقق في الدول العربية

الاستيعاب الكامل ، لجميع من هم في سن التعليم الابتدائي خلال السنوات المقدر فيها محو الأمية بأنواعها، وينبغي التأكيد على تأثير الأوضاع الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية الساكنة في عدم الحماس لمحو الأمية، إضافة إلى المناخ الثقافي السائد، الأمر الذي لم يؤد إلى تكوين دافعية كافية لدى الأميين لمحو أميتهم، مما ساعد على توافر قدر من السلبية لديهم، وعلى كل حال، فإن حركة محو الأمية في المجتمعات العربية لم تأخذ بعد المكانة الملائمة لطبيعة المشكلة وتأثيرها السلبي كمشكلة حضارية واجتماعية وتنموية، ويتمثل ذلك في التبعية والطفيلية لأجهزة محو الأمية، وكذلك عدم وجود أجهزة متخصصة ومتدرجة لإعداد الكوادر العاملة في محو الأمية وتأهيلهم علميا وتدريبهم مهنيا، مع الانفصال الوظيفي التام بين حركة وجهود محو الأمية وبين مؤسسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية(علي ، 1987م ، ص ص352- 353).

وقد أشار ( الحميدي و عبد الجواد 1422هـ) أن الأمية الأبجدية تحولت من كونها ظاهرة إلى مشكلة، بل مشكلة خطيرة، إذ أصبحت بحق العامل المشترك في كل مظاهر ومؤشرات التخلف، وإن البحوث في مجال الأمية وعلى شتى المستويات ، تؤكد الارتباط القائم بين الأمية وشتى مؤشرات التخلف على مستوى الفرد والدولة معا، من مرض وسوء تغذية، وارتفاع في نسبة وفيات الأطفال، وفوق هذا وذاك اضطراب وفوضى وعنف وعدم استقرار سياسي على مستوى الدولة، وضعف، وضمور، وقلة حيلة وخفة وزن في علاقات الدولة الخارجية بغيرها، وقدرتها على التأثير في الأحداث الدولية خارج حدودها (ص: ط – ي).

**٤ -ازدياد الوقت الضائع**

أكدت بعض الدراسات في بعض البلاد النامية ، أن هناك علاقة بين الأمية وارتفاع نسبة الوقت الضائع ، نتيجة الغياب والتأخير بلغت أكثر من 25% في بعض الصناعات من جملة وقت العمال ، وأن نسبة الفاقد نتيجة الإهمال في الأداء بلغت 18% وأن نسبة الوقت الضائع نتيجة الحوادث وإصابات العمل بلغت أكثر من 8% ، وكلها من الأمور التي تؤدي إلى انخفاض إنتاجية العمال وترتبط جميعها بارتفاع نسبة الأمية بينهم ( حلمي ، 1976م، ص 19-23) وهذا يدعم المظهر الثاني من مظاهر التخلف الاجتماعي التي تناولته هذه الدراسة وهو إهدار الوقت الأمر الذي يؤكد بأن مظاهر التخلف الاجتماعي حلقات تتصل في بعضها البعض .

وتفشي الأمية مفضي إلى انحسار الحضارات ، وتضاؤل قدرات الأفراد ، وقد كاد سند تعليم العلم أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه، وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع و فقدانها " و ذلك أن القيروان و قرطبة كانتا حاضرتي المغرب و الأندلس و استبحر عمرانهما و كان فيهما للعلوم و الصنائع أسواق نافقة و بحور زاخرة. و رسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما و ما كان فيهما من الحضارة. فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً كان في دولة الموحدين بمراكش مستفاداً منها، و لم ترسخ الحضارة بمراكش لبداوة الدولة الموحدية في أولها و قرب عهد انقراضها بمبدئها فلم تتصل أحوال الحضارة فيها إلا في الأقل " ( ابن خلدون ، ب . ت، ص 926) .

**د : الأمية الحضارية**

وهي التي من مضامينها جهل المجتمع بمكانته الحضارية التي ينبغي أن يتبوأها، وهي تنشأ من أمية المجتمع الدينية، فإذا جهل مجتمع دينه فَقَدَ المعايير والضوابط التي تحكم سلوك الأفراد وأخلاقياتهم، كما تفقد أعمال الأفراد ومنجزاتهم أبعادها الحضارية، حينئذ يتدافع المجتمع على غير هدى؛ فتتراجع حضارته التي كانت، وشيئا فشيئا ينسى أفراد المجتمع حضارتهم ومنجزاتها، ويجهلون مهمتهم الحضارية المتمثلة في إسهامهم في بناء المجتمع الذي ينتمون إليه، وكل ذلك راجع للأمية الدينية التي يجهل معها الأفراد أن دينهم الإسلام يفرض عليهم العلم والتعلم، الأمر الذي يقود المجتمع إلى التقدم والإسهام في بناء الحضارة، فمع الجهل لا يمكن لمجتمع أن يحقق قدرته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولا تتحقق تلك القدرة ما لم تبدأ من ثورة ثقافية علمية تسعى لتوعية الأفراد بضرورة وأهمية القضاء على الأمية بأنواعها، وعلى رأسها الأمية الدينية التي هي أساس أي أمية ( خليل، 2001م، ص2).

وتتعدد مظاهر الأمية الحضارية وتتشعب إلى أمية وظيفية وأخرى أخلاقية ، وأخرى معلوماتية وهكذا : فالأمية الوظيفية كما يرى ( بدران ، 1993م) هي عدم تعلم الأفراد مهنة من المهن أو عدم إتقانها والقيام بمسؤولياتها كما يجب ، وبشكل يزيد من إنتاجيتهم فيها . ولما لها من أهمية كبرى نظرا للضرر الواقع على المجتمع من وجودها فإن محوها إلى جانب محو الأمية الأبجدية قضية ذات أولوية مطلقة إن كانت الدولة تسعى لتطوير منتجاتها ، وزيادة القدرة الإنتاجية فالمهارة في أي عمل

ومهنة تشترط من العامل أن تكون معرفته جيدة ، وتدريبه كافٍ ، وذو أمانة ورغبة في العمل ( ص 78) .

**هـ : معالم الأمية الحضارية**

**١ -العلم دون عمل**

ومن المعاني الأساسية للأمية الحضارية ، ذهاب روح العلم، وضياع مقاصده الأصلية، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا، فقال : ذاك عند أوان ذهاب العلم . فسأله أحد الصحابة : وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ، ونقرئه أبناءنا ، ويقرأه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة، قال :ثكلتك أمك زياد ، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ( سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، رقم الحديث 4048) فقد بّين صلى الله عليه وسلم أن ذهاب العلم، وانتشار الجهل والأمية لا يقصد به ذهاب القرآن ، وعدم التمكن من قراءته، وإنما ذهاب العلم هو عدم الانتفاع بهذا العلم ، وفقدان المنهج وكيفية التعامل معه والتفاعل به، وهو ما يمكن تسميته بالأمية العقلية أو الفكرية أو الثقافية " والأمية العقلية هذه تسود الأمة في حال التقليد، والغياب الحضاري، والعجز عن تدبر القرآن والتعامل مع الأحداث واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله في الأنفس والآفاق وحسن تسخيرها ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاذ من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه، والتدخل حين نعلم السنة وأنها تتكرر ولا تتبدل، فنستطيع توجيهها إلى حيث نريد ونفيد" (الغزالي ، 2000م، ص16) .

فالأمية إذاً كما يرى بعض الباحثين ليست أمية أبجدية فحسب ، بل هي أمية حضارية أيضا ، ولهذا نجد أن إقبال المتعلمين على القراءة محدودة في أعداد قليلة منهم ، فأصبح العزوف عن القراءة آفة لم يسلم من دائها حتى المتعلم ذاته ، مما ساعد على تداول مصطلح متهكم هو جهل المتعلمين " ( سفر ، 1410هـ، ص71) فأصبح أكثر المسلمين اليوم مصاب بضعف الشهية للقراءة والاطلاع ، ما أدى إلى الانفصام بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية ، وحين تطرح المسألة للحوار لا تجد إلا أعذاراً واهية ، وحجج متهافتة ، حتى صارت طباعة الكتب سوى الروايات مغامرة غير محسوبة العواقب( بكار ، 1426هـ، ص 242)

إن العوام بحسب ( البليهي ، 1425هـ) ليسوا فقط الأميين الذين لا يُحسنون القراءة والكتابة ، وإنما العوام هم الذين يحكمون على قضايا لا يعرفون عنها ما يؤهلهم للحكم فيها ، ويشغبون على من

يملك المعرفة الممحَّصة والرؤية المعمَّقة ، فيُحجم اضطراراً عن تعرية هذا الجهل فلا يجرؤ أن يقول ما يرى أنه الحق والصواب ؛ خوفاً من سلطة العوام وما تؤدي إليه مخالفتهم من تشويه السمعة وفقدان المكانة ، وربما قطْع مصدر الرزق فحين يضطر الأعلم أن يُخفي أفكاره وآراءه ، ومواقفه ، أمام الأقل علماً ، والأضعف اهتماماً ، فإن في هذا هزيمة للعلم وانتصاراً للجهل ، وانسداداً للآفاق وقلباً لمنطق التعليم والتعلم .

وتاريخ الحضارة يشهد أن الازدهار الثقافي ، وما ينتج عنه من تقدُّم في كافة المجالات ، لم يتحقق لأي شعب إلا بالتفاعل المتوازن بين الانتظام والاقتحام ، وبين التقليد والتجديد ،وبين الأتباع والإبداع ، وكلما تطور المجتمع ازدادت الأمور فيه تعقيداً ، وتطلَّبَتْ مستويات أرفع من المنهجية الصارمة ، والعلم الدقيق ، والفكر الرصين والرؤية النافذة .

والأمية الأخلاقية هي إحدى عناصر الأمية الحضارية ، وهي لا تقل تخلفاً عن سابقتها كونها " تعني الأفراد الذين لا يمكنهم تفهم المبادئ الأخلاقية واستيعابها والالتزام بها في عملهم ، وفي تعاملاتهم مع الآخرين ، أي أنهم أميون بالمعيار الأخلاقي رغم محو أميّتهم بأشكالها المختلفة " ( إبراهيم ، 1424هـ، ص76-78 )

لذلك تكمن علة التخلف الاجتماعي في أقطار العالم الثالث ، في نوعية التعليم ومدى تأثيره على تغيير الذهنية ، حيث يظل في كثير من الأحيان قشرة خارجية تنهار عند الأزمات ، لتعود الشخصية إلى نظرتها الخرافية ، فالعلم لا يشكل بالنسبة للعقل المتخلف أن يكون معطفاً يلبسه حين يقرأ كتاباً أو يلقي محاضرة ، ويخلعه في سائر الأوقات ، ففي الحياة اليومية نرى التقليد وانتشار الخرافات والنظرة المتخلفة إلى الوجود هي السائدة . أما المناسبات العلمية فنرى الواحد من هؤلاء ، أو بعضهم ، يحلق في الأجواء العليا ولكن للحظات (حجازي،2005م، ص 78).

والمجتمع العربي غلب في بعض أفراده الأمية الحضارية ، و هذا له ارتباط واضح بالأمية الكتابية التي يصل عددها إلى 65 مليون عربي ، و لا يستخدم العلم بصورة صحيحة و سليمة ، و لا يستفيد منه في حياته اليومية بصورة صحيحة أو كثيرة ، فهو يعتمد بصورة أكثر على الاجتهادات الشخصية التي تتصف بعدم التخطيط ، و العشوائية و القدم إن لم يستخدم مع ذلك الخرافات ، و الأساطير و البدائية في التفكير ، لذلك فهو مجتمع تقاليد ، وهذه التقاليد تؤثر في مجرى حياته ، لذا

فهي مستحكمة فيه لا يستطيع التحرر منها بسهولة لاسيما و أن السلبية منها تتغلب على الإيجابية ( الجابري ، عام 1994 ، ص 191 ).

وقد ذكر ( تيشوري ، 2005م)أن من يتأمل عدم مقدرة الأشخاص المتعلمين على مواكبة معطيات العصر العلمية ، والتكنولوجية ، والفكرية والثقافية، والفلسفية والإيديولوجية والتفاعل معها بعقلية دينامية ، قادرة على فهم المتغيرات الجديدة ، وتوظيفها بشكل إبداعي فعال ، يحقق الانسجام والتلاؤم مابين ذواتهم والعصر الذي ينتسبون إليه ، مؤمنين في ذات الوقت بمجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية ، والممارسات السلوكية ، والمبادئ الخاطئة لا يمكن أن يصف هؤلاء إلا بالأمية الحضارية .

والراصد لحركة التربية في العصر الحديث يلاحظ وجود جوانب عريضة من القصور أقل ما يصفها الباحث أنها أمية تعليمية " لأن تدني التعليم لا يزال هو نقطة الضعف الرئيسة التي تحول دون إسهام كافة شعوب العالم وخاصة شعوب العالم النامي ، في تشييد النظام العالمي المنشود ، فالعلم الحديث هو أساس التقدم والتنمية والنمو . ومن شروط بناء نظام إنساني تحرري جديد : تحرير الإنسان من الجهل ، ووضعه على طريق التقدم العلمي والمعرفة " (زايد ، 2010م، ص85)

**٢ ضعف الإنتاج المعرفي**

وفي هذا الصدد فإن نصيب الفرد من الثقافة المُنْتَجة، أو قلة عدد الكتب المؤلَّفة المخصصة لعدد من الأفراد، يسهم في الأمية الحضارية التي تعوق تقدم الأمة ، وكلما ازداد عدد الكتب المخصصة لمجموعة من الأفراد وهو ما يعرف بمقياس إنتاج الكتب ، دل ذلك على قوة الجانب الثقافي والعلمي في المجتمع، والعكس، أي أنه كلما قل عدد الكتب المؤلفة المخصصة لمجموعة من الأفراد، دل ذلك على ضعف الجانب الثقافي والعلمي، وتشير الإحصاءات والأرقام إلى أن نصيب المجتمعات العربية والإسلامية من الكتاب المؤلف يبلغ ( 40) أربعين كتابا لكل مليون من المواطنين، وهي نسبة أقل بكثير من المعدل العالمي الذي يبلغ ( 162) كتابا لكل مليون من البشر، هذا فضلا عن أن معايير إنتاج الكتب وضوابطها في الدول العربية والإسلامية أيسر وأبسط إذا ما قورنت بغيرها (عطية، 2003م، ص239) .

وقد تكون هذه النسبة زادت قليلاً ،بحسب آخر تقرير اطّلع عليه الباحث ، فإذا وزعنا مجموع الكتب المنشورة سنوياً في العالم العربي ، على عدد السكان يكون لكل 11950 مواطناً عربياً كتاب واحد ، بينما لكل 491 مواطناً إنكليزياً كتاب واحد ، ولكل 713 مواطناً إسبانياً كتاب واحد ، أي أن نصيب المواطن العربي من إصدارات الكتب يمثل 4% من نصيب المواطن الانجليزي و 5% من نصيب المواطن الإسباني " ( مؤسسة الفكر العربي، 2009 م ، ص 406)

**٣ -التخلف المعلوماتي**

وهناك ما يعرف لدى بعض الباحثين بالتخلف المعلوماتي في المجتمعات العربية والإسلامية، وهذا التخلف المعلوماتي له العديد من المعايير التي على أساسها يحكم بوجود هذا النوع من التخلف، ومن أهم تلك المعايير:

١ -غياب الروح العلمية الذي ينعكس في مظاهر عديدة، كضعف الثقة في البحث العلمي وجدوى البحوث العلمية.

٢ -عدم تقدير العلميين، وانقطاع معظم المتعلمين عن تحصيل العلم بمجرد تخرجهم أو حصولهم على درجاتهم العلمية.

٣ -بدائية الحوار، وقلة احترام التخصص العلمي والمهني، وتفشي الانتهازية العلمية.

٤ -ضعف الاهتمام بالروح الابتكارية لدى النشء وتثبيط هممهم، وسيطرة متوسطي الأداء وأنصاف الموهوبين على المراكز الحساسة ، بعد أن لفظت أو لفظها معظم المنجزين وأصحاب الفكر الأصيل.

٥ -وكذلك قصور الخدمات المعلوماتية، وضمور الطلب على المتاح منها، وعدم استغلال المعلومات المتوفرة في عمليات اتخاذ القرار التي يسودها طابع الحدس والعفوية، التي تصل إلى حد "الفهلوة" أحيانا، وتضخم البيروقراطية وتقديس الإجراءات الإدارية على حساب الأهداف، وعدم المحافظة على التراث الثقافي والمستندات والوثائق القومية الهامة، التي ستظهر أهميتها ولو بعد حين(علي، 1994م، ص ص277- 278).

ولذلك فإن هناك مؤشر خطير على وجود أزمة في المعلوماتية ، في البلاد العربية والإسلامية من حيث اقتصار مراكز أجهزة المعلومات والتوثيق في قطاع التربية ، على عدد محدود من الدول العربية ، وقلة الاهتمام بهذه الأجهزة من طرف المسؤولين ، وضعف الموارد البشرية المؤهلة فنياً ، والافتقار

إلى الاعتمادات المالية الكفيلة بتحقيق دورها على أحسن وجه ، وصعوبة الاتصال بين أجهزة التوثيق التربوية العربية داخلياً وخارجياً ، هذا مع صعوبة الحصول على الوثائق والمعلومات الضرورية والاكتفاء باقتناء الوثائق المطبوعة ، وإهمال الوسائل كالأفلام المصغرة والأشرطة الممغنطة ( زايد ،2010م، ص80-81)

ومتوسط الإنفاق على البحث العلمي في الدول العربية لا يزال ضعيفاً ، حيث يبلغ مليار وسبعمائة مليون دولار سنوياً ، وهو ما يعادل إنفاق جامعة هارفارد الأميركية وحدها ، في حين أن إسرائيل تنفق سنوياً ستة مليارات دولار . ولا يكاد معدل الإنفاق العربي يتراوح بين 0.2 أو على الأكثر 0.3 % من الناتج المحلي الإجمالي ، بينما يبلغ المتوسط العالمي نحو 1.7% أي أكثر من سبعة أضعاف إنفاق الدول العربية ( المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 2010م ، ص10)

كما جاء في احدث تقرير صادر من مؤسسة الفكر العربي ، عن أعداد الباحثين أنه " وفقاً للأعداد المتاحة الموثقة في بلد كمصر فإنه يتبين وجود 650 باحثاً مصرياً لكل مليون نسمة وهو أعلى المعدلات العربية بينما في كوريا الجنوبية يوجد حوالي 4600 باحث لكل مليون نسمة ، أي أكثر من المعدل المصري بثمان مرات " ( مؤسسة الفكر العربي ، 2010 م ، ص10) .

ومن هذا المنطلق فإن مظاهر الأمية الحضارية التي تمارس في مناهج التعليم بالبلدان العربية ، طرق التربية المعمول بها حالياً في بعض البلدان العربية ، فلم يعد المطلوب من المتعلم أو المعلم في هذا العصر ، وفي المستقبل ، مجرد التبحر في علم معين بحفظ واستيعاب قواعده وأصوله وقوانينه ونظرياته " بل يستلزم الإمساك بأدوات التفكير السليم ، والوصول إلى النتيجة المرجوة ، لقد ولى عهد الحفظ والاسترجاع ، فمن الآن يستطيع حفظ واسترجاع المليارات من المعلومات المتنامية والمتجددة ، ومن ثم فإن تربية التفكير مطلب وتحدي أساسي للنجاح في هذه الحياة ونجاح المجتمعات أيضا ، إننا نعيش في عصر جديد يتطلب عقلاً جديداً يتشكل في ظل ثقافة جديدة من خلال تربية متجددة ومجددة ( زايد ، 2010م، ص 80)

وفي هذا الصدد ما يحدث من غياب الفلسفة التربوية الواضحة في بعض البلاد الإسلامية ، ومعنى ذلك غموض الأطر والقوانين العامة والمبادئ الأساسية ، التي تهتدي بها الحياة التربوية والعلمية، والتي تتحكم بدورها في مسار الحياة الثقافية، فالمدقق سوف يجد نفسه بين ركام هائل من النظريات والفلسفات والأفكار والتقاليد والأوضاع، التي يختلط فيها الصحيح بالزائف، والحق بالباطل،

والواقع بالوهم والخيال، وسوف يخلص المرء من كل ذلك بفوضى تربوية لا يمكن معها بناء أفراد يقودون حركة التقدم في المجتمع، هذا إذا لم تؤد تلك الفوضى التربوية إلى زيادة العبء على المجتمع، ومن ثم الإسهام في تأخره (مدكور، 1987م، ص 104)، مع العلم أن فلسفة المجتمع التربوية هي التي تحدد تطور المجتمع وتقدمه في شتى الميادين: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية(عبد الدايم، 1991م، ص82).

**4. التخلف التكنولوجي والتقني .**

ولا تخفى التداعيات السلبية نتيجة الأمية في المجال التكنولوجي والتقني، أو بسبب الاقتصار على الاستيراد منها فقط، وإذا كانت الطاقات التكنولوجية والتقنية تلعب دورا بارزا في القدرات العلمية والمعرفية، وفي مجال الاختراعات والاكتشافات، وفي مجال التعلم الذاتي والتعلم المستمر، وفي مجال الاتصالات والترفيه، وفي مجال التعلم عن بعد، فضلا عن استخدامها في مجالات التعلم التقليدية؛ لتضفي عليها نوعا من الجذب والإثارة والتشويق بما يحولها إلى آفاقٍ جديدة، وفي مجال تخزين البيانات والمعلومات والإحصاءات بصورة هائلة تخدم كافة مؤسسات المجتمع ( عبد المجيد، 1994م، ص ص52- 93، و لطفي ، 1996م، ص175- 233).

وفي تقرير صادر من مؤسسة الفكر العربي حول البحث العلمي بعنوان : مؤشرات التخلف ومحاولات التميز ، كشف بأنه على صعيد براءات الاختراع يتضح أن عدد البراءات العربية المسجلة عالمياً بين 2005 و2009 لم تتجاوز 475 براءة اختراع ، بينما بلغت في ماليزيا وحدها 566 براءة اختراع " وإذا اعتبرنا أن عدد السكان العالم العربي يبلغ نحو 330 مليون نسمة وعدد سكان ماليزيا حوالي 26 مليون نسمة ، فإن معنى ذلك أن هناك براءة اختراع واحدة لكل 694 ألف عربي بينما تسجل براءة اختراع واحدة لكل 46 ألف ماليزي ! أي إن معدل الإبداع في ماليزيا يزيد 15 مرة عن معدل الإبداع في الدول العربية مجتمعة !" ( مؤسسة الفكر العربي ، 2010م ، ص 10)

لذلك فإن ما عرضته هذه الدراسة من بعض مظاهر التخلف الاجتماعي، كالتعصب القبلي وإهدار الوقت وتفشي الأمية بأنواعها يصعب الفصل بينها، بحيث لا يمكن القول: إن كل مظهر منها مستقل بنفسه، بل هي جميعا مظاهر تعبر عن وجود عوامل أحدثت خللا في المجتمع ، وإن كان الباحث قد عرض بعض تلك المظاهر، فإنه من المؤكد أنه يوجد الكثير غيرها، ويجدر بالباحث أن يذكر أنه إذا كانت هناك مجموعة عوامل ومسببات ، تقف وراء وجود مظاهر التخلف الاجتماعي،

وتقف أمام تقدم المجتمعات العربية والإسلامية في ذات الوقت، فإن القضاء على هذه المظاهر وتلاشيها ، يتطلب العمل على التخلص من العوامل والعراقيل التي سببتها وأدت إلى وجودها، وهذا ما سيتم تناوله في الفصل الخامس، من خلال عرض الباحث لدور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي .

# الفصل الخامس

# دور التربيــة الإسلاميــة في مواجهــة بعـض مظاهــر التخـلف الاجتماعي

المبحث الأول : التنمية الاجتماعية .

المبحث الثاني : دور التربية الإسلامية في مواجهة التعصب القبلي

المبحث الثالث : دور التربية الإسلامية في مواجهة إهدار الوقت

المبحث الرابع : دور التربية الإسلامية في مواجهة تفشي الأميّة

**تمهيد :**

لقد كانت البلاد العربية الإسلامية متماسكة البناء الحضاري، متجانسة السلوك الحياتي ، مجسّدة نموذجًا فريداً للقانون الذي يحقق آدمية الإنسان ، ويصون له حقوقه ، ويضمن له إرادة فاعلة في مجالات التنمية ، وقد تحقق هذا بفضل من العقيدة السليمة والتربية الإسلامية الرشيدة،والدين القويم الذي لم يترك شيئاً مما يحتاجه الفرد في مسيرة التقدم إلا هيّأه له ، وما هو قابل للاجتهاد بواسطة الفكر، وضع له الضوابط الدقيقة التي تعصم العقل من الزيغ في حركته الاجتهادية، وبذلك وصلت الأمة الإسلامية قمة الازدهار العطاء، وحين خالفت كل ذلك ، وجدت نفسها شريدة طريدة، فرجعت القهقرى، ثم تخلفت وتأخرت، وحلت بها الأزمة .

لقد بدأ الإسلام بتحديد منهاجه في التغيير الكافل ، إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، والذي يبدأ بتغيير النفس الإنسانية، وإعادة صياغة الإنسان بالإسلام ، فالتغيير – سواء في اتجاه التقدم والنهوض، أو في اتجاه التخلف والجمود – إنما يبدأ بالصياغة الإيجابية أو السلبية للإنسان بحسب ( عمارة ، 1418هـ) وعندما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام صناعة الجيل الفريد، المؤسس للدين، نهض هذا الجيل بتغيير الواقع، وبناء الدولة، وتطبيق الشريعة ، ثم توالى التراكم المعرفي في علوم الدين والدنيا – الشرعية والمدنية – تلك التي كونت الحضارة العربية الإسلامية .

ولذا تعرض الدراسة فيما يلي مفهوم التربية الإسلامية وأهدافها وأساليبها ليوضح الباحث الأسباب التي من أجلها أصبحت التربية الإسلامية هي المخرج الوحيد لإنقاذ المجتمع المسلم من تخلفه؛ وذلك لما للتربية الإسلامية من أهداف ترقى بالمجتمع المسلم وتخرجه من تخلفه، ثم تعرض الدراسة بعد ذلك لدور التربية الإسلامية في مواجهة بعض مظاهر التخلف الاجتماعي .

## المبحث الأول : التنمية الاجتماعية

**أولاً : مفهوم التنمية الاجتماعية .**

قضية التنمية من أهم القضايا في العصر الحالي ، لاسيما في البلاد العربية والإسلامية التي تصنف ضمن الدول المتخلفة ، والمقصود بالتنمية ليست تنمية رؤوس الأموال والإنتاج فقط ، ولكن الأهم هو تنمية العقول أولاً، فهي السبيل الأفضل للتغلب على حالة الضعف والتبعية ، التي تعيشها البلاد الإسلامية ، فالتجربة التي مرت بها البلدان الإسلامية ومحاولات التنمية من الجوانب الاقتصادية فقط لم تصل إلى الهدف المنشود ، نظراً لإهمالها النواحي الاجتماعية والثقافية ، فالقوى البشرية ومدى استجابتها للتقدم هي التي تحدد درجة التقدم أو التخلف في الأمم ( مصطفى ، 2006م ، ص 276) .

والتنمية البشرية عملية توسيع نطاق الخيارات المتاحة للناس وهي ثلاثة خيارات رئيسية :

١ تحقيق حياة صحية أطول.
٢ -اكتساب تعليم أفضل.
٣ -الحصول على الموارد اللازمة لمستوى معيشي كريم .

وهناك بعض الجوانب المشتركة في تعاريف التنمية البشرية ، والمفاهيم المستخدمة حيث أنها تتفق في الإشارة إلى بعض الظواهر الخاصة بالتغير الثقافي ، ونمو الدينامية الاجتماعية ، وهناك من يشير لهدف تنمية المجتمع بأنها تهدف إلى نقل ذلك المجتمع من حالة التخلف ، إلى حالة التقدم، وهذا الانتقال يتطلب تغييراً جذرياً وجوهرياً في أساليب الإنتاج المستخدمة ، وفي البناء الاجتماعي والثقافي المتلائم مع هذه الأساليب الإنتاجية( الجوهري وآخرون ، 1984م، ص 81) .

ويعرف (النوري، 1988م) التنمية بأنها :الجهد المنظم لتنمية موارد المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بقصد القضاء على التخلف واللحاق بركب الحضارة وتوفير الحياة الكريمة لكل فرد من أفرد المجتمع ( ص 72) فيما يرى (أبو عينين، 1987م )" بأنها عملية شاملة تهدف إلى إحداث زيادة قدرت المجتمع الذاتية على إشباع حاجاته المادية والمعنوية الإبداعية لمواجهة مشكلاته وحلها ذاتياً للتخلص من التبعية وما يترتب عليها"(ص 15) .

والمهتمون بشؤون التنمية لم يتوصلوا إلى تعريف جامع مانع لها ، فظل مفهومها مصدراً لاختلاف الآراء والاتجاهات ، فركز بعض العلماء مثلاً على البعد الاقتصادي للتنمية ، فانصب

معنى التنمية عندهم على العمليات التي تتيح للإنسان السيطرة على موارده الطبيعية ، ورفع مستوى دخل الفرد ، وركز بعضهم الآخر على البعد الثقافي والتربوي للتنمية ، واعتبر الاستثمار والاهتمام ببرامج التربية والتعليم المنطلق الأساسي للتنمية .

وتؤكد المملكة العربية السعودية في معرض تخطيطها للتنمية ، على استمرار دعم التنمية باعتبارها الهدف الأساسي الذي تعطيه الأولوية ، والاهتمام برفع مستوى المعيشة وبناء المرافق والخدمات العامة ( وزارة المعارف ، 1414هـ، ص 9) محددة أهداف خطط التنمية في الآتي

١ -المحافظة على المبادئ والقيم الإسلامية.
٢ -تنمية القوى البشرية
٣ -تخفيف الاعتماد على إنتاج وتصدير النفط الخام .
٤ -الاستمرار في تشجيع القطاع الخاص في التنمية ( وزارة الإعلام ، ب . ت ، ص 95)

والتنمية الاجتماعية ذات مجال فسيح ومتشعب ، حيث أنها تهتم بالعنصر البشري وتجعله محورها ، إضافة إلى إحداث تغييرات اجتماعية شاملة في بناء المجتمع ووظائفه ، ولما كان مثل هذا التغيير ينصب على التركيز السكاني للمجتمع وبنائه الطبقي ، ونظمه الاجتماعية ، وأنماط العلاقات الاجتماعية السائدة فيه ، والقيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها ( العجلاني ، 1427هـ، ص 26)

ومن هذا الرأي فإن التنمية الاجتماعية تهتم بمجالات الخدمات الاجتماعية الصحية والتعليمية والثقافية والسكانية وغيرها ، فهي تركز بصفة خاصة على تنمية العنصر البشري أكثر من الموارد المالية . وتهدف إلى إحداث تغييرات في الأفراد للتقدم والنمو في النواحي الروحية والخلقية ، والعقلية والجسدية، وإعداد المواطن الصالح القادر على دفع عجلة الإنتاج والتقدم ، وهدف التنمية الاجتماعية : الإنسان ، وهذا الهدف ينقسم إلى هدفين فرعيين :

**الأول** : الهدف التكنولوجي ويتضمن إعداد القوى البشرية اللازمة لاحتياجات التنمية على مختلف مستويات المهارة والتخصص ، فالعنصر البشري من أهم عوامل التنمية لأن بين وظائفه الأساسية تطوير وتشغيل كل عوامل الإنتاج وإدارتها .

**الثاني** : الهدف العقائدي أو الأيدلوجي ويتضمن إعداد المواطن الصالح بما يتفق وطبيعة المجتمع وخصائصه وثقافته ( مصطفى ، 2006م ، ص 278).

**ثانياً : التنمية في القرآن الكريم**

تعتبر شمولية التنمية وتكاملها أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن الكريم ، فالقرآن في عرضه لمختلف مجالات التنمية وأنواعها دقيق كلَّ الدقَّة، واضح غاية الوضوح، لا لبس فيه ولا إبهام، فمن ذلك مثلا قوله تعالى، في الحديث عن التنمية الزراعية " وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ (يس ، الآية: 33-35) حيث أبرزت حدود عمل الله تعالى، ولم تُلغ عمل الإنسان وجهده وعلمه، شأنَ بعض الفهوم الخاطئة لسنن الكون؛ ذلك أنَّ نتاج الإنسان من أسباب الازدهار المنشود، وأنَّ عملَه من مقدِّمات التنمية الحقَّة؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، أي ليأكلوا مما عملت أيديهم ، وهو الغروس والحروث التي تعِبوا فيها، كما أن الشكر كذلك سبب من الأسباب ومقدِّمة من المقدِّمات، وبالتالي؛ فإنَّ الشطر الأول -أي العلم والعمل- مفهوم وواضح لدى كلِّ الشعوب والمجتمعات، حتى وإن كانت كافرة أو ملحدة، أمَّا الشطر الثاني فيحمل إضافة بارزة وبديعة، ألا وهي: شكر النعمة، وهنا يتضح الفرق الجوهري بين المنهج القرآني والمناهج الفكرية الأخرى (بابا عمى ، 2006م ، ص 34 )
وللتنمية الشاملة الحقيقية من منظور إسلامي ثلاثة محاور بارزة و هي:

- **الموارد:** وتتمثل في رأس المال، والثروات الطبيعية، والوقت.
- **الغيب:** ويتمثل في مشيئة الله تعالى وقدرته، وفي شكر نعمه.
- **الإنسان:** ويندرج ضمنه كلٌّ من الإدارة، والتخطيط، والعلم، والعمل، وتوجيه الطاقة.

وما يهم الدراسة في علاجها لظاهرة التخلف الاجتماعي محورية الإنسان في التنمية، بناء على المنهج القرآني ، كما أن التنمية من المنظور الإسلامي تهدف إلى تحسين حياة الإنسان على هذه الأرض في مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والبيئية وفق شرائع الله المقررة ، ويحرص الدين الإسلامي على التنمية الشاملة للإنسان من النواحي المادية والروحية ، فالإنسان ليس مادة فقط كي تنحصر التنمية في مجال التنمية الاقتصادية ، بل هو تجانس من مادة وروح يعيش في هذه الحياة وله حاجات يرغب تلبيتها ، إلا أن هناك حياة أخرى يوم القيامة يجب أن ينظر إليها بعين التوازن بين

الحياتين ، ومن خلال هذا التصور يبرز الإسلام مفاهيمه للتفوق والتقدم في المجتمع لينسجم مع عقائده وأسسه الإيمانية والأخلاقية (العجلاني، 1427هـ، ص8)

والإسلام يتميز عن غيره من الأديان ، بالدور الذي أعطاه للإنسان ، لكي يضطلع بمهمة خلافة الأرض ، حيث لم يخلقه ويتركه ، بل ألهمه المعرفة ، وهيأ له المستلزمات المادية كافة للنهوض بمهمته هذه ، ونتيجة لذلك فإن عليه أن ينظر إلى ما حوله ، ليجد آيات الله مبثوثة في كل ناحية ، وقوانينه ظاهرة على مختلف وجوه الحياة والكائنات ، فيتحرك للاستفادة منها والكشف عنها وتسخيرها لإسعاد نفسه بإنشاء الحضارة وبناء الحياة ، ودمج الطاقات المفردة بعضها في بعض للقيام بذلك التسخير ( العاني ،2002 م ، ص 29)

**ثالثاً : إسهام التنمية الاجتماعية في مواجهة التخلف الاجتماعي**

التنمية الشاملة لا تقتصر على النمو الاقتصادي فقط، بل تمثل عملية التغير الواعية بأبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية ، إذ تهدف بالإضافة إلى تحقيق زيادة منتظمة في الدخل الحقيقي للفرد إلى نموه الشخصي والمهني ، ورفاهيته وقدرته على اتخاذ القرار والمشاركة الاجتماعية والسياسية بمجتمعه والاستفادة من مؤسساته المجتمعية، وبعد إنجاز الصياغة الإسلامية بالتربية للإنسان ، جاءت كل الإنجازات والفتوحات ، في ميادين الحضارة وعلومها والثقافة وآدابها وفنونها ، فكانت تجسيداً لهذا الذي سبق إنجازه في الإنسان جاءت جميعها مصاغة بمعايير الإسلام ، التي سبق وصاغت نفوس وعقول وقلوب الذين اهتدوا بهدى الإسلام ( عمارة ، 2006م، ص 23)

والتنمية عبارة عن دفع وتحريك للكينونة الفردية والاجتماعية نحو الأفضل ، ويجب إدراك أن عمليات الدفع ينبغي أن تشمل كل الجوانب الحضارية للأمة " وفي اعتقادنا أن الطبيعة الإنسانية كل متكامل ، لا يمكن تجزئتها و وحين نهتم بأنشطة وأعمال تخدم جانباً من تلك الطبيعة ، ونهمل بقية الجوانب ، فإننا ندخل نوعاً من الخلل على التوازنات العميقة والظاهرة في الشخصية الفردية ، والشخصية الاجتماعي " ( بكار ، 1420هـ ، ص 22)

لذلك فإن إنجاح التنمية الاجتماعية يتطلب ثلاثة شروط ، يجب أن تتوافر قبل تنفيذ أي برامج أو مشاريع إصلاحية تستهدف المجتمعات العربية والإسلامية وهما :

أ : **التخطيط** .

يتوقف إتمام التنمية في المجتمعات المحلية بوجه خاص على مدى مشاركة أفراد المجتمعات ومبادأتهم ، كما أن التخطيط القومي لا يكون إيجابيا إلا إذا توفرت له الجهود الواعية من جميع أفراد العاملين ، وإذا لم تتح المجتمعات المحلية ذلك فإن الخطط القومية لا تحقق غاياتها كما تؤدي إلى إضعاف مقومات التماسك الاجتماعي في المجتمع القومي الذي تعمل التنمية على تقويته وتدعيمه ( حمودة ، 1981م، ص41)

ويتضح للمتفحص في البلاد العربية غياب التخطيط في جميع مناحي الحياة بصفة عامة، والتخطيط التربوي بشكل خاص، مما نتج عنه عدم استقرار أية خطة تنموية ومتابعتها، وعدم وضوح علاقتها بالتربية، ومن ثم فإن التخطيط التربوي يفتقر إلى الإطار الاقتصادي والاجتماعي الذي يسنده ويوجهه، والذي تقاس عليه المخرجات التربوية من الناحيتين: الكمية والكيفية (الخولي ، 1998م ، ص ص13- 16)

فالتخطيط من أجل التنمية الاجتماعية التي تهتم بتطوير المجتمع في شتى الاتجاهات بما يحقق الانسجام الاجتماعي والتقليل من الفوارق بين الطبقات الاجتماعية ، أكثر تعقيداً وتركيباً ونتائجه أبطأ وأقل تأكداً ، ذلك لأن هذا النوع من التخطيط يهتم فيما يهتم به الأحوال الاجتماعية السائدة والأفكار والقيم والتقاليد وأنماط السلوك المتبعة . والمشاكل المرتبطة بهذه النواحي في الحياة لا يمكن حلها بالطرق الاقتصادية ( خاطر ، 2002م، ص ص 80-81).

وقد أثبتت نتائج إحدى الدراسات أن أبرز أسباب التخلف في مفهومه الشامل هي: الفوضى (سوء التخطيط) بمؤسسات المجتمع بصفة عامة، والتربوية منها بصفة خاصة ( عجمي ، 2005م، ص 356)

لقد ساهم انعدام التخطيط ؛ في ضعف التكامل بين شرائح المجتمع في الخلل الاجتماعي الذي تسبب في بزوغ التخلف بالمجتمع " والواقع أننا نلاحظ في هذه البلاد جميعاً نوعاً موحداً من النقص : ألا وهو نقص التنوع ، فهناك الباشا والسوقي ، والمثقف والأمي ، دون أن يكون بين الطرفين اتصال يرسم صورة مستمرة للكيان الاجتماعي ، وهذا عكس ما يحدث في أوربا ، حيث تتكاثف المواهب والقرائح المختلفة " (ابن نبي، 1406هـ ،ص 152)

**ب: الإخلاص والصواب .**

اعترضت المجتمع المسلم حالة من التفكك أودت بشبكته الاجتماعية، فآلت به إلى الانحطاط الذي لا يزال يتخبط في حباله، ومعنى ذلك أن المجتمع المسلم مطالب بالإعداد الواسع النطاق لبناء الشبكة الاجتماعية من جديد، وذلك لجعله يعيش المرحلة الأولى من المراحل التي يمر بها المجتمع، وهي المرحلة الروحية التي تكون فيها العلاقات الاجتماعية في أكثر حالاتها كثافة، لا في أكثرها امتداداً لهذه الكثافة التي يعبر عنها القرآن الكريم بعبارة: (البنيان المرصوص) في قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝ (الصف ، الآية : 4) " ويمكننا أيضاً أن نفسر هذه المرحلة بلغة علم النفس حين نقول إنها تتفق مع المرحلة التي يكون الفرد خلالها في أحسن ظروفه، أعني الظروف التي يكون فيها نظام أفعاله المنعكسة في أقصى' فاعليته الاجتماعية، وتكون طاقته الحيوية أيضًا في أتم حالات تنظيمها " ( مسعود ، 1419هـ، ص ص 157-158)

ويتبيّن بهذا المثل الجانب الذي يطلق عليه الإخلاص ( الإرادة ) والجانب الذي يطلق عليه الصواب ( القدرة ) " فسنجد هذا المثل منطلقاً لبحث هذين المعنيين بعد أن استندنا إلى فهم أولي واضح لكل منهما ، وذلك أن :

1 – الإرادة ( الإخلاص ) : هي حب تحصيل أمر ما وإرادته والإخلاص له .

2 – القدرة ( الصواب ) : هي معرفة كيفية تحصيل هذا الأمر المراد .

وقد قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : " لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ " (سورة الملك ، الآية: 2) قال : أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً لم يقبل ؛ حتى يكون خالصاً وصواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة " ( سعيد ، 1404هـ، ص 4 )

**ج- ربط التربية بالتنمية .**

تشتد حاجة المجتمع الإسلامي اليوم إلى التربية كأساس لعملية التغيير الاجتماعي ، باعتبار أن الإنسان الفاقد للروح المغيرة ولقيم الفعالية ولإرادة التغيير ، تنبع مشكلته من داخل نفسه ، التي تحتاج إلى إعادة في التشكيل ، وتقوية للإرادة ، وتوظيف للقيم ، وبث لروح التغيير ، وما مشكلة المجتمع الإسلامي اليوم إلا مشكلة تربوية بالدرجة الأولى تتعلق بالفرد الذي يحتاج إلى إعادة الروح والدفع السلوكي الفعال الذي يهيئه للإصلاح وإحداث التغيير ( القريشي ، 1989م، ص 121)

إن الغاية الأساسية لمشروعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الدول النامية هي إحداث التغيير الاجتماعي في مجتمع ما . وقد يتخذ التغير الاجتماعي طريقاً مادياً يستهدف رفع المستوى الاقتصادي والفني للمجتمع ، أو يتخذ طريقاً معنوياً يستهدف تغيير اتجاهات الناس وعاداتهم وفهم سلوكهم وأنماط حياتهم الاجتماعية والثقافية والصحية والاقتصادية ( العبادي ، 1415هـ ، ص 51)

وإذا كان الداء العضال الذي يسحق نفس المسلم في هذا العصر –نتيجة المخطط الاستعماري الرهيب– وهو داء الفصام بين جانبه الروحي وجانبه الاجتماعي، فإن الخطوة الأولى التي تضع المجتمع المسلم على الطريق الصحيح، هي إزالة حالة الفصام التي تعصف بكيان المسلم ، فالمشكلة التي تواجه المسلمين إذن ذات جانبين: جانب اجتماعي وجانب نفسي (مسعود ، 1419هـ ، ص 159).

كما أن هناك عدداً من المسؤوليات التربوية تجاه تحقيق التنمية الاجتماعية وهي :

١ -تزويد الأفراد بالمهارات الأساسية اللازمة لهم في حياتهم الاجتماعية وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم التي تمكنهم من القيام بدور المواطنة الصالحة .
٢ -تكوين الاتجاهات الايجابية والوحدة الوطنية وتوحيد الصفوف والقضاء على أشكال التناحر والاختلاف ، وصهر أفراد المجتمع في بوتقة واحدة.
٣ -المشاركة في إحداث الحراك الاجتماعي الإيجابي و والرفع من قيمة الأفراد وقدراتهم الذاتية على تحسين مستوياتهم وتحقيق التقدم الاجتماعي المنشود (الجهني ،1430هـ ، ص411) .

لذلك فإن التربية تقع عليها مسؤولية كبيرة ، وذلك لتحقيق التنمية الشاملة ، فهي القاعدة التي يتم من خلالها إعداد الإنسان القادر على تنفيذ خطط التنمية ومتطلباتها ، ولهذا ركّزت أغلب نظريات التنمية على أهمية عنصر التربية ، في بناء الإنسان القادر على تنفيذ خطط التنمية ، والدول الإسلامية بما فيها العربية لم تحاول حتى الآن ، إيجاد السبل الكفيلة بتحقيق خطط التنمية التحقيق الأمثل ، فكثيراً ما يُسمع عن خطط التنمية في البلاد الإسلامية ولكن الواقع يتحدث عن تخلف وتبعية وفقر وتفشي أمراض وجهل .

**المبحث الثاني : دور التربية الإسلامية في مواجهة التعصب القبلي .**

لقد وجه الإسلام اهتمامه منذ بداية دعوته إلى تقويض الأوضاع والأفكار الفاسدة مبتدئاً بالوثنية ، وما يتبعها من ضلالات الشرك، ومثنياً بالعصبية والقبلية التي كانت تحول دائماً دون توحد الناس واجتماع شملهم، وكانت تؤدي إلى إثارة الضغائن واستمرار الأحقاد واتصال الحروب بين قبائل العرب ( الأيوبي، 1984م، ص 116-117)

ولقد وجدت العصبية القبلية نفسها منذ مجيء الإسلام أمام خصم قوي شديد المراس ، هو هذه العقيدة الجديدة التي تدعو العرب بل الناس كافة إلى التآخي والتآزر ونبذ أسباب العداوة بينهم، ونبذ حمية الجاهلية ونزاعاتها، قال تعالى: إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ (الفتح، الآية : 26).

وقد حددت التربية الإسلامية عدداً من الأفكار ، والمبادئ ، والبرامج الكفيلة بالقضاء على مساوئ التعصب القبلي ، ومواجهة مظاهره السلبية التي سببت تخلفاً اجتماعيا، في معظم البلدان العربية والإسلامية وهي كالتالي :

**أ : الانتماء للدين الإسلامي والولاء للمسلمين .**

أقرت التربية الإسلامية مبدأ الانتماء والولاء ، في مواجهة كل من يريد أن ينسلخ عن الجماعة المسلمة ولا يسعى لنصرتها، فمبدأ الانتماء أو الولاء مضمونهما هو حب الله ورسوله والجماعة المسلمة ، ونصرتهم والعمل بمقتضى الحب والنصرة ، من رعاية مصلحة الجماعة المسلمة ، وعدم نصرة الآخرين عليها وتقويتهم ضدها، والعمل على رفعة وتقدم الجماعة المسلمة في مواجهة من يضادها من أعدائها .

فالانتماء والولاء للإسلام وأهله مبدأ لا يرتبط بنسب ولا حسب ، ولا مصلحة شخصية ، ذات زوايا ضيقة، بل يرتبط بمصالح عليا وأهداف تعم المجتمع الإسلامي، وإن حدث خلاف ذلك من تفضيل العشيرة على الإسلام ، وابن القبيلة الفاسد على غيره الصالح ، انتشر الفساد والتخلف في المجتمع، قال تعالى: " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ "(التوبة: 23، 24)

إن تعرض النفس البشرية لنوازع التفاخر بالجنس ، والتمايز بالعرق ، والإصرار على الانحياز لهما ، هو أمر لا اعتراض عليه إن كان متزناً ،ولا يطغى على حقوق الآخرين ويحقر منهم ، لكن على النفس البشرية أن تدرك أن ثمة ارتباط بين درجة ما وقر في قلب الإنسان من إيمان ، وما اعتلجت به من تلك النوازع وغمرتها ، فالعلاقة بينهما علاقة عكسية : فكلما ضعف الإيمان في القلب استولى شيطان الذات على النفس وصور لها مسالك للتفاخر ، وزيّن لها مداخل للتمايز ( سفر ، 1426هـ ، ص 13- 14)

والانتماء هو القاسم المشترك الوحيد لأمة متكاملة كبرى، ولا شئ غير هذا القاسم المشترك، إذ لا بد لكل مجموعة بشرية ، من قاسم مشترك تتفق عليه لتلتقي فيه كوحدة شاملة، لها مردوديتها، وإنتاجيتها ، ومصالحها ، وآلامها ، وآمالها وإستراتيجيتها، والقاسم المشترك الذي له الانتماء هنا هو الإسلام "(عبود، 2002م، ص ص1- 10).

كما أن الولاء مصطلح اجتماعي ، يعني ولاء الفرد المسلم للأفكار، التي جاءت بها الرسالة الإسلامية أكثر من ولائه لنفسه، وهو يجسد هذا الولاء من خلال الإسهام مع المسلمين الآخرين، في تحويل الأفكار المذكورة إلى تطبيقات عملية ، مشتقة من عناصر الإيمان ، والهجرة والجهاد والرسالة ، والإيواء والنصرة؛ فالولاء بناءً على ذلك ، هو هيمنة روح الشعور بالمسئولية في السلوك والعلاقات والحاجات، وقيام الأفراد والمؤسسات والجماعات ، برعاية شئون بعضهم في كافة المجالات: الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية والفكرية ، والثقافية ، والتربية والتعليم والحرب ، والسلام ، والأمن (الكيلاني، 1998م ، ص ص341، 342 ).

" لقد كان وراء تشويه مصطلح الولاء والولاية عقليات ماكرة ؛ من سلالات المترفين الذين سلبهم الإسلام نفوذهم على الناس ، وتحكمهم فيهم وفي مقدرات الحياة، فعملوا على استرجاع ما فقدوا من امتيازات بوسائل التشويه الثقافي والتربوي، وتشويه بعض المصطلحات والمبادئ وأنماط المعتقدات والسلوك، فاستحسن هذا التشويه بعض الساسة، والسلاطين المتسلطين والحكام الطغاة لصرف الأنظار عن احتكاراتهم وسياساتهم الجائرة، وإذا كان الولاء في أبسط

معانيه هو الحب والنصرة؛ فإن الارتباط الوثيق بالانتماء مؤكد، فمن ينتسب إلى جماعة ويميل إليهم فسيحبهم وينصرهم، ومن يحب جماعة وينصرهم فمن المؤكد أنه ينتمي إليهم ويعمل لصالحهم ورفعتهم، ومن ثم يصبح الولاء والانتماء وجهين لعملة واحدة ، فالوظائف النفسية للقبيلة ، إضافة إلى ضغوطها التملكية على أفرادها تشكل عقبات في وجه التغيير الاجتماعي ، ولا بد من أخذها بعين الاعتبار حين وضع خطط التنمية " (حجازي ، 2005م، ص 117)

**ب: نظام الشورى الإسلامي**

مبدأ الشورى يتصل كأساس من الأسس التي يقوم عليها نظام الحكم والسياسة في مواجهة أي صورة من صور التعصب، فإن هذا المبدأ من أعظم وأهم المبادئ التي عنيت بها التربية الإسلامية، وعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته، ومارسها في تعاملاته معهم، وقبل كل ذلك وبعده فقد أكد عليها القرآن الكريم وأمر رسوله بها، و هي عدم انفراد الإنسان بالرأي وحده، وخاصة في الأمور المُلْبِسَة المعقدة التي تحتاج إلى مشاركة عقل أو أكثر، فرأي المجموع أقرب إلى الصواب من رأي الفرد، كما أن الشورى استطلاع لرأي الأمة أو النائبين عنها في الأمور المتعلقة بهم وبمجتمعهم (القرضاوي ، 1998م، ص122)

وفي غزوة الخندق استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما ينبغي عمله، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق، فنزل على هذا الرأي، ولم يشأ الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينفرد وحده بالرأي في أمور تتطلب طبيعتها الاستماع إلى آراء مختلفة، ووجهات نظر متباينة، والرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك قد وضع مبدأ هاما من المبادئ الحربية والعسكرية والسياسية وأنظمة الحكم(الخولي، 1992م ، ص65).

والعرب أمة مشتتة مفرقة قبل الإسلام،فلما جاء الإسلام جمعتهم ووحدتهم كلمة الحق، ودان الشرق والغرب لهذه الكلمة بعد العصبيات وبعد التفرق ، كما أن المدينة المنورة كان يعيش بها الأوس والخزرج وكان كل فريق منهم يركن إلى اليهود، وجاء الإسلام فقضى على هذه الحزبيات و رأى الأعداء أن من أفضل الوسائل التي تبعد المسلمين عن منهجهم أن تنشأ فيهم العصبيات القومية العربية، وبعد أن فرقوهم إلى قوميات ووجدوا أنهم يمكن أن يجتمعوا في ظل قومية واحدة، أي أنهم استطاعوا أن يفصلوا بين العربي والعجمي، وبين العربي والتركي، وبين العربي والهندي، فكلما ضعف إيمان الإنسان وتلاشى، زاد تعصبه، وكذلك كلما زاد جهله زاد تعصبه، على الرغم من أن محاربة

التعصب هي أحد التغيرات الجذرية التي أحدثها الإسلام في القبائل العربية ، فقد نقلهم من التعصب العرقي إلى الانتماء للعقائد، وقد أدخل الإسلام تغييراً هاماً على المفاهيم القبلية الجاهلية فجعل مدار التفاضل بين الرجال على التقوى والإيمان ، لا على الأحساب والأنساب ( الأيوبي ، 1984 ، ص 118)

**ج: دمج القبيلة في نسيج الأمة**

برغم أن العصبيات القبلية لم تنفلت إلا بعد مطلع العصر الإسلامي الزاهر ، وذلك بعد تحكم القبليات في الخلافة إلا أن الإسلام حاول أن يصهر هذه الأمم المتفرقة ( القبائل) في مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة " ولا ريب أن الإسلام حين هدف إلى صهر القبائل في بوتقة الأمة ، فالهدف من ذلك نبيل وهو تحقيق الصالح العام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن ذلك يؤدي إلى إخماد النزاعات القبلية من خلال إقصاء النزعات القبلية والعصبيات القبلية ، والتفاخر والتنابز بالألقاب، ومعنى ذلك إدخال القبائل في إطار حضاري أسمى " ( عبد الرحمن ، 2000م ، ص67)

لقد ظلت الرابطة القبلية وحده هي الرابطة الوثيقة ، التي توحد الرجال فيما يشبه وحدة رسالة " غير أن هذه الرابطة لم تكن بكافية لتأهيل شعب ليؤدي رسالة تاريخية ، وإن كانت أهلته للقيام برواية حماسية رائعة ، ولكن التاريخ يقرر أن الشعب الذي لم يقم برسالته ، أي بدوره في تلك السلسلة ، ما عليه إلا أن يخضع ويذل" (الدراجي ، 2003م ، ص 23)

لذلك فقد نهى الإسلام عن الطعن في الأنساب، وعن التفاخر؛ والتعاظم بالآباء، والأجداد، والمآثر، والأمجاد؛ وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله أوحى عليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد". ( البيهقي ، باب التواضع و ترك الزهو والصلف ، رقم الحديث 191)

لقد قطع الإسلام في قضية الأصل البشري بأنه واحد يرجع إلى بنية واحدة ، تتكون من حقائق خلقية بيولوجية واحدة ، لا تؤثر فيها الأعراض الخارجية من الطول والقصر والألوان وما شابه هذه النفس الواحدة ، مظهرها هو آدم وحواء اللذان تكاثرت منهما البشرية ، وانتشرت في الكرة الأرضية للقيام بدور الاستخلاف بأعمارها " ولأن البشرية من أصل واحد فالاختلاف الحاصل بين أفراده لا يؤثر في تشويه تلك الحقيقة ، فالرجال والنساء والحكام والمحكومون وسائر أصناف الناس ،

إنما هم مظاهر تكاملية اندماجية لإيجاد المجتمع الحضاري المتعاون ، حتى يستطيع تسخير الحياة على الوجه الأكمل" ( عبد الحميد ، 1409هـ، ص 40) ومن هذا المنطلق فإن الاستهزاء وتحقير الإنسان ينافي رقي الإنسان وتقدّمه.

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عز وجل : ( وانذر عشيرتك الأقربين) حيث قال " يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئاً " (البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، رقم الحديث 4493)

إن الكثير من المفكرين يتخوفون من القبيلة كونها ، تناقض توجه الدول الحديثة ، وتتعارض بعض مبادئها مع مبادئ الدولة بل ثبت بفضل استقراء النصوص التاريخية المختلفة ، وجود صراع دائم ومزمن بين النظامين ، وذلك الصراع المزمن يؤكد – حتماً– استحالة التعايش الدائم بينهما ، فالنظم القبلية حتى وإن كانت سائدة في العصر الجاهلي ببلاد العرب ، فإنها بقيت مهيمنة في العصر الإسلامي ، بسبب بعض الانحرافات الجوهرية ، عن المنهج الأول الذي سطّره رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالدولة في عهده عليه الصلاة والسلام ، وفي عهد خلفائه الراشدين ، مالت إلى كبح جماح العصبية القبلية ، والتضييق عليها ، وحصرها في جوانبها الإيجابية فقط ، تماشياً مع تعاليم الدين الحنيف ، على أن يتم القضاء عليها بشكل هادئ ، بواسطة التدرج شيئاً فشيئا ( الدراجي، 2003م، ص ص12–17) .

**د: تطوير المناهج الدراسية**

التربية هي ميدان تغيير الاتجاهات والسلوك بشكل عام ، لكن مؤسسات التربية القائمة ومناهجها وأساليبها هي مكمن الخلل ، حيث يبدأ فيها هذا" المنهاج المستتر على إرضاع الناشئة في سن مبكرة اتجاهات العصبية القبلية ، واختلافاتها ومنازعاتها المسلحة في العصر الجاهلي ، وأشعارها التي أذكت هذه المنازعات بالفخر والهجاء ، وشعر المعلقات وإمداداته في العصر الإسلامي ، وفيها تلقت التقسيمات العرقية التي قسمت المجتمع إلى سادة وعبيد " (الكيلاني ، 2005م، ص 160) فيجب أن يكون دور المربي فاعلاً في توضيح خطر العصبية القبلية وبيان أنها من معوقات التقدم الاجتماعي.

والباحث يعتقد أن المدرسة وحدها وبدون تظافر جهود مؤسسات التربية الأخرى ، مثل المسجد ووسائل الإعلام ، لا تستطيع أن تعالج المشكلة أو تقضي عليها تماما " إن دور التعليم النظامي في تعديل نظام القيم والاتجاهات دور محدود كما تدل عليه الشواهد والبحوث التي تعطي للعوامل البيئية والاجتماعية ومنها الإعلام دوراً أكبر في هذا الصدد " ( الجلال ، 1985م ، ص 15)

ولا شك في أن التربية تعتبر المعول الأول في التنشئة ، وإيجاد الشخصية المعتدلة المسلمة، وتتحمل الأسرة عبء غرس القيم والأخلاق، قال صلى الله عليه وسلم " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " ( صحيح مسلم ، كتاب القدر ،رقم الحديث 2658) مما يعنى أن التعصب ليس مرضاً يصيب الأفراد بل هو عرض يمكن علاجه.

وعلى هذا فالعصبية القبلية ليست فطرية ، أي إن الطفل لا يولد عليها ، بل يتربى عليها ، فالفطرة والحالة هذه مرحلة تسبق العصبية ، إنها مرحلة بين ولادة الطفل ، وبين بداية تربيته على قيم المجتمع ، وقيم العصبية ، فهذه المرحلة التي تسبق التربية مرحلة تكون فيها صفحة الطفل بيضاء ، ليس فيها سوى الإمكانات ، والقدرات ، والقابلات والاستعدادات ، وهي كلها في حال القوة ، وتصير في المجتمع في حالة الفعل بالدربة والممارسة ، والحاجة ، والتفاعل ، والثقافة وكلها أشكال من التربية ( قباني ، 1997 م ، ص ص15-16)

وتتسنم المدرسة دورا هاماً وحيويا في عملية مواجهة الأفكار التي تسبب التعصب القبلي للناشئة ، والباحث هنا يقترح عددا من البرامج الإجرائية التي يفترض تطبيقها في المدرسة لحماية التلاميذ من هذه الأفكار السلبية :

١ -مشروع إخراج سلسلة من قصص الأطفال ، تهدف إلى تعزيز روح الدين الإسلامي ومفهوم الأمة المسلمة ، من خلال استعراض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومواقف الصحابة ، وسير النبلاء من المصلحين وذلك بأسلوب قصصي جاذب، إضافة إلى إنتاج ألعاب إلكترونية تتضمن قيم العدل والمساواة وتحاكي بعض الشخصيات الإسلامية الناجحة . والمدرسة معنية أيضاً بجانب كبير في نشر الوعي بمساوئ التعصب القبلي ، وآثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وذلك من خلال الصحافة، والتعليم ، والمؤتمرات ببيان تعارض المفاهيم العنصرية ، مع المبادئ الإسلامية، والتذكير دائما أن التعصب يؤدي إلى التفرق

والتشرذم ، وتسليط الأضواء على التجارب الناجحة في التعاون بين الأعراق المختلفة من قبائل وشعوب وأمم.

٢ -تنظيم معارض فنية داخل المدارس بعنوان ( أفتخر أني مسلم )

وهذه المعارض لترسيخ القيم الاسلامية وتعزيزها ودعوة أولياء أمور الطلاب لها ،وشرح الكيفية التي يجب أن يتعامل بها المربون من معلمين وأولياء أمور مع ظاهرة التفاخر القبلي وفق منظومة تربوية تؤدي إلى نتائج فعالة لتلافي تأثر الناشئة بها وتعزيز الانتماء في نفوس الناشئة وغرس حب الوطن في قلوبهم، وتحصين طلاب المدرسة ضد داء التعصب القبلي .

ويوضح المعرض الفني المظاهر السلبية التي تهدد وحدة المجتمعات، لتسببها في إحداث تفرقة بين أبناء المجتمع الواحد، كما يبين خطورة الكثير من برامج القنوات الفضائية وخطابات المواقع الإلكترونية الخاصة بالقبيلة التي تغذي فكر التفاخر بالقبيلة على حساب المواطنة، خصوصاً بين الشباب صغار السن .

٣ -إقامة مسابقات ثقافية على مستوى المدارس وإدارات التعليم عن خطورة التعصب القبلي.

وتهدف هذه المسابقات إلى رفع مستوى الفهم الشرعي ، وتنمية مهارة حب القراءة والبحث العلمي، وغرس الفكر المعتدل ومنهج الوسطية، وترسيخ مفهوم الوطنية لدى المعلمين والطلاب. وتتضمن هذه المسابقات كتابة بحث عن دور المدرسة في حماية الناشئة من الانحراف الفكري لطلاب المرحلة الثانوية، وتتولى إدارة التوعية الإسلامية تقويم البحوث المقدمة، وترشيح ثلاثة بحوث، لاختيار المميزين وتكريمهم في حفل ختامي.

**هـ . الالتزام بالقيم الأخلاقية .**

التعصب للجنس ، أو القبيلة ، أو القرابة كل هذا من دعوى الجاهلية ، وقد قال صلى الله عليه وسلم " آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يراجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم، فقال رجل يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله " (الترمذي ، كتاب الأمثال ، رقم الحديث 2863)
و الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية للإنسان ، ومثله التعصب للمذاهب، والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض ، وكونه منتسباً إليه يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي ويزن الناس به ، فكل هذا من دعوى الجاهلية ( آل الشيخ ، 1432 هـ، ص444) .

لذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حاول هداية بعض أفراد قومه ، وأنه لا يملك لهم شيئاً ، وإذا كان أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم لا يتمتعون بميزة ترفعهم على الناس ، إلا الأعمال فلن تكون لأحد تلك الميزة على الإطلاق ( الأيوبي ، 1984م ، ص 176) .

وهناك عدداً من المبادئ والقيم التي حث عليها الإسلام ومنها العدالة والمساواة والتقوى والأخوة

**و. إقرار معايير العدالة والمساواة والتقوى والأخوة :**

العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من الفسق ، وهي أساس من أسس التربية الإسلامية التي يقوم عليها نظام الحكم والسياسة في مواجهة الجور والظلم كمظهر من مظاهر التخلف في المجتمع، فإن الإسلام جعله من المبادئ الأساسية في الحياة بوجه عام " إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ "(النحل: 90 ).

إن حقيقة العدالة لم تتجل في صورة كاملة عند كثير من الشعوب قديما وحديثا، فهي تتسع أو تضيق، تعلو أو تنحط، على نحو ما عليه الضمير الإنساني، وأرفع ما وصل إليه معناها لدى الشعوب المتمدينة ؛ هو أنها التوفيق بين المصالح الخاصة للأمة وبين المصالح العامة الإنسانية، وجاء الإسلام فعمل على ترقية ذلك الضمير ليحقق العدالة في الأرض، حتى لو كانت تلك العدالة على حساب مصلحة الإنسان أو أخص الناس إليه: والديه وأقاربه " ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾"(النساء:الآية 135)، وهكذا فالعدالة غاية عليا، ولا يستطيع الإنسان أن يحكم على نفسه ، أو والديه أو أقاربه، أو قبيلته ما لم يكن يملك الضمير الذي يحركه نحو تلك الغاية العليا، وحتى عند بغض قومٍ فإن ذلك لا يمنع من إقامة العدل معهم .

وينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه أكرم من في الوجود ، وقد اختاره الله للخلافة في الأرض وسخر له ما في السماوات والأرض وقال تعالى " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾" ( الحجرات ، الآية : 70) " فالإسلام يرفض معايير التمايز الطبقي ويستبدلها بمعيار التقوى ولا يقيم الإسلام وزناً للتمايز اللوني أو في الثروات أو في الحسب والنسب ، لأن الله هو الذي قسم بين الناس معيشتهم " ( السمالوطي ، 1408هـ ، ص 254)

ويقوم مبدأ المساواة على أساس تقدير الإنسان واحترام إنسانيته؛ فلا تمييز بين بني الإنسان على أساس من الجنس أو اللون أو العنصر أو القبيلة أو الوطن أو الحسب أو النسب أو كل ما قد يرد على الذهن عند التفاضل بين الناس، فقد قال تعالى" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا "(النساء، الآية: 1)

وما يميز بين نظام الإسلام وغيره ؛ أن الأول هو نظام دستور وعمل ، أما الأخرى فإنها قد تشرّع لكنها لا تنفذ ذلك ، فالمساواة في الإسلام فهي ذات طابع عالمي إنساني، لا يقوم على إتباع تقاليد قبلية أو حزبية أو أعراف اجتماعية طبقية أو عنصريات موهومة، و لقد كان إنجاز الإسلام الهائل تحقيقه أن شرف أي إنسان مكتسب بصفة فردية ، بفضل ما يقوم به من أعمال الصلاح والخير ، لا بالانتساب إلى قبيلة أو موطن ، وهذا مخالف تمام الاختلاف لما كان عليه العرب ( الدويهيس ، 1419هـ، ص120 )

والإسلام شّرع العدل والمساواة في مواجهة التفرقة والعنصرية والظلم ؛ كمظهر من مظاهر تخلف المجتمع اجتماعياً ، لاسيما أن الظلم يهدد أمان الفرد وتقدم المجتمع وينشر الفساد بين الناس، وهذا ما وقف دونه رسول الأمة صلى الله عليه وسلم صراحة، وواجهه أمام أصحابه مؤسساً أحد أبرز أسس الشريعة الإسلامية، وذلك حينما جاءوا إليه بامرأة مخزومية سرقت؛ ليقيم عليها الحد، حيث أراد بعض الصحابة الشفاعة لها، فأرسلوا إليه صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد لقربه منه، وشرف منزلته عنده؛ فاحمرّ وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لأسامة: "أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (صحيح مسلم، كتاب الحدود،رقم الحديث 1366 ) لقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أن عدم المساواة يؤدي إلى الهلاك، كما رفض أي تفاوت بين الناس بناءً على القوة أو الضعف أو حتى النسب أو الجاه، فلو أن ابنته نفسها سرقت لقطع يدها، وفي هذا قمة التجرد عن الميول والأهواء والمصالح التي قد يحكم الناس ويميزون على أساسها عند سيادة الظلم والتفاوت والطبقية في المجتمع، مما يهدد بانهيار ذلك المجتمع (النجار، 1985م، ص ص75- 79)

وجاء كلام الله مصداقاً لذلك" إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ "(الحجرات: 13 ) فالبعض يريد أن يبنى تعصبه على ما فعله الآباء والأجداد ، من المآثر والأعمال الجليلة ، ويتهرب من ذكر سلبياتهم وسيئاتهم "تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤ " ( البقرة ، الآية : 134) وإن كان الباحث يعتقد بأن وصل الأرحام من القبيلة ومعرفة النسب ، ليست تعصباً لقول النبي صلى الله عليه وسلم " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به

أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر " ( النيسابوري، كتاب الأطعمة ، رقم الحديث 3034)

لقد حرص الإسلام على عدم التفريق بين الناس بحسب نسبهم أو حسبهم ولم يعترف بالتمايز بين البشر استناداً على معيارين فقط :

أ -معيار التقوى .

ب -معيار العلم والتعلم .

فالفصل عند الله بالتقوى والعمل الصالح والعلم ونشره بين الناس ، كما حرص الرسول عليه الصلاة والسلام إلى تحطيم الحواجز الطبقية والمعاملات المتميزة لكل طبقة ، وذلك من أجل وقاية المجتمع من خطر التعصب القبلي والتمييز العنصري الاجتماعي ، فلا يمكن أن يكون التفاضل عند الله بالنسب والقبيلة ، فهذا ولد نوح عليه السلام لما كفر لم ينتفع بأبوة نبي الله. وقال تعالى فيه " وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ (هود ، الآية : 45-46) وقد قال الله ذلك بعدما نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لمن مات من قرابته على الكفر: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ " ( التوبة ، الآية : 113)

لقد ألغى الإسلام كل مظاهر العبودية لغير الله؛ من نحو تقديس الأعراف القبلية، والانسياق معها باطلاً دون تبصير؛ إلا لمجرد الهوى واجتماع الناس عليها، ومن ثمَّ إثبات العبودية لله وحده؛ قال تعالى" وَمَاخَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ "(الذاريات، الآية: 56).

فمبادئ العدل والمساواة والتقوى هي ، مناهج واضحة لمن يتحكم في المجتمعات العربية والإسلامية، من المسؤولين ، والقيادات والإداريين وغيرهم ، فلا مجال لتمييز أبنائهم وأقاربهم، حتى لا يُشعر بقية الأفراد بالاستياء ، و ينقمون على المجتمع وينقلبون عليه، وقد لا يفعلون ما يؤدي إلى رقيه وتقدمه؛ لغياب الوازع الديني عندهم، وقد قال تعالى: " فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا

يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ( المؤمنون ، الآية: 101) ولو كان النسب العرقي سببا كافيا للاستعلاء والتعصب العرقي ، لكان أولى أن يفتخر به بنو إسرائيل لأنهم بنو يعقوب عليه السلام ومنهم كثير من الأنبياء ولم ينفعهم ذلك بشيء، كما لم ينفع النسب بني هاشم (الدويهيس ، 1419هـ، ص 3) .

وقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وقبل ذلك بين الأوس والخزرج ، في صورة إيمانية بديعة تعكس سماحة الإسلام وقيمه السامية ، وقد كانت الأوس والخزرج تتحارب في الجاهلية باستمرار، وقصتهم المذكورة في كتب التاريخ ، بينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت هذه الآية" وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ( آل عمران، الآية: 101–103) وتأويل ذلك: واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم ، التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء: أي بشرككم، يقتل بعضكم بعضا، عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألّف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخوانا بعد إذ كنتم أعداء ، ف حين حدثت هذه المناوشة بين الأوس والخزرج بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول :أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا ، وتعانقوا ، وألقوا السلاح ( ابن كثير ، 1420هـ ، ص 90).

إن ما أذابه الإسلام وقاومه هو العصبية القبلية والتفاخر بالأنساب ، ولكنه لم يحارب القبيلة في حد ذاتها ، كوحدة لها وجود عميق في البيئة العربية فلقد كانت قبائل المسلمين تتحرك كوحدات حربية في ميدان القتال ، ، كما ظلت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية ، والوحدة الحربية المعترف بها في الفتوح الأولى ، واستفاد الكيان الإسلامي من هذا الوجود إلى أقصى حد ، وقال أهل العلم في سبب نزول هذه الآية "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم

بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ " (المجادلة ، الآية : 22) إنها نزلت في أبي عبيدة حين قتل أباه يوم أحد ، وفي أبي بكر حين دعا ابنه للمبارزة يوم بدر ، وفي عمر حيث قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر ، وفي علي وحمزة حين قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر ، حيث جمعت هذه العقيدة صهيباً الرومي وبلالاً الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وأبا بكر العربي القرشي تحت راية واحدة ، راية الإسلام ، وتوارت العصبية ، عصبية القبيلة ، والجنس والقوم ، والأرض( الواحدي، 1411هـ ، ص 236 ) .

إن موقف الإسلام من العصبية يتجلى في التحذير منها، و ذلك في كثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتوجيهه بالمساواة بين الناس وعدم الاعتراف بالامتيازات الطبقية ، أو النفوذ الموروث ، فأساس التفاضل التقوى والعمل الصالح ، ولذلك انطلاقاً من هذا المبدأ الجوهري ، لا يمكن أن تكون قبيلة أسمى من قبيلة ، أو إنسان أسمى من إنسان إلا وفق مرجعية التقوى وليس وفق الانتماء القبلي ، لذلك إن الله اصطفى نبيه عليه الصلاة والسلام من قريش ، لكنه لم يفضلها على بقية قبائل العرب ، والإسلام يجعل أخوة الإسلام ، أقوى وأمتن من أواصر الانتماء القبلي، بل إنه يهدف إلى صهر العصبية القبلية وإذابتها في بوتقة الأمة ، لذلك فإن الذين ينظرون إلى أن قريشاً لها المكانة العلية ، وأنها أحق بالحكم ، وأن الدولة الأموية والدولة العباسية ودول أخرى عبر حقب التاريخ الإسلامي ودول معاصرة ، ترتكز على الانتماء لقريش نظرتهم ضيقة ( عبد الرحمن ، 2000م ، ص 68)

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام ، إنما هم فحم ؛ من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان ، التي تدفع بأنفها النتن" (أبي داوود ، باب التفاخر بالأحساب ، رقم الحديث 5116)

وقد ترتب على إقرار الإسلام بهذه المبادئ نظام حضاري فريد ، إذ أن الإسلام في أنظمته الحضارية جميعاً توجّه إلى القدر المشترك في الإنسانية جميعاً بين بني البشر ، ولذلك فإن تلك الأنظمة تمثل مصلحة إنسانية مشتركة ، ولا تقر المصالح الضيقة من العصبيات المتنوعة للبيت الواحد ، أو الشعب الواحد ، أو صنف من أصناف الناس أو الرجال وحدهم أو النساء وحدهن ، وهذا

المبدأ القويم هو الذي جعل من الإسلام ديناً إنسانياً ، خالداً ، مستقلاً عن الزمان والمكان (عبد الحميد ، 1409هـ ، ص 42)

**و. توعية الأسرة بدورها في مواجهة مغذيات التعصب .**

إذا كان التعصب بشكل عام كما أثبتت الدراسات والبحوث يتم عن طريق التنشئة الاجتماعية (إبراهيم ، 1989 م، ص 39) فإن على الأسرة يقع دور هام وبارز يجب معه الالتفات إلى دور الأسرة والمحافظة عليه ليقضي على هذه الآفة الخطيرة .

وللوالدين دور كبير جداً في القضاء على التعصب القبلي والعرقي ، فالأم الصالحة تربي أولادها على حب الخير للناس بمختلف أعراقهم وألوانهم، وتحرص على استنكار الألفاظ العنصرية ذات المعاني السيئة، كما ينشئ الأب الصالح علاقاته مع مختلف الأعراق، ومما يشجع على هذا الدور التربوي ، الاقتناع بأن التعصب العرقي يضر الأبناء إذا كبروا لأنه يجعلهم منبوذين وغير قادرين على بناء علاقات حميمة . (الدويهيس، 1419هـ، ص 61).

إن أعظم أسلوب وأنجع وسيلة وأهم خطوة في القضاء على التعصب الجاهلي ، هي تنشئة الطفل ، وتوجيه أفراد المجتمع إلى القيم والمبادئ الفاضلة ، التي جاء بها الشرع من تواضع وحلم وعدل وحسن ظن ، واحترام حقوق الآخرين وغير ذلك من الفضائل.

**ز : تفعيل وسائل الاعلام المختلفة**

تضطلع وسائل الإعلام بدور بارز في صد مغذيات الفتنة والإشادة بقبيلة على حساب القبائل الأخرى ، ومن هذه البرامج والأساليب التي يجب على وسائل الإعلام أن تفعلها :

١ - إيقاف بعض القنوات الفضائية الشعرية التي تغذي النعرات القبلية ، بعد أن أفضى الفضاء المفتوح بكافة أشكاله مدخلا للعديد من القبائل في إنشاء محطات فضائية باسمها ، أو مخصصة للشعر الشعبي أو الفصيح ، والتي تنظم مسابقات شعرية تعتمد على التصويت والمشاركة وتحفيز القبائل على دعم مرشحها وهو أحد أبناء القبيلة أياً كانت شاعريته ليفوز بلقب هذه المسابقة.

٢ - بث برامج توعوية تكشف سلبيات إقحام القبيلة في البرامج الشعرية أ ، و المهرجانات وغيرها وأن المبالغة في ذلك هو جنوح عن المسار الصحيح ، وفيه إثارة وإحياء للعصبية الجاهلية وحث الجهات المسؤولة أن تتدخل سواء كانت إعلامية ، أو ثقافية لمنع أو تقليل هذا الاندفاع

المتسارع وغير الواعي ، وغير المسؤول إلى ما يشوه ذلك التكوين الاجتماعي ويدفع بالضعفاء من أبناء المجتمع إلى الاختلاف، ومن ثم التباغض ثم الحقد ثم الفتنة.

٣ -إيقاف مسابقات مزايين الإبل الغير مصرحة التي تعد مدخلاً للتفاخر والتمايز بين القبائل والبعد عن إبراز واستعراض اسم قبيلة معينة حتى لا يكون هناك ما يدعو لوسم هذه المسابقات بالقبلية. واختيار القائمين على هذه المسابقات بحيث تكون لهم مواصفات أبرزها العقلانية والبعد عن القبيلة

٤ -تحويل المطبوعات التي أنشئت من أجل استغلال القبائل الى مطبوعات هادفة بحيث تقوم تلك القنوات والمطبوعات بتغيير نهجها وترك بعض البرامج التي تدعو للعصبية القبلية من شعراء وغيرهم وأن تقوم على عمل برامج إثرائية تخدم ولا تهدم.

**ح: إبراز رسالة المسجد التربوية .**

معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة. فالجماعة والقبيلة لا غنى للإنسان عنها وهي الأسرة الممتدة ولقد اجتمعت هذه القبائل كلها تحت راية التوحيد بفضل الله تعالى ، فينبغي الحفاظ على هذه الوحدة والوقوف في وجه كل من يريد أن يفرق الجمع ويشتت الشمل بأفكار منحرفة ، مع أن الدين الحنيف ينهى عن كل ما يؤدي إلى العصبية والفتن

وعلى الخطباء دور بارز في بيان معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه القضية ومنها تخالف المهاجرون والأنصار وقد نهاهم النبي عن ذلك، وتوضيح أن العصبية الممقوتة لا تقتصر على القبائل ،فهناك عنصريات من نوع آخر بين البدو والحضر وكذلك عنصريات مناطقية ومهنية ،أو عصبيات للأندية الرياضية والتي يجب أن تكون اجتماعها وتحابها وتحالفها على دين الإسلام ، والانتماء الحقيقي الصادق للوطن وتقديم مصالحه الكبرى على أي اعتبار آخر وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوظف حمية القبائل توظيفاً سليماً ففي بعض المعارك أحياناً ، وقد وفدت القبائل على النبي وبايعوه على الإسلام والسمع والطاعة ولقد ذكر لبعضها فضائل ودعا لهم بدعوات من حقهم أن يفرحوا ويفخروا بها من غير الإساءة إلى غيرهم لأن كرام الناس يترفعون عن هذه الأخلاقيات .

## المبحث الثالث : دور التربية الإسلامية في مواجهة إهدار الوقت .

الناظر في أحوال المسلمين اليوم يتملّكه الحزن الشديد ، لما يرى من تضييع الأوقات في سفاسف الأمور ومُحقَّراتها ، بما لا يؤدي إلى نفعٍ عام أو خاص، ولو اتبَعَ المسلمون هديَ قرآنهم وهديَ نبيهم صلى الله عليه وسلم؛ لاحتلّوا موقع القيادة والرّيادة ، الذي كانت الأمّة تتبوأه في عصورها الزاهية، ولو فعلوا ذلك لما وصلت إليه حالهم ، إلى ما آلت إليه الآن من التراجع والخضوع، وقد كانوا منها في مأخذ الزِمام، وهانت عليهم نفوسُهم، فاحتُلت أوطانهم، واستمرءوا العيش في الحضيض، وما وصل الغربيون إلى القمة في العلوم التقنية والإنسانية إلا بمحافظتهم على الزمن والإفادة من ساعاته ودقائقه اليسيرة في كلّ أحوالهم ( عبد الله ، 1425هـ، ص 326).

وقد نوّه والقرآن الكريم بشرف الزمن وفضله، وفي هذا ما يدعو إلى ضرورة تقديره ، فإن إغفال الزمن وعدم إعطائه الأهمية اللازمة، يسهم في تخلف المجتمعات العربية والإسلامية ، ويؤخر نهضتها وتقدمها ، كما أن في عصر التغير الاجتماعي والتكنولوجي السريع ، ترتبط كل قضية اجتماعية رئيسية إرتباطاً وثيقاً بقضايا المستقبل ، ومن ثم يقترب استخدام وقت الفراغ من أن يصبح قضية اجتماعية ، وسياسية أساسية ، تشغل مكاناً بارزاً في المناقشات التي تدور حول اتجاهات التقدم والتطور الاجتماعي وآفاقه ( محمد ، 1981م ، ص 7-8) .

ورغم أن الزمن على هذه الدرجة من الأهمية، إلا أنه ينقضي بسرعة، ويسهل ضياعه، فهو يمر مرّ السحاب، ويجري جريَ الريح، وفي ذلك يقول الشاعر:

والوقتُ أنفسُ ما عُنِيتَ بحفظهِ وأراه أسهل ما عليك يضيعُ ( ابن رجب ،1417هـ، ص236)

ومن هنا يكتشف المرء سر دعوة القرآن الكريم المؤمنين ، إلى التأمل فيما مضى من سير الأمم ، وذلك حتى يدركوا كيف تتركب الكتلة المخصبة من الإنسان والتراب والوقت ، و لقد كان السلف في عهدهم الأول ، يحرصون على اهتمامهم بالوقت والاستفادة منه "ومنها الغيرة على وقت فات، فإن الوقت أبيّ الجانب، بطيء الرجوع، فالوقت أعز شيءٍ على العابد، يغار عليه أن ينقضي ، فإذا فاته الوقت ، لا يمكن استدراكه البتة، لأنَّ الوقت الثاني قد استحق واجبه الخاص ، فالوقت منقضٍ بذاته، منصرم بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرّمت أوقاته، وعَظُم فواته، واشتدت حسراته، فكيف حاله إذا علم عند تحقق الفوت، مقدار ما أضاع، فطلب الرُّجعى، فحيل بينه وبين الاسترجاع" ( ابن القيم، 1422هـ، ص ص 840-841 )

يقول الله تعالى في تقدير قيمة الوقت " وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ " ( النحل ، الآية :12) فالليل والنهار نعمة جليلة أنعم الله تعالى بها على الإنسان، وهي نعمة ذات أثر حاسم في حياة هذا المخلوق البشري، فالوقت هو الحياة ، لأنه من لم يعرف أهمية الوقت عاش ميتاً وإن كان يتنفس على وجه الأرض ، وهذا سر قول الكافرين عند سؤالهم " قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ( المؤمنون ، الآية : 112–113) و"نلاحظ من سياق الآية إن إجابتهم توحي بأنهم لم يعيشوا إلا يوماً أو بعض يوم ، ولكن في حقيقة الأمر منهم من عاش ستين سنة ، ومنهم من عاش ثمانين سنة ، ولكنهم لم يعرفوا أهمية وقتهم فلم يستغلوه فيما ينفعهم ، ولذلك لم يبارك الله في حياتهم ، لأنهم عالمين بأمور الحياة جاهلين بأمر الآخرة " ( المطوع ، 1408هـ ، ص 75)

وجاء تخصيص الليل والنهار بأنهما آيتان دون غيرهما من الوحدات الزمنية " لأنهما بمثابة المحور الذي تُشدُّ إليه، وتُقاس بالنسبة له كل الوحدات الزمنية، سواء تلك التي تقلّ عنه ابتداءً من الثانية، أو تلك التي تزيد عنه من السنين والقرون، فما الثانية إلا جزء من الليل والنهار، والسنة إلا مجموعة من الأيام، والقرن إلا مجموعة من السنين( باجودة، 1978م، ص84 ) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه ؟ " (الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، حديث رقم 2341) .

" إن المسلم مطالب بالعمل للتقدم والسعي في الأرض حتى يبني حضارته الإسلامية ، فعقمنا الاجتماعي وصل بسبب أننا نبغض أولئك الذين يفكرون تفكيراً مؤثرا ، ويقولون كلاماً منطقياٍ شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط ، فالمسلم لا ينقصه منطق الفكرة ، بل منطق العمل والحركة ، فهو لا يفكر ليعمل ، بل ليقول كلاماً مجرداً " ( ابن نبي ، 1406هـ، ص 96)

ولقد جاء القرآن الكريم بمعانٍ تدل على قيمة الزمن ، وأهميته في حياة الفرد، وحثّ على استغلاله بعيداً عن الغفلة والتسويف، وفي الحديث " أن النبي صلى الله عليه وسلم خطّ خطاً مربعاً، وخطّ خطاً في الوسط خارجا منه ، وخطّ خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط ، من جانبه الذي

في الوسط وقال : هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطط الصغار : الأعراض فإن أخطأه هذا ، نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا" ( صحيح البخاري ، باب الرقاق ، رقم الحديث 5938)

وقد رسم الإسلام بعض الإستراتيجيات والأفكار المحددة ، للاستفادة من الوقت واستثماره بما يعود على المجتمع الإسلامي بالتقدم ، ويخلصه من براثن التراجع الحضاري :

**أ. العمل من أجل الآخرة**

اهتمام الإسلام بالعمل هو في ذاته اهتمام بالوقت ، فالعمل يستهلك الوقت فيما ينفع ، ويعمر الأرض بما يفيد ، ويحقق خلافة الإنسان فيها ، واهتمام الإسلام بالوقت لا يتنافى مع التوكل ، كما يتوارد على أذهان البعض ، بل يعتبر جمعاً بين استغلال الوقت بالعمل النافع وبين ما كتبه الله للإنسان ، في هذه الحياة مما يجب الإيمان به والتسليم بمكنونه ( سفر ، 1404هـ ، ص 175 ) .

ومن منهج القرآن الكريم في الاهتمام بالوقت ، المحافظة عليه والحرص على عدم ضياعه، والاستفادة منه بالعلم والعمل، وتسخيره دائماً في الخير، ويُبرز القرآن الكريم هذه القضية في صور عديدة ومناسبات شتى، فحينما يبين أنّ نهاية هذه الحياة إنما هو الموت سواءً طالت أم قصرت، فإنه يوجِّه نحو استثمار هذه الحياة في الخير لأنها ليست نهاية المطاف؛ بل هناك حياة أخرى هي خير وأبقى، يقول سبحانه وتعالى "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ " ( المنافقون ، الآية: 9-10)

وسورة العصر توضح في أبهى صورة طريق النجاة من الخسران، والفوز بالرضوان، فلو تدبر الناس في هذه السورة لوسعتهم " وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣" وقال أحد السلف: تعلمت معنى السورة من بائع الثلج، الذي كان يطوف في السوق وهو ينادي ويقول: ارحموا من يذوب رأس ماله، ارحموا من يذوب رأس ماله، فقلت هذا معنى قوله تعالى(إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ) يمر به العصر، فيمضي عمره ولا يكتسب ما ينفعه ، فإذا هو خاسر( الرازي ، 1401هـ، ج 32، ص81).

لقد صوّر القرآن الكريم الحياة بالنبات الذي يخضرّ بنزول الغيث، ثم ما يلبث بعد فترة وجيزة من الزمن أن يصفر ويموت، يقول تعالى "ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ " ( الحديد ، الآية : 20) لذا ينبه القرآن على ضرورة استثمار هذا الوقت القصير ، في عمل الخير الذي لن يفيد الإنسان غيره، ولن يبقى معه في قبره سواه، فضلاً عن سؤاله وحسابه عن تضييع هذا الوقت، وعما صنعه فيه ( غنايم ، 1405هـ، ص 17) .

والمتأمل في ألفاظ بعض القرآن الكريم ، وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، يجد أنها تحمل دلالات تحثّ على اغتنام الوقت والاستفادة منه ، ومن ذلك ( سابقوا ، سارعوا ، بادروا ، مغبون) وبما أن التربية الإسلامية عالمية ، فإن المسلم يجب أن يستفيد من عوامل نجاح الآخرين ، فدولة مثل كوريا الجنوبية لا يزيد عمر تقدمها الحقيقي عن نصف قرن ، أصبحت أبرز الدول العالمية في تحقيق التقدم والنمو " وذلك لأنها أولت التعليم أهمية بارزة حتى انخفض معدل محو الأمية إلى 2.5% إضافة إلى أنها تقدس العمل في ثقافتها ، كما إن احترام الوقت يعد أحد أسباب النجاح في التجربة الكورية ، وهنا أُحسِن استثمار الوقت ، بمعنى أن الوقت غدا قيمة حضارية ينبغي استثماره بشكل عقلاني ، وذلك لتحقيق المزيد من الإنجازات في محاولة لتقليص الهوة مع العالم المتقدم " ( حسن ، 2006م ، ص ص 52-53)

**ب. الإنتاجية العالية والعمل الدؤوب**

إن حَثَّ التربية الإسلامية على العمل، وتعميق حب الأفراد له، والتأكيد على تنويع تخصصاته وجوانبه أمر ضروري ، من شأنه أن يواجه به المسلمون صورة من أخطر صور التخلف الاجتماعي، يقصد الباحث بذلك تبعية المسلمين لغيرهم، وبالتالي عدم امتلاكهم لقراراتهم ومصائرهم، فالعمل النافع الجاد المتنوع التخصصات ، والجوانب هو خطوة أساسية للتخلص من تلك التبعية، عن طريق تحقيق الكفاية الذاتية للمجتمعات العربية والإسلامية، وليس هناك ما يمنع أن يكون ذلك مقدمة لتجاوز الاكتفاء الذاتي إلى اتجاه المجتمعات العربية والإسلامية نحو التصدير.

وقد نوّه القرآن الكريم بشرف الزمن وفضله، وفي هذا ما يدعو إلى ضرورة تقديره ، فإن إغفال الزمن وعدم إعطائه الأهمية اللازمة، يسهم في تخلف المجتمعات العربية والإسلامية ، ويؤخر

نهضتها وتقدمها ، كما أن في عصر التغير الاجتماعي والتكنولوجي السريع ، ترتبط كل قضية اجتماعية رئيسية إرتباطاً وثيقاً بقضايا المستقبل ، ومن ثم يقترب استخدام وقت الفراغ من أن يصبح قضية اجتماعية ، وسياسية أساسية ، تشغل مكاناً بارزاً في المناقشات التي تدور حول اتجاهات التقدم والتطور الاجتماعي وآفاقه ( محمد ، 1981م ، ص ص 7-8) .

لقد كان السلف الصالح أحرص ما يكونون على أوقاتهم؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها، وكانوا يحرصون كل الحرص على ألاّ يمر يوم ، أو بعض يوم ، أو برهة من الزمان ، وإن قصرت دون أن يتزودوا منها بعلم نافع ، أو عمل صالح ، أو مجاهدة للنفس أو إسداء نفع إلى الغير، لذلك فإن ثمة علاقة سببية بين دافع الإنجاز والتنمية ، حيث أن الزيادة في المتغير الأول تؤدي إلى المتغير الثاني ، فالمتغير الأول هو السبب في المتغير الثاني .

لقد ذهب بعض الباحثين ورجال الفكر الإداري إلى بلورة فلسفتهم واهتمامهم بالوقت، من خلال إصدار بعض الكتب مثل كتاب مدير الدقيقة الواحدة، والذي يهدف إلى بيان مدى أهمية الدقيقة الواحدة بالنسبة للمدير في إطار العلاقات الإنسانية، فإذا ما استثمر القائد لخطة واحدة مع كل مرؤوس يحاول من خلالها أن يشعره بأنه مهتم به وبمشاكله، فإن ذلك يدفعه إلى مضاعفة الإنتاج ( الأغبري، 2000 م ،ص 431).

" ويمكن تفسير هذه العلاقة من الناحية المنطقية ، أن الزيادة الحاصلة في دافعية الإنجاز لدى الأفراد تؤدي إلى إحداث تنمية داخل المجتمع ، كما أن احترام الزمن في عملية التفاعل الحادثة بين الأفراد من جانب ، وحرص هؤلاء الأفراد على الالتزام بإنجاز أعمالهم في زمن محدد ، دليل على التأثر بمقولة : المجتمع المنجز " ( حسن ، 2006م، ص23)

وهذا هو أحد أسرار تقدمهم وتفوقهم، وهو أيضاً أحد أهم أسباب تخلف المجتمعات العربية عنهم، وإن اللحاق بهم هي مسألة إرادة، وإدارة، وتنظيم للوقت ، فالوقت بالنسبة لمدير المؤسسة أو المدرسة أو المصنع ، ليس مسألة دقائق أو ساعات، بل هو نتائج وأهداف محددة ينبغي إنجازها في إطار ذلك الوقت المحدد لها، فالمدير الفعّال هو الذي يدرك أنه لا يستطيع عمل كل شيء في آن واحد، ولكنه يعمل وفق الأولويات: أهم، فمهم، فأقل أهمية، حتى يستطيع تحقيق أكبر قدر ممكن من الأهداف في إطار الوقت المتاح. (الأغبري ، 2000م، ص 432).

" وإذا كان الاقتصاديون في تعريفهم للإنتاجية، وتحديد العوامل المؤثرة فيها لم يدخلوا عنصر الزمن أو الوقت ، ضمن تلك العوامل وعناصر الإنتاج ، فإن ذلك ليس فيه ما يمنع من أن نؤكد على أن الإنتاجية أصبحت تقاس بأعشار الساعة بل بأعشار الدقيقة والثانية " ( سفر ، 1404هـ ، 179) فيجب على المسلم اغتنام وقت فراغه بما ينفعه .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بادروا بالأعمال سبعاً هل تنظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر "( جامع الترمذي ، كتاب الزهد ، الحديث رقم 2239)

إن الإسلام دين العمل، وإذا كان العمل قيمة حضارية سادت المجتمعات الإنسانية من أقدم العصور، وبالعمل أقيمت الحضارات في شتى المجالات: الفكرية والمادية، والتي منها ما هو قائم مدوّن من آثار مكتوبة ومذاهب وآراء مشهورة ، ومنها ما هو شاهد إلى اليوم من معالم معمارية ، ونقوش وتحف، وأدوات طاولت الأزمنة المتلاحقة ؛ فالعمل إذن أساس الحضارات، جاءت به الأديان والنظم والتشريعات واتفقت على أهميته، إذا كان الأمر كذلك إزاء العمل بوجهٍ عامٍ؛ فإن العمل في الإسلام له مكانة أخرى متميزة ومتفردة، يصبح العمل في الإسلام قيمة دينية حضارية تحتل أعلى المراتب في سلم القيم؛ ذلك أنه ركيزة الدين، العمل في الإسلام هو الحرية ، وهو الكرامة والذاتية، وهو التوازن النفسي والاجتماعي، وهو السبيل لإصلاح الحاضر والمستقبل ( حمدة ، 2000م، ص ص607- 612).

إن الفرد المنتج هو فرس الرهان للمجتمعات المتقدمة في كل الأزمنة ، وأصبح ذا ارتباط عضوي بالعلم والثقافة والتقنية والذي يستطيع استثمار ما تعلمه من حقائق وقواعد ، أو قيم ، أو أي شكل من أشكال المعرفة في الإنتاج ، فهو صمام الأمان للمجتمع لتحقيق تنمية شاملة ( زايد ، 2010م ، ص 37) .

وكما تبدو الصلة وثيقة بين العمل وتنمية المجتمع، فكذلك تبدو الصلة وثيقة بين العمل وتحقيق الأمن الاقتصادي في المجتمع ، والأمن الاقتصادي هو الدعامة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع ، ومن المعلوم في هذا المضمار أن الأمن الاقتصادي المترتب على العمل له جذور تاريخية ضاربة في أعماق الماضي، فكم من حضارة انهارت وتقوض تقدمها، وكان اختلال الأمن أحد عوامل ذلك

الانهيار، وإن الوقت الراهن هو أشد تأثرا بعنصري الأمن والعمل، وتزداد الصلة بينهما فيتقدم المجتمع، أو تختل فيتخلف المجتمع، بل يتجه إلى زوال(دنيا، 1997م، ص37) .

**ج . التخطيط الزمني الفعّال للوقت .**

إن من الواجبات على المسلم نحو وقته ، تنظيمه بين الواجبات والأعمال المختلفة ، دينية كانت أو دنيوية ، بحيث لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم " اللهم بارك لأمتي في بكورها "(الترمذي ، كتاب البيوع ، الحديث رقم 1130)

وهكذا نرى اهتمام الإسلام بالوقت وباستغلاله ، لقيام حياة طيبة هانئة منتجة فالمجتمع المسلم بمفهومه مجتمع متوازن في تحقيق متطلباته ، وكل فرد مهيّأ لعمل يكتسب منه ومن ثم يخدم باقي أعضاء المجتمع ( سفر ، 1404هـ ، 176) فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها " ( صحيح البخاري ، باب اصطناع المال ، الحديث رقم 475)

إن كثيراً من الناس يغفل عن أن الفراغ نعمة فلا يؤدون شكرها، ولا يقدرونها حق قدرها، فقد قال صلى الله عليه وسلم " نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ "( البخاري ، باب تفسير القرآن ، 5962) لذا تزداد أعباء الآباء ورجال التربية والتعليم والإعلام والشؤون الاجتماعية ، في شغل فراغ الشباب بما ينفعهم ووطنهم بأعمال وخدمات اجتماعية وعمرانية، وتعليمية، وتربوية ورياضية ( جمال ، 1408هـ، ص ص 57-58)

لقد تفوقت إسرائيل وأصبحت من الدول المتقدمة مادياً ، ووصل إنتاج الفرد الإسرائيلي نظيره الأمريكي والياباني ؛ لأنهم أدركوا قيمة الوقت وكيفية استغلاله لصالحهم ، كما استطاعوا تضليل بقية الشعوب لما يهدر أوقاتهم ، ثم إن من لؤمهم ليقولون في بروتوكولاتهم :

" ولكي نبعد الحكومات العالمية على أن تكتشف أي خط عمل جديد ، سنلهيها أيضا بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ، ومزجيات الفراغ ، والمجامع العامة وهلم جرا ، وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات: كالفن والرياضة وما إليهما . هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجاً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد: هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة. وهذه الخطوط

سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها ، من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا ( التونسي ، 1400هـ، ص 84)

ورغم أن الباحث لا يؤمن بنظرية المؤامرة على طول الخط ، إلا أن هذه البروتوكولات تثبتها شواهد الحاضر ، فلابد للعاقل أن يشغل وقت فراغه بالخير ، وإلا انقلبت نعمة الفراغ نقمة على صاحبها، ولهذا قيل:الفراغ للرجال غفلة، وللنساء غُلْمة أي محرك للشهوة ( الضحيان ، 1407هـ ، ص ص 71-91)

لقد أشار المنهج الإسلامي إلى أهمية التخطيط في سبيل استثمار الوقت وحسن الاستفادة منه ، وفي القرآن الكريم دلالات واضحة على ذلك ، قال تعالى " أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ( الملك ، الآية : 22) فالتخطيط لابد أن يبنى على أساس من العلم ، كما أشار المنهج الإسلامي إلى ضرورة أن يكون التخطيط طويل الأجل ، قائم على التنبؤ وإعداد العدة ، قال تعالى" وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ( الأنفال ، الآية : 60) بل أن هذا المنهج أشار إلى مفهوم جديد من التخطيط وهو إرادة التغيير ، ولا يحدث التغيير إلا بالبدء في النفس ، حيث قال تعالى " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ( الرعد ، الآية : 11) كما أن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي من أبرز مظاهر التخطيط ، التي صنعها صلى الله عليه وسلم ، وهي إستراتيجية جديدة للتخطيط .

**د: الترويح دون تفريط ولا إفراط**

الترويح في الإسلام وسيلة تربوية واجتماعية ، يملأ الفراغ بكل ما هو مفيد ، ويجدد نشاط الفرد وحيويته ، ويشبع حاجاته البدنية والنفسية والعقلية الروحية ، بما يتوافق مع العقيدة ، وبما لا يطغى على أوقات العبادة أو العمل( خليل ، 1421هـ، ص94)

والجانب الترويحي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مشرق ومضيء كبقية جوانب حياته فقد كان متسابقاً ، ومتنافساً ، ومشرعاً ، حتى أنه كان يتسابق مع زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها ، وثبت كذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، صارع بعض شباب قريش قبل الإسلام وبعده ( منصور ، 1991م، ص ص 157-158) وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : علموا أولادكم الرماية ، والسباحة ، وركوب الخيل . فالأصل في الترويح عند المسلمين ليس مجرد شغل وقت الفراغ أو قتل الوقت ، ولا مجرد ممارسة اللهو ، ولكن ما يعود على الإنسان من فوائد جسمية أو روحية أو عقلية ، وعلى المجتمع بالنفع والتقدم ( خليل ، 1421هـ، ص95).

فللمجتمع الإسلامي المعاصر يدرك اليوم ، أن التقدم الحضاري غدا قضية مصيرية في حياته ، وإنه في سبيل الوصول إلى تعويض ما فاته في الماضي القريب بفعل عوامل التخلف المتنوعة ، عليه أن يعتمد على خطط التنمية الاجتماعية المبنية على أسس علمية سليمة لتفجير طاقات الإنسان المسلم وقدراته في مضامير الحياة كلها ( عبد الحميد ، 1416هـ، ص15) ولا يتم ذلك إلا بالعمل والاستفادة من مخزون الزمن في بلورة مشاريع التقدم الاجتماعي ، والثقافي ، والسياسي والاقتصادي.

يستخلص الباحث إذاً أن الإسلام قد أكد بأن يكون استغلال الوقت خالصاً لله سبحانه وتعالى أي أن حياة المسلم يجب أن تكون مقصوداً بها وجه الله ، ومتحققة فيها العبودية " ولهذا كان الواجب على المسلم استغلال وقته في الحياة بما يعود على أم ته بالتقدم والازدهار ، ويعود عليها بالنفع في الدنيا والآخرة ( سفر ، 1404هـ، ص 175).

**هـ: الأسرة مشروع قدوة حسنة .**

تضطلع الأسرة بأدوار كبيرة حيث أن على الآباء والأمهات، تنظيم الوقت للأولاد في النوم واليقظة ، ووقت الأكل، وتعويدهم على عدم السهر ، لأداء صلواتهم ومباشرة أعمالهم ، وممارسة الرياضة المباحة المشروعة التي تعيد نشاطهم كما أن من المسؤوليات الأخرى، التي يجب أن تقوم بها الأسرة المسلمة اليوم: تنظيم وقت الناشئة فيما يختص بمشاهدة التلفزيون ، الذي لا يكاد يخلو منزل منه بحيث لا تسمح لهم إلا بمشاهدة البرامج ، التي لا تهدم الأخلاق ولا تفسد الدين كالبرامج الدينية والثقافية ، وبرامج التسلية للأطفال وفي أوقات محددة ومضبوطة " وإذا أراد الوالدان أن يزرعا حب اغتنام الوقت في نفوس أبنائهم ، فلا بد أن يكونا على مستوى المسئولية ، وأن يكون فيهما القدوة والمثل الأعلى في تقدير قيمة الوقت في الجانبين الديني والدنيوي " ( قطب ، 1408هـ، ص 186)

وإذا كانت الأسرة حريصة على تربية أبنائها على الفضيلة ، وتزرع في نفوسهم الخير ، وتحبب إليهم العمل ، وتبغض إليهم البطالة والفراغ ، ثم يخرجون إلى الشارع ولا يجدون فيه رفقة صالحة تعزز في نفوسهم ما تعلموه من والديهم ، أو ذهبوا إلى المدرسة فلم يجدوا فيها بيئة طيبة أو مساعدة ، فإنهم سيعيشون حالة من التخلف الاجتماعي والاضطراب النفسي ( الصحفي ، 1427هـ، ص 188)

فالأسرة مطالبة باستثمار أوقات أبنائها منذ الصغر في ما ينفعهم وينمي مواهبهم ومن ذلك تربيتهم على حب القراءة ، والصوم ، وخدمة الآخرين ، وتعليم القرآن الكريم وتدبّره وفهمه ، ويخصص وقتاً لمدارسته وحفظه ، ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ( خيركم من تعلم القرآن وعلّمه) (البخاري ، كتاب فضائل القرآن، الحديث رقم 594) .

**و: تنمية القراءة الحرة للأطفال في المدرسة.**

المدرسة تبدأ بإشعار الطلاب بقيمة الوقت ، وأهميته منذ حضور الطالب إليها في الصباح الباكر ، حيث تحرص إدارة المدرسة على أن ينتظم الطلاب جميعاً وفي الوقت المحدد للطابور الصباحي ، ولا تسمح لهم بالتأخر ، فعلى المدرس أن يكون قدوة لتلاميذه حضوراً وانتظاما ؛ يلتزم بوقت الحصة في بدايتها ونهايتها ، ويعلم تلاميذه على ذلك ويعودهم حتى يربي في نفوسهم الشعور بقيمة الوقت ( الصحفي ، 1427هـ ،ص 189)

فالمدرسة لها دور بارز في تثقيف وتربية الطفل، وهذا الدور يبدأ مع أول التحاق للطفل بالمدرسة ، لكن يجب ألا يعتقد البعض أنه بمجرد التحاق الطفل بالمدرسة ، فقد انتهى دور البيت في التربية والتثقيف، فكل منها يكمل الآخر، فالمدرسة تشارك المنزل في تكوين قارئ ناضج ينهض بمجتمعه ويلاحق التطورات الحديث، ولعل دور المدرسة يزداد ويظهر أثره وتعظم مسؤوليته في المجتمعات التي تزداد فيها نسبة الأمية .

لذلك فإن المعلم مطالب بأن يوجّه الطلاب إلى قاعة مكتبة المدرسة ، ويعطيهم كتاباً ذا مظهر جذاب، ويشجعهم على قراءته ، فالإحصائيات تقول إن معظم الطلاب يختارون من المكتبة العامة الكتب الجذابة وهنا على المعلم أن يستغل ذلك ، ويعطي هؤلاء الأطفال كتاباً فيه قصص عن الحيوانات مليئة بالصور الملونة، وبعد أن يختار الطفل الكتاب ، يجب على المدرسة أن توفر له المكان الجذاب أيضاً ، إضافة إلى استثمار مادة التعبير في المدارس بإقرار برامج تعليمية تستحث الطلاب على القراءة الحرة ، والقراءة المقننة .

### ز: الجامعة وبرمجة واستثمار الوقت .

برغم ما يتعرض الطلبة في المراحل الدراسية من خبرات تهيئهم للدارسة الجامعية إلا أن معظم الطلبة لا يمتلكون مهارة برمجة الوقت وتصبح المشكلة أكثر تعقيدا عند دراستهم للرياضيات والعلوم التطبيقية واللغات ، لذا يصبح الطالب بحاجة إلى تنمية مهاراته التنظيمية والتي تسعفه في عملية استثمار وقته في التحصيل الدرسي ومن هذه المهارات ما يلي:

١. مهارة تخطيط الوقت وإدارته.
٢. مهارة عمل جدول دراسي مناسب.
٣. استغلال الوقت واستثماره.

وفي نفس السياق تتأكد مدى أهمية استثمار الوقت في التحصيل الدراسي للطالب الجامعي باعتباره متفرغا للدراسة يطمح للتفوق والنجاح وفي مقابل ذلك يعتبر أي نوع من تدني مستوى التحصيل الدراسي منشأه عدم استشعار الطالب لقيمة الوقت فالوقت هو الحياة ولاشيء أغلى من الحياة .

ويرى الباحث في ضوء ما سبق أن الطلاب يتعين عليهم أن يعمدوا إلى استثمار أوقاتهم في الدراسة سعيا منهم للتفوق والنجاح وتتحدد وسائل ذلك من خلال أمرين:

**الأول:تنمية اتجاهات أفضل نحو القراءة** : فنحن أمة اقرأ وقد أكرمنا الله تبارك وتعالى بتبيان أدوات ووسائل ذلك واضحة في مقدمة سورة العلق.

**الثاني:استثمار الوقت** : بامتلاك مجموعة المهارات القادرة على بعث الإنسان من غياهب اللهو واللعب وعدم استشعار قيمة الوقت ودوره في تحقيق الأهداف التربوية. وفي ثنايا الدراسة سيتم تبيان أهم المهارات اللازمة لتحقيق التفوق والنجاح.

**و**قد يتبادر إلى الذهن أن وضع الطالب جدولا نوع من الاستنزاف للوقت والجهد إلا أن التصور الأكثر واقعية أن الفائدة عائدة على الطالب بشكل كبير جدا لأن الجدول للطالب يعني مايلي:

١. ترشيد الوقت وانفاذه فيما يفيد.
٢. إنقاذ الطالب من التردد والحيرة بشأن ما يقوم به من عمل دراسي.
٣. تمكين الطالب من ممارسة أي نشاط في الوقت المناسب.

٤. توفير الوقت ومن ثم إمكانية استخدامه في نشاط آخر مفيد.
٥. إضافة إلى شعورك بالطمأنينة على سير الدراسة من خلال.
٦. توزيع المساق على جلسات متباعدة مما يزيد من التحصيل الدراسي.
٧. تحديد أوقات أكثر مناسبة لبعض الموضوعات الدراسية.

في ضوء حصر ساعات اليوم والليلة ووقت شغلك و فراغك يمكنك وضع الجدول الدراسي المناسب وذلك على النحو التالي:

| ساعات اليوم الواحد | عدد الساعات | ساعات الدراسة الخاصة | عدد الساعات |
|---|---|---|---|
| ساعات النوم | (8ساعات). | جلسات دراسية خاصة | 4ساعات |
| ساعات الدراسة في الجامعة | (6ساعات). | مختبرات الحاسوب | ساعة |
| صلاة والتزامات أسرية واجتماعية | ساعتان | المكتبة | 1\2ساعة |
| استراحة واستجمام | ساعة | حلقات بحث | 1\2ساعة |
| ساعات الدراسة الخاصة | (7 ساعات) | ندوات عامة- وورش عمل. | ساعة |
| المجموع الكلي للساعات | (24ساعة). | المجموع الكلي للساعات | (٧ ساعات) |

## المبحث الرابع : دور التربية الإسلامية في مواجهة تفشي الأمية

يتباين فهم الباحثين للعلم والمعرفة ومضمونهما، فقد قيل: إن العلم هو الإدراك الكلي والمركب، بينما المعرفة هي الإدراك الجزئي والبسيط، ومن هنا يقال: عرفت الله دون علمته، فالعلم لا يطلق إلا على ما تدرك ذاته، أما المعرفة فتدل على ما تدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته، فكأن المعرفة تأتي بالتعامل غير المباشر مع الموضوع المدرك، ومن هنا تكون أقل دقة من العلم، ونظرا لأن الباحث يستخدم العلم والمعرفة في نسبتهما إلى الإنسان، فهو يستخدمهما كمترادفين؛ لأن العلم الذي دعا إليه الإسلام وحث عليه القرآن والسنة هو كل معرفة مستندة إلى استدلال، ولهذا لا يعد علماء المسلمين التقليد علما؛ لأنه إتباع بغير حجة؛ فيخرج عن نطاق العلم ( الخولي، 1992م، ص ص335- 394)

وتعتبر الثروة البشرية من أغلى ما تملكه المجتمعات ، فهي السبيل إلى صنع التقدم الحضاري ، وتعد الأمية أحد أهم العوامل التي تقف عائقاً أمام تطور المجتمع وتقدمه اجتماعياً واقتصادياً ، لأن الدخول إلى عالم المعرفة والقدرة على التفكير والإبداع ، والإتقان وجودة الإنتاج تصب في عملية تطوير الأفراد لقدراتهم ، ليتمكنوا من قيادة برامج التنمية ، وهذه المهارات تتطلب قدراً جيداً من مهارة القراءة والكتابة . فالأمية يجب أن تتسع معالجتها كمشكلة ، لتشمل بجانب الأمية الأبجدية بمعنى عدم معرفة القرا ءة والكتابة الأمية الأيدلوجية ، والأمية العلمية والأمية الحضارية ، كما يمكن أن تتسع فتشمل أميات أخرى كثيرة كالأمية الدينية ، والأمية الاجتماعية ، والأمية السياسية ( عبود ، 1418هـ، ص 414)

إن العالم اليوم يشهد اهتماماً واسعاً بمحو الأمية وتعليم الكبار وذلك من منطلق إدراكه بأن الأمية تُشكل العقبة الأساسية التي تقف حجر عثرة أمام قضايا التنمية والتطور ، كما يدرك العالم أيضاً بأن الاهتمام بالتنمية البشرية من خلال فتح آفاق التعلم وتمهيد سُبل المعرفة ، لهو أمر بالغ الأهمية في دفع عجلة التقدم على اعتبار أن الإنسان هو الثروة الحقيقية والعامل الأساسي في تلك المعادلة . والتربية الإسلامية التي تنطلق من طلب العلم فريضة كفيله بالقضاء على مشكلة الأمية في المجتمعات الإسلامية ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " أفضل الصدقات أن يتعلم المسلم علماً ، ثم يعلمه أخاه المسلم " ( ابن ماجه ، كتاب المقدمة ، رقم الحديث 243)

وإنه من البديهي في العصر الحديث أن المصدر الحقيقي للثروة لم يعد يكمن في امتلاك الخامات أو قوة العمل أو الآلات، وإنما في امتلاك قاعدة بشرية مثقفة وعلمية وتكنولوجية ، وأيا بلغت درجة هذه العبارة من الصحة فهي تعبر عن أهمية تلك الكفاءات وضرورتها، كما تعبر عن الخسارة الفادحة التي تلحق بأي مجتمع تهجره مثل تلك النوعية من الكفاءات( كرم ، 1982م ، ص135).

وإذا كان الأفراد فاسدين فسيكون البناء الاجتماعي فاسداً من أساسه ، ولا يمكن إصلاحه بما هو عليه ، ومن ثم لا يمكن إقامة مدنية إنسانية ، أو حضارة إنسانية خيرة بأي حال من الأحوال ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من البدء بالفرد ، وذلك بتكوينه إنساناً صالحاً خيراً لنفسه ولغيره معاً ، وهذا يكون بالتعليم والتربية الخيّرة ، وذلك بتعليمه ما هو خير وما هو شر، وحدودهما في ميدان السلوك الإنساني . ثم بتكوين روح الخير في نفسه ونزع روح الشر منها ، وذلك بتنشئته وتربيته منذ الصغر حتى يتأصل الخير في نفسه .

والتربية الإسلامية لديها دور بارز مأمول في مواجهة الأمية يجب على الجميع أن يستفيدوا منه وذلك كالتالي :

**أ –إطلاق أنظمة وأفكار تعليمية للقضاء على الأمية:**

للخروج من شرنقة الأمية ينبغي فيه على القائمين على هذه السياسة أو الأفراد الأميين ، بحسب ( بهاء الدين ، 1997م) اكتساب المهارات الأساسية في القراءة والكتابة بحسب مستواه الوظيفي للمساهمة في برامج التنمية الشاملة ، وإكسابهم المهارات العملية الملائمة لهم ، وتعميق شعورهم الديني فكراً وسلوكاً ، وإكسابهم اتجاهات إيجابية في مواجهة مشاكل الحياة العملية ، وإحياء القيم الاجتماعية الصالحة وتعزيزها ، وإذكاء حب العلم واستمرار التعلم في نفوسهم ، دون حدود للعلم أو العمر" فلإذا تقصينا مشكلة الأمية في إحدى البلدان العربية نجد أن بعضها يرجع إلى أسباب تعليمية وأخرى مجتمعية ، فمن الأسباب التعليمية ارتفاع نسبة الرسوب والتسرب ، ففي تعليم البنات على سبيل المثال تصل نسبة المتخرجات من المرحلة الابتدائية 96,7% وفي المرحلة المتوسطة تصل إلى 63% "( زيادة وآخرون ، 2006م، ص260)

إن العلم طريق التوحيد للعالم ، كما هو طريق توحيد الله ، بينما طريق عالم الأشخاص ، طريق للشرك ولتمزيق العالم وتفتيت المجتمعات أيضاً ؛ فالنزاعات والعصبيات التي تمزق المجتمعات دليل على بعد الحقيقة العلمية عن تلك المجتمعات ، وحلول الأوهام والخرافات والأحزاب والبرلمانات

وسواها محل الحقيقة العلمية . ومن هنا أخذ العلم وظيفة الإعجاز ، وظيفة توحيد الناس وتوحيد الله ومحو الأوهام ( سعيد ، 1408هـ، ص66)

إن علة بعض أفراد المجتمع العربي والإسلامي ضعف التخطيط السليم ، ويشمل ذلك: التخطيط للتعليم الجامعي بوجه خاص، وبقية المنظومة التعليمية بوجه عام، والتخطيط السليم للقوى البشرية العاملة بالجامعة، وربط المخرجات التعليمية بسوق العمل .

ويتطلب القضاء على الأمية عددا من البرامج والمشاريع الإسلامية تتمحور حول طريقين وهما : أحدهما وقائي والآخر علاجي.

**أولاً : الدور الوقائي**

وهذا الدور يجب أن ينطلق وفق خطوات علمية وعملية مدروسة منها :

أ – سن تشريعات وتنظيمات مناسبة تمكّن المؤسسات التعليمية من علاج مشكلة الأمية

ب - تطوير وتحسين العملية التعليمية بالمدارس من ناحية المناهج والوسائل وفلسفة التربية والأهداف التربوية

ت - وضع خطط علاجية للطالب المتعثرين دراسياً والمتسربين من المدرسة

ث - إلزام أولياء الأمور بإدخال أبنائهم إلى المدارس .

ج - إعداد معلمين متخصصين في محو الأمية

**ثانياً : الدور العلاجي**

ويتحدد علاج محو الأمية بخطوات أخرى لا تقل أهمية عن الدور الوقائي وهي :

أ – تحديد استراتيجيات القضاء على الأمية

ب - وضع مناهج مناسبة للكبار

ت - الاهتمام بالبيئة المدرسية المناسبة والوقت المدرسي الجيد لتشكل جواً مريحا للدارس ، حتى يستفيد من ما يحصل عليه من معلومات ( زيادة وآخرون ، 2006م، ص ص 262- 263)

لذلك فإن ازدهار التنمية الاجتماعية لا يتأتّى إلا بالتعليم ، وذلك لما للأخير من أثر في تغيير الاتجاهات والقيم ، والعادات ، التي كانت تشكل عائقاً في تحقيق التنمية مثل التعصب القبلي،

والفوضى ، وهدر الوقت ، كما يسهم التعليم في جعل الفرد والمجتمع قادراً على دراسة مشكلاته دراسة علمية والتفكير الموضوعي في كيفية حل المشكلات ، كما يسهم في حل مشكلة انقسام المجتمع إلى فئتين متعلمة وأمية تعيش عزلة مما يسهم في تقريب الأفكار والرؤى بين أفراد المجتمع ( حمد ، 1996م، ص ص 31-33) .

**ب : الحث على العلم والترغيب في التعلم .**

إن دور التربية الإسلامية في مواجهة الأمية بأنواعها، يتمثل في دعوة التربية الإسلامية وحثها على العلم، ورفعت مكانته إلى أعلى منزلة، وأعلت من شأن العلماء، بل جعلتهم في منزلة كمنزلة الأنبياء في الشرف والفضل، وجعلت لهذا العلم أهدافا مُثْلى ترقى بالمجتمع المسلم، بل بالإنسانية كلها، ثم جعلت لذلك العلم خصائص معينة، ومصادر متنوعة، ومجالات كثيرة متنوعة، كل ذلك لتربية شخصية علمية مسلمة، تعي رسالتها ومسئوليتها في بناء الحضارة وتقدم المجتمع، ولا ترضى التربية الإسلامية بحالٍ بإنسانٍ غير متعلم؛ إذ أن العلم هو سبيل خشية الله، وهو الطريق إلى تعمير الكون، وقيام المسلم بمسئوليته في العبادة وكافة مجالات الحياة لا يكون إلا بالعلم، وعلى ذلك فلا مكان لإنسان غير متعلم بمفهوم التربية الإسلامية للعلم ف الإسلام ؛ يعتبر العلم والتعليم هدفا أساسيا في بناء المجتمع الإنسان، وآية ذلك أن رسالة الإسلام قد بدأت في غار حراء بقوله تعالى " ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ " (العلق، الآية 1) فهذا الأمر الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة الإسلامية ، إنما هو دعوة لتحرير العقل الإنساني من ظلام الجهل ، ودفعه إلى ولوج أبواب العلم والمعرفة. ولقد حبّب القرآن الكريم الناس في العلم فقال عز وجل "يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾" (المجادلة ، الآية : 11) .

لقد حارب الإسلام معوقات المعرفة ، وحثّ على إمعان النظر وعدم الوقوف الظاهري أمام الأشياء ، كما حطّم قيود الأساطير والأوهام وذلك في قوله تعالى " وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ " (الإسراء، الآية : 3) كما حضّ القرآن الكريم على الاستزادة من العلم والاغتراف من رحيقه " قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾" (الزمر، الآية: 9) .

لقد دعا الإسلام إلى رقي الإنسان ودوام تقدمه في الحياة، بلوغا إلى الخير العام، ولأن العلم هو مفتاح التقدم وسبيل الإنسان نحو تحقيق حاجاته وتلبية مطالبه في الدين والدنيا، من أجل ذلك حث الإسلام أتباعه أن يسعوا حثيثا إلى طلب العلم، وأن يقبلوا عليه مستخدمين حواسهم وعقولهم للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم في الحياة، وقد جاء أن أحد الأنبياء خُيِّرَ بين الملك والمال والعلم، فاختار العلم، فأُعْطِي الملكُ والمال والعلم، وهذا دليل على أن الذي يحوز العلم السليم النافع فإنه يحوز معه كل المنافع المتاحة لبني الإنسان(سعيد، 1994م،ص ص 243- 245 )، ومن ثم كان دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزيده الله من العلم، لا من المال، أو الجاه، أو غير ذلك مما يقل شأنا عن العلم " وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ "(طه: 114)، وما ذلك إلا لأن العلم النافع يشيد الحضارات، ويسهم في دفع التقدم الإنساني ، إن فعل التربية والتعليم عميق الأثر في التنمية ، فالتربية هي القادرة على تغيير اتجاهات الأفراد وتنمية شخصياتهم نمواً متكاملاً ، يعينهم على التكيف الايجابي مع البيئة الطبيعية والاجتماعية والعلمية التي يتفاعلون فيها باعتبارها قوى مؤثرة في استحداث التنمية ، وعلاقة التعليم بالتنمية علاقة عضوية فعالة فهو نتاج التنمية وغاية من غاياتها ، فالتنمية تهدف أخيرا إلى تحقيق تغيير شامل وإيجابي في التركيب الاقتصادي والاجتماعي من أجل زيادة في الدخل القومي والفردي ( سرحان ، 2003م، ص ص 268-270)

"إن الإنسان يستطيع اليوم أن يفهم العتبة الأولى من العلم ، وهذا يمكنه من طلب العتبة الثانية والثانية تمكّن من الثالثة وهكذا ، فما هو مستحيل اليوم ينبغي أن لا يبقى مستحيلاً ، وإنما ينبغي أن يصير مستطاعاً وأن تتجاوزه الاستطاعة ، وهذه القاعدة ينبغي أن نفهمها ، فإذا فهمناها فهمنا مشكلة العالم الإسلامي القاعد وعليه الآصار والأغلال " ( سعيد ، 1404هـ، ص ص46-47)

لقد كانت أولى الحملات القوية في مكافحة الأمية في الإسلام ، ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حين وقع في أيدي المسلمين بعض الأسرى من المشركين في غزوة بدر، فقد جعل فدية الكثيرين منهم تعليم الأميين من المسلمين، وفرض على كل أسير تعليم عشرة، وجعل ذلك فكاكا له من الأسر، وبذلك ضرب الرسول المثل في مكافحة الأمية والدعوة إلى نشر العلم لإصلاح المجتمع الجديد؛ وذلك من أجل إعداد الإنسان وبنائه عن طريق العلم؛ ليكون نواة لمجتمع إنساني مبدعٍ ومتقدم، وقد توالت حركات مكافحة الأمية بعد ذلك من منطلق أن نشر الدين كان يتطلب الحاجة إلى القارئين والكاتبين، بل ورأى بعض المسلمين أنفسهم أنهم في حاجة إلى تعلم القراءة والكتابة؛ للتعرف

على دينهم الجديد الذي اقتنعوا به، ولما فتحت البلاد بعد ذلك كان العنصر العربي هو العنصر الحاكم؛ فكان لا بد من تعلم القراءة والكتابة، فكثرت القراءة والكتابة، وخاصة في عهد التابعين( أمين، 1997م ، ص140- 151، والدوليبي ، 1993م ،ص ص32- 43) مما يدل على أنه ليس هناك خلاف على ضرورة العلم لأية نهضة حديثة تنشدها أمة من الأمم، خاصة إذا كانت هذه الأمة تواجه تحديات كثيرة ومتنوعة، يفرضها عليها أعداء كثيرون، كما هو الحال مع الأمة العربية والإسلامية.

إن الأمية لا تعني عدم القراءة والكتابة فقط ، وإنما يمكن اعتبار المعرفة الأبجدية كمهارات آلية، تكون كأدوات تنمي العالم الداخلي للإنسان ، وتشكل الخيوط التي تحيك الشبكة الاجتماعية والثقافية ما بين أفراد المجتمع على نحو خاص، وما بين المجتمع والمجتمعات الأخرى على نحو عام. وبدلا من النظر إلى القراءة والكتابة كأدوات تربط ما بين العقل والنطق، يمكن النظر إليها كوسائل تربط ما بين العقل والحياة " فالفكرة هي أن نتبنى توجهاً يركز على التعلم والمُجتمع إذ يشكل هذان المفهومان ، العمود الفقري لأية مبادرة مجتمعية ناجحة يمكنها أن تستعيد الثقة والمسؤولية والفهم ، لدى المجتمعات والأفراد بقدراتهم على القيام بتلبية حاجاتهم بأنفسهم " (الدعيس ، 2011م، ص 4)

وإذا كان الإسلام يحث الإنسان على طلب العلم والاستزادة منه، فإن الباحث يؤكد كذلك على دور الدولة الإسلامية في نشر العلم وتثقيف رعاياها، فعلى الدولة أن تعمل على كفالة التعليم لكل أفراد المجتمع، ليس فقط بالطرق الميسورة، ولكن أيضا بإيجاد نظام التعليم الإلزامي الفعلي الذي يحقق لكل فرد في المجتمع، رجلا كان أو امرأة، فرصة التعليم والاستزادة منه، وفق استعدادات كل شخص وقدراته .

**ج: توطين التقنية.**

إن دعوة الإسلام إلى العلم دعوة صريحة وواضحة ، والعلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم الذي يدعو إلى التفكير العلمي، بضوابطه ومناهجه وآلياته " أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ " ( فاطر ، الآية 27–28) فليس أمام المسلمين طريق لاسترداد فاعليتهم الحضارية ، إلا العودة إلى كتاب الله تعالى، واستنطاق سننه في الكون، وتدبر آياته بحثًا عن شهود حضاري فاعل، يحمل الأمة من سباتها إلى يقظة ، كما فعلها المسلمون من قبل

إن عملية الإدراك الكامل للحضارة التقنية المعاصرة ، يجب أن يشمل على ضرورة الوعي بمفاهيم وأسس لا بد من مراعاتها واستيعابها ، ومن أهم تلك الأسس التي يلزم الوعي بها: إدراك الأصول والطرائق والنظم الحاكمة للتقنية المعاصرة، وهذا هو الجوهر والمنطلق، أما دقائق وتفصيلات التكنولوجيا والتقنية فلا يمكن لأصحابها منحها، وإنما تدرك بالممارسة الواعية والتفاعل البناء، كما يلزم التأكيد على عدم انفصال حركة العلم في المجتمع عن الحالة التقنية فيه، وذلك بضبط إيقاع تطور الحركة العلمية، حتى لا يسرع كثيرا ويبتعد معه العلم عن التقنية، كما يلزم توفير بعض المتخصصين في الجامعات ومراكز البحوث تكون مهمتهم التطوير المستمر للعلوم( سفر ، 1989م، ص ص 100–104)

إن المقترحات التي تهيئ للتنمية الاجتماعية وتزيح التخلف المعلوماتي كثيرة ولعل أبرزها : إنشاء مؤسسة في هذا الإطار تخص العالم العربي بأسره، افتتاح صندوق مالي عربي لتمويل أوجه نشاط تلك المؤسسة، إسهام تلك المراكز البحثية في تخريج علماء عرب أكفاء، يستطيعون القيام بقيادة المؤسسات التعليمية بالوطن العربي، الاستفادة من اكتشافات تلك المراكز في تحسين إمكانيات العرب الصناعية .

إن من يتأمل حال المجتمعات العربية والإسلامية ، يرى أنها باتت في حاجة ماسة إلى التخلص من تخلفها العلمي ، وذلك منبثق من الفوائد الإستراتيجية التي يمكن أن تعود عليها من دخولها مجتمع تكنولوجيا المعلومات " وذلك لأن التقنية وتكنولوجيا المعلومات غير قابلة للاستهلاك

بسهولة، كما أنها غير قابلة للتحول أو التفتت؛ كما أن قيمة المعلومات والتكنولوجيا تفيد في استبعاد عدم التأكد، وتسهم في تنمية قدرة الإنسان على اختيار أكثر القرارات فاعلية، كما أن سر الواقع الاجتماعي العميق للتكنولوجيا والمعلومات يكمن في أنها تقوم على أساس العمل الذهني وتعميقه " (ياسين، 2000م، ص26)

ولا يمكن أن يكون للدول العربية والإسلامية دور في هذا المجال ؛ إلا بالتغلب على هذه المعوقات وأشباهها، خاصة في ظل الأهمية المتنامية للتكنولوجيا والتقنية، وفي ظل تأثيرهما المتزايد على كافة مؤسسات المجتمع ومجالاته: الثقافية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل والعسكرية، بحيث يمكن القول: إنه ما من مجال من المجالات إلا ومن المتوقع أن يكون للتكنولوجيا والتقنية فيه دور وتأثير، ويسهمان في تعميق الإيمان بالله وذلك من خلال البحث في هذا الكون الفسيح ( شوقي، 1414هـ ،ص 236)

**د : تطوير المناهج الدراسية**

تحديث المناهج التربوية والتعليمية وتطويرها، هو أولى مراحل التقدم الاجتماعي للمجتمعات العربية والإسلامية حتى يكون التعليم مجديا ومنتجا، وفاعلا ومؤثرا في حياة المجتمع من جميع النواحي، ولا يغيب عن بال الكثيرين أن التعليم هو العامل والعنصر الأشد حيوية والأقوى في تقدم الأمم وتطور الشعوب، وامتلاك المجتمعات لأسباب القوة، وحقائق العصر تؤكد أن القوة المادية للحضارة الغربية إنما جاءت بفعل الاهتمام بالتعليم والارتقاء به. فالتحديث وتطوير نظام التربية والتعليم يجب أن ينطلق من الرؤية والفلسفة والتصور الإسلامي فهذا يتفق مع تصور كثيرين لعملية التنمية الشاملة، والتي تعني: التطوير والتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن، مع مراعاة أن تكون تلك التنمية مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان وجوانب المجتمع ومقوماته المادية والمعنوية، وفق الرؤية الإسلامية، تحقيقا لمقصود الشارع من استخلاف الإنسان في الأرض، برعاية من أولي الأمر ضمن تعاون إقليمي وتكامل عربي وإسلامي(الصاوي، 2005م، ص ص181- 184 ).

ومحو الأمية الكبرى – الحضارية – هو الركيزة الأساسية لعملية التطبيع الاجتماعي بل لتنمية الموارد البشرية ككل ، فالكفاية التعليمية مفهوم أساسي لبرامج التنمية والاستثمار، في القضاء على اللمسة الحضارية ، تستتبعه زيادة في الإنتاجية تفوق الزيادة المتوقعة للاستثمار ، في المشروعات الاقتصادية وفي بناء المصانع واستيراد الآلات (فراج ، 1417هـ،ص 47).

**هـ. الوعي بخطر الأمية .**

الوعي خطوة أو مرحلة هامة من مراحل التغيير ، لا سيما إذا كان هذا الوعي وعياً حقيقياً " ونحن أحوج اليوم في ظل تحديات القرن الحادي والعشرين ، أن نكون على وعي حقيقي بكامل كل هذه التحديات دوليا وإقليمياً ومحلياً ، حتى نصل إلى التغيير الحضاري والتقدم العربي الذي نرجوه ، إذ أنه في ظل الفجوات الرقمية بين العرب وغيرهم سيكون التقدم صعبا، ولكنه ليس مستحيلا " ( زايد ، 2010م ، ص13) .

وهذا عصرٌ لا وجود لمن لا يمتلك سلاح المعرفة ويطوعها لصالحه فالتعليم هو الفيصل في تشكيل وعي المتعلمين بالتخلص من براثن تخلفهم الاجتماعي " وإذا كنا نسعى إلى اكتساب الفرد الوعي الضروري لبناء عالم التقدم العلمي ، فالمعرفة لا تحقق الوعي ، ولكن المعرفة المسلحة بالوعي هي التي تخلق الوعي " (هلال ، 2003م ، ص100)

وفي ظل ثورة المعلومات في الألفية الثالثة يجب على التربية العربية أن تعي الغايات التربوية الآتية وتحققها ، وهي وفق ما جاء في تقرير اليونسكو عام 1999م " تعلم لتعرف ، تعلم لتعمل ، تعلم لتكون ، تعلم لتشارك الآخرين " ( اليونسكو ، 1999م ، ص 77)

إن الراصد لواقع المجتمعات العربية والإسلامية يدرك أنها في حاجة ضرورية إلى الوعي الفردي والاجتماعي " فالوعي الاجتماعي مهم وأساسي من أجل تنمية عربية شاملة ناجحة ، فهو يضم في طياته كل مستويات الوعي ، وتأسيساً على ذلك فإن الوعي بالقضايا القومية والوعي بالقضايا السياسية والاقتصادية والثقافية العربية يعني أول ما يعني وعياً مجتمعياً " ( زايد ، 2010م ، ص27) .

إن المؤسسات الاجتماعية والتربوية تحظى بدور بارز في علاج الكثير من إشكاليات التخلف الاجتماعي وتملك العديد من مقومات مواجهة المشكلات الاجتماعية وإحداث التنمية في المجتمعات العربية والإسلامية وقد حدد ( الجلال ، 1985م) ثلاثة عناصر من الممكن أن تقوم بها التربية في مواجهة التخلف الاجتماعي :

١. إيجاد قاعدة اجتماعية عريضة متعلمة بضمان حد أدنى من التعليم لكل مواطن

٢. المساهمة في تعديل نظام القيم والاتجاهات بما يتناسب والطموحات التنموية في المجتمع ، ومن ذلك تعزيز قيمة العلم والإنتاج .

٣. تأهيل القوى البشرية وإعدادها للعمل في القطاعات المختلفة . ( ص 15)

## الفصل السادس :النتائج و التوصيات

يأمل الباحث أنه قد وفق في تحديد مفهوم التخلف الاجتماعي وأسبابه وبعض مظاهره ودور التربية الإسلامية في مواجهته ، وقد تم التوصل إلى النتائج التالية :

**النتائج .**

١ -التخلف الاجتماعي نوع من الوجود يصيب المجتمعات في قيمها وسلوكها ، ويسهم في تأخر المسلمين عن اللحاق بركب الحضارة .

٢ -إن التربية الإسلامية لو أُحسن تطبيقها بشكل جيد في مؤسسات التربية كالمدرسة والأسرة ووسائل الإعلام والمسجد لعالجت التخلف الاجتماعي ، وقدمت العديد من الحلول للتقدم الاجتماعي ، فمن ثمار التربية الحضارية الالتزام بالمنهج الإسلامي في بناء حضارة المتربين ، إلى تحقيق اعتماد الدول الإسلامية على نفسها في جميع ميادين بناء التنمية.

٣ -التخلف الاجتماعي جزء لا يتجزأ من منظومة التخلف الشاملة سواء كانت الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية أو الثقافية ، ويتأثر بمسبباتها ونتائجها وآثارها .

٤ -أن التخلف الاجتماعي ليس قاصراً على الشعوب المتأخرة ، فهو مرض يصيب المجتمعات النامية كالدول العربية والإسلامية ، كما يصيب المجتمعات المتقدمة كالدول الغربية ، وإن كانت آثاره تبدو أكثر وضوحاً في البلاد العربية والإسلامية لأنه أصاب السواد الأعظم منهم

٥ -أن هناك العديد من الأسباب الداخلية والخارجية تقف في وجه التقدم والتنمية – كما كشفتها الدراسة– وأبرز هذه الأسباب غياب الروح الإسلامية وضعف الأنظمة التربوية وجمود الفكر العربي ، فيما يقف الاستعمار والتبعية على رأس الأسباب الخارجية .

٦ -للإعلام بكافة أشكاله وأنواعه دور حيوي في تغيير السلوك الاجتماعي ، والمساهمة في إحداث التحولات الفكرية ، وذلك لما يملكه من تأثير عال وإمكانات هائلة فهو يوجه الأمم إلى تصحيح المسار وتأكيد القيم الخلقية وإبراز تنميتها بشكل جيد إضافة إلى نقد السلوكيات والأفكار المنحرفة .

٧ -من أهداف مواجهة التخلف الاجتماعي بناء أجيال قادرة على مواجهة الغزو الحضاري ، وإبراز خصائص الأمة للأجيال وتكوين روح الاعتزاز بها ، والعمل من أجلها والدفاع عنها، وبناء الأجيال للاقتداء بالنموذج الحضاري الإسلامي، ونشر الرسالة الحضارية الإسلامية.

٨ -يجب تعريف المجتمع بالأولويات التي تحتاجها الأمة والمجتمع للتقدم والتفوق الحضاري ، وهذا لا يتأتّى إلا بأساليب وطرق حديثة مثل التخطيط والإرادة والإخلاص.

٩ -أهمية استيعاب التقنية ونقلها إلى بلاد المسلمين في ضوء القيم الإسلامية، وتنشئة الأجيال على أن العمل المهني والفني من العوامل المهمة للحضارة والتقدم.

١٠ – التعصب القبلي يسهم في تأخير التنمية وذلك لتمريره المحسوبية والواسطة وإبعاده للموهوبين عن مراكز صناعة القرار .

١١ – إهدار الوقت في ما لا يجدي وعدم وجود خطة لاستثماره في المعرفة والصناعة والتقنية والاختراع جعل بعض المسلمين في مؤخرة الركب .

١٢ – تفشي الأمية بكافة أنواعها تسبب في تعطيل الطاقات البشرية للمعلمين الأمر الذي ساهم في عدم وجود قوة بشرية كبيرة تحلق بالأمة في مصاف الدول المتقدمة .

**التوصيات .**

في ضوء نتائج الدراسة يمكن للباحث أن يوصي بما يلي :

١. بث القيم النبيلة، والتي تحث على التعلم والعمل وتحث على الإنتاج ، والإنجاز في المناهج الدراسية، وإكسابها للطلاب في جميع المراحل الدراسية.
٢. إنشاء وزارة للتنمية البشرية في كل دولة عربية وإسلامية ، تنطلق من حاجات هذه الشعوب ، وتدرس أسباب تأخر المسلمين وتضع الحلول الناجعة لها ، وتضع الإنسان في مقدمة أولوياتها .
٣. إنشاء مراكز متخصصة ببحوث التقدم و الحضارة والتنمية في الجامعات وبيوت الخبرة ، وفي وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي، مهمتها فحص النقاط الحرجة في تاريخ الأمة الإسلامية والوقوف عندها ومعرفة مظاهرها و أسبابها .
٤. تكليف فريق عمل متخصص من العلماء الباحثين والأكاديميين المتخصصين لعمل خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية في البلدان العربية والإسلامية وذلك لترتيب أولوياتها وإدراج احتياجاتها بشكل يضمن تحقيقها بفعالية ، وهذه خطوة تسبق إقرارها من قبل الوزراء المعنيين
٥. إقرار مواد دراسية بالجامعات تتناول اجتماعيات التربية يكون من ضمن مواضيعها تناول التخلف الاجتماعي وكيفية مواجهته .
٦. تيسير التعليم للجميع بل والتشجيع عليه بالحوافز والمكافآت لاسيما لصغار السن .

٧. يقترح الباحث لطلاب الدراسات العليا البحث في أسباب ومظاهر التخلف الاجتماعي وفق استبانه مشتقة من عبارات ضوابط ومعايير التقدم الاجتماعي تتلاءم مع نوع العينة التي سيجري عليها تطبيق الاستبانة .

٨. إقرار وتفعيل مؤسسات المجتمع المختلفة حتى ينخرط فيها الشباب ويستثمرون أوقاتهم ، ويصححون أفكارهم حول العمل الجماعي، والوحدة الإسلامية ، ونبذ التعصب القبلي أو الإقليمي أو المذهبي .

٩. إنشاء مراكز تدريب متخصصة في تطوير الذات ؛ لإيقاظ طاقات الشباب وصقل مواهبهم وإبداعاتهم .

١٠. إنشاء مركز متخصص لدراسة مظاهر التخلف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في منظمة التعاون الإسلامي من خلال باحثين متخصصين ، يدرسون أبرز معالم تخلف كل بلد عربي وإسلامي ومن ثم معرفة عوامل نشوئها واقتراح الحلول المناسبة لها ، ليكون ذلك أدعى لمساعدة البلدان الإسلامية مجتمعة لبعضها بدلاً من حلولها الفردية .

# المصادر والمراجع

**أولاً** : **المصادر** :


١. القرآن الكريم .

٢. آبادي ، محمد شمس الحق ( 1415هـ ) عون المعبود شرح سنن أبي داوود . بيروت : دار الكتب العلمية .

٣. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ( 1422هـ) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين . تحقيق رضوان جامع رضوان، القاهرة : مؤسسة المختار .

٤. ابن القيم، محمد(1409هـ) التبيان في أقسام القرآن. تحقيق : محمد سكر، بيروت: دار إحياء العلوم.

٥. ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد ( 1416هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون . بيروت : لبنان .

٦. ابن خلدون، عبد الرحمن (د.ت) مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار الشعب.

٧. ابن رجب ، عبد الرحمن الحنبلي( 1417هـ) الذيل على طبقات الحنابلة، بيروت: دار الكتب العلمية .

٨. ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله الأندلسي ( 1387هـ)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . تحقيق : مصطفى العلوي ومحمد البكري .

٩. ابن فارس ، أحمد زكريا ( 1979م ) معجم مقاييس اللغة . تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، بيروت : دار الفكر .

١٠. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر(1420) تفسير القران العظيم . تحقيق سامي محمد السلامة، الطبعة 2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع .

١١. ابن ماجه ، محمد بن يزيد ( د.ت) سنن ابن ماجه . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : المكتبة العلمية .

١٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (د. ت) لسان العرب . بيروت: دار لسان العرب.

١٣. ابن هشام (1411هـ) عبد الملك بن هشام الحميري ، تدقيق : مركز الدراسات الإسلامية بمجمع أبي النور الإسلامي . بيروت : دار الجيل .

١٤. أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (1322هـ) ديوان الحماسة . مصر: مطبعة التوفيق .

١٥. البخاري ، محمد بن إسماعيل (1417هـ) صحيح البخاري . الرياض : دار السلام .

١٦. البستاني ، بطرس ( 1977م) محيط المحيط . مكتبة لبنان : بيروت.

١٧. البيهقي ، أحمد بن الحسين( 1988م) الآداب . تعليق : السعيد المندوه ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية .

١٨. الترمذي ، محمد عيسى بن سورة ( 1417هـ) الجامع الصحيح . تحقيق وإشراف احمد محمد شاكر ، بيروت: دار الكتب العلمية .

١٩. الجوهري، إسماعيل حماد ( 1979م ) الصحاح في اللغة . بيروت : المكتبة العلمية .

٢٠. الرازي ، محمد بن أبي بكر (1401هـ) مفاتح الغيب . دار الفكر : بيروت .

٢١. الرازي ، محمد بن أبي بكر( د. ت) مختار الصحاح. بيروت: دار الكتاب .

٢٢. الزركشي، محمد(1957م) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، القاهرة: د . ن

٢٣. الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد ( 1420 هـ) جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دمشق : مؤسسة الرسالة .

٢٤. العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ( 1407هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري . القاهرة : دار الريان للتراث .

٢٥. علي ، أحمد بن محمد( د. ت) المصباح المنير، ج1. بيروت : المكتبة العلمية .

٢٦. غربال ، محمد شفيق ( 1988م) الموسوعة العربية الميسرة.بيروت : دار نهضة لبنان .

٢٧. المحلي ، جلال الدين و السيوطي ، جلال الدين ( 1987م) تفسير الجلالين. بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٨. مدكور ، إبراهيم ( 19785م ) معجم العلوم الاجتماعية .القاهرة : الهيئة العامة للكتاب المصري .

٢٩. مدكور ، إبراهيم وآخرون( 1972م ) المعجم الوسيط. ج1، الطبعة 3. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

٣٠. مسلم ، ابن الحجاج القشيري ( 1374 هـ ) صحيح مسلم . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء التراث العربي.

٣١. النسفي ، عبد الله بن أحمد ( د. ت) تفسير النسفي. القاهرة: دار إحياء الكتب .

٣٢. النيسابوري، محمد بن عبد الله ( 1418هـ) المستدرك على الصحيحين . بيروت : دار المعرفة .
٣٣. الواحدي ، علي بن أحمد ( 1411هـ) أسباب نزول القرآن . تحقيق كمال زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية .

**ثانياً: المراجع .**

٣٤. إبراهيم ، عبد الرحمن زكي ( 1998م) قضايا التخلف والتنمية. الإسكندرية : دار الجامعات المصرية.
٣٥. إبراهيم ، مفيدة محمد ( 1424هـ) دور التربية في مستقبل الوطن العربي ، عمان : دار مجدلاوي .
٣٦. ابن نبي ، مالك ( 1986م) مشكلات الحضارة: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. سوريا: دار الفكر.
٣٧. ابن نبي ، مالك (1404هـ) مذكرات شاهد للقرن ، الطبعة 2 . دمشق : دار الفكر .
٣٨. ابن نبي ، مالك ( 1988م) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، (بسام بركة وأحمد شعبو ، مترجم) . دمشق : دار الفكر .
٣٩. ابن نبي ، مالك (1991م) القضايا الكبرى . دمشق : دار الفكر .
٤٠. ابن نبي، مالك ( 1406هـ) شروط النهضة ، ( عبد الصبور شاهين ، مترجم ) . دمشق: دار الفكر .
٤١. أبو العينين ، علي خليل ( 1407هـ ) التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي . المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم حلبي .
٤٢. أبو خليل، شوقي(1982م) الإسلام في قفص الاتهام، الطبعة الخامسة . دمشق: دار الفكر.
٤٣. أبو زيد ، أحمد (2000م) الأبعاد التربوية للعبادة في الإسلام . الرباط : إيسيسكو.
٤٤. أحمد ، حافظ (2003م) التربية وقضايا المجتمع المعاصر . القاهرة : دار الكتب .
٤٥. أرسلان ، شكيب ( 1930م) لماذا تأخر المسلمون – ولماذا تقدم غيرهم . بيروت : مكتبة المنار .
٤٦. أسد ، محمد (1430هـ) الإسلام على مفترق طرق . ( صالح الحصين ، مترجم) ، الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة .

٤٧. الأشقر ، عمر سليمان (1428هـ) صحيح القصص النبوي، الطبعة 7 الأردن : دار النفائس
٤٨. الأغبري، عبد الصمد ( 2000م) الإدارة المدرسية البعد التخطيطي والتنظيمي المعاصر، بيروت: دار النهضة العربية.
٤٩. أمين ، أحمد ( 1997م) فجر الإسلام . القاهرة : الهيئة العامة المصرية للكتاب .
٥٠. الأهدل ، عبد الله قادري ( 1412هـ) المسؤولية في الإسلام ، الطبعة 3 . جدة : دار الأندلس الخضراء .
٥١. الأيوبي ، صلاح الدين (1984م) الإسلام والتمييز العنصري . بيروت : دار الأندلس .
٥٢. باجودة، حسن( 1978م ) تأملات في سورة الإسراء، القاهرة: دار الاعتصام .
٥٣. بتلهيم ، شارل( 1966م ) التخطيط والتنمية (إسماعيل صبرى عبد الله ، مترجم). القاهرة: دار المعارف.
٥٤. بدران ، شبل (1995م) التربية والنظام السياسي. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
٥٥. بركات ، حليم ( 1996م) المجتمع العربي المعاصر: بحث اجتماعي استطلاعي . ط5 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
٥٦. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، تقرير التنمية الإنسانية العربية 2002م، عمّان : أيقونات للخدمات المطبعية .
٥٧. بكار ، عبد الكريم (1420هـ) مدخل إلى التنمية المتكاملة : رؤية إسلامية ، دمشق : دار القلم .
٥٨. بكار ، عبد الكريم (1426هـ) تجديد الوعي . الطبعة الثانية . دمشق : دار القلم .
٥٩. البليهي، إبراهيم ( 1415هـ) بنية التخلف . كتاب الرياض ، العدد 16. الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية .
٦٠. البنا ، حسن ( 1984 م) مجموعة الرسائل . المكتبة التوفيقية : القاهرة.
٦١. بهاء الدين ، حسين كامل (1997م) التعليم والمستقبل . القاهرة : الأهرام .
٦٢. بو طالب ، محمد نجيب ( 2002م) سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي . بيروت : دراسات الوحدة العربية .
٦٣. البوطي ، محمد سعيد ( 1401هـ) من المسؤول عن تخلف المسلمين . دمشق: مكتبة الفارابي.

٦٤. بولدوين، مايرو ( د. ت) التنمية الاقتصادية، ج1. بيروت: مكتبة لبنان .

٦٥. التميمي ، عز الدين وسمرين ، بدر إسماعيل( 1985م) نظرات في التربية الإسلامية . عمان : دار البشير .

٦٦. التونسي ، محمد خليفة (1400هـ) الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون ، الطبعة 5 . القاهرة : دار الكتاب العربي .

٦٧. الجابري ، محمد عابد( 1995م) الروافد الفكرية العربية والإسلامية لمفهوم التنمية البشرية. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

٦٨. الجابري ، محمد عابد( 1990م) إشكالية الفكر العربي المعاصر . الطبعة 2. مركز دراسات الوحدة العربية : بيروت

٦٩. الجابري ، محمد عابد( 1994 م) نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر . الطبعة 2. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .

٧٠. الجريسي ، خالد عبد الرحمن ( 1427هـ) العصبية القبلية من منظور إسلامي . الرياض : ب . ن .

٧١. الجلال، عبد العزيز عبد الله (1985م ) تربية اليسر وتخلف التنمية. عالم المعرفة، العدد91. الكويت: المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب.

٧٢. جمال، احمد محمد( 1408هـ) من أجل الشباب ، الطبعة 3. الرياض: دار الرفاعي للنشر.

٧٣. الجوهري ، عبد الهادي وآخران( 1999م) دراسات في التنمية الاجتماعية. مدخل إسلامي. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

٧٤. الجوير، إبراهيم مبارك ( 2009 م)الأسرة و المجتمع : دراسات في علم الاجتماع العائلي، الرياض: دار عالم الكتب .

٧٥. الحامد ، محمد معجب وآخرون ( 1428هـ) التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات) ، الطبعة الثالثة . الرياض : مكتبة الرشد .

٧٦. حجازي، مصطفى ( 1986م ) التخلف الاجتماعي: سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت: معهد الإنماء العربي.

٧٧. حجازي، مصطفى ( 2005م ) التخلف الاجتماعي: سيكولوجية الإنسان المقهور. المغرب: المركز الثقافي العربي.

٧٨. الحر ، محمد عبد العزيز ( 2003م) التربية والتنمية والنهضة . الطبعة الثالثة . بيروت : شركة المطبوعات للنشر .

٧٩. الحربي ، فائز موسى ( 1427هـ) ظاهرة التأليف في القبائل والأنساب . الأسباب والضوابط . الرياض : دار البدراني للنشر والتوزيع .

٨٠. حسام الدين ، كريم زكي ( 2001م) الزمان الدلالي : دراسة لغوية لمفهوم الزمن في الثقافة العربية . القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية .

٨١. حسن، محمود شمال ( 2006م) المجتمع المنجز : دراسة لتهيئة المجتمع العربي للانجاز. القاهرة: دار الافاق العربية .

٨٢. حسنة ، عمر عبيد (1414هـ) رؤية في منهجية التغيير . بيروت: المكتب الإسلامي .

٨٣. حسنين،مصطفى محمد (1404هـ ) علم الاجتماع البدوي جدة : مكتبة عكاظ للنشر جدة.

٨٤. الحسيني ، السيد (1980م) التنمية والتخلف. القاهرة: مطابع سجل العرب.

٨٥. الحسيني ، السيد وآخرون (1984م) دراسات في التنمية الاجتماعية، الطبعة الثانية. القاهرة : دار المعارف.

٨٦. حلمي ، علي ( **1973م**) دور الشباب في التنمية الاجتماعية أو الاقتصادية . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية .

٨٧. حمودة ، مسعد الفاروق ( 1980م) التنمية الاجتماعية . الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث .

٨٨. الحميدي ، عبد الرحمن بن سعد وعبد الجواد ، نور الدين محمد (1422هـ) جهود المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في محو الأمية . د .ن .

٨٩. خاطر أحمد مصطفى ، محمود رشدي (1968م) دليل العمل في محو الأمية . سرس الليان : مركز تنمية المجتمع العربي .

٩٠. خاطر، احمد مصطفى ( 2002م) التنمية الاجتماعية : المفهومات الأساسية – نماذج الممارسة. الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث .

٩١. خشبة ، سامي ( 2004م ) مجتمع المعرفة : استكشاف أولي ونظرة نقدية، مستقبل الثورة الرقمية، العرب والتحدي القادم، كتاب العربي، العدد 55. الكويت : مجلة العربي.

٩٢. خليل ، حامد (1993م) أزمة العقل العربي . دمشق : دار كنعان للدراسات والنشر .

٩٣. خليل ، عثمان سيد أحمد محمد ( 1422هـ) الشباب وأوقات الفراغ : دور التربية ووسائل الإعلام من المنظورين الإسلامي والوضعي . الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

٩٤. الخوري ، فؤاد اسحق( 1993م) الذهنية العربية : العنف سيد الأحكام . بيروت : دار الساقي .

٩٥. الخولي ، عبد البديع عبد العزيز( 1992م) التربية الإسلامية. القاهرة : مطبعة المصحف الشريف.

٩٦. الدراجي ، بوزياني ( 2003م) العصبية القبلية : ظاهرة تاريخية واجتماعية ( على ضوء الفكر الخلدوني) الجزائر : دار الكتاب العربي .

٩٧. الدوليبي ، محمد معروف( 1993م ) موقف الإسلام من العلم وأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية . الرياض : دار الشواف .

٩٨. دويري ، مروان (1997م) الشخصية : الثقافة والمجتمع العربي . الناصرة .

٩٩. الدويهيس ، عيد بطاح ( 1419هـ) لا للتعصب العرقي . الكويت : دار البلاغ .

١٠٠. الرشدان ، عبد الله زاهي ( 2005م) في اقتصاديات التعليم . الأردن : دار وائل للنشر والتوزيع.

١٠١. الرميحي ، محمد غانم ( 1977م) معوقات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بلدان الخليج العربي . الكويت: كاظمة للنشر .

١٠٢. رودني ، والتر( 1988م) أوروبا والتخلف في أفريقيا. (احمد القصير ، مترجم)عالم المعرفة، العدد 132. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٠٣. زايد ، أميرة عبد السلام (2010م) دور التربية في تفعيل وصناعة الوعي ،القاهرة : العلم والإيمان للنشر والتوزيع .

١٠٤. زريق ، قسطنطين ( 1998م) ما العمل ؟ حديث إلى الأجيال العربية الطالعة ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .

١٠٥. زقزوق ، محمود حمدي(2002م) الإسلام وقضايا الحوار. القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١٠٦. زكريا ، فؤاد ( 1975م) آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٠٧. زيعور ، علي ( 1987م) التحليل النفسي للذات العربية ، بيروت ‘ دار الطليعة للطباعة والنشر .
١٠٨. ساعاتي ، يحي جنيد (1988م) كيف ورثنا الأمية ؟أساس الحضارة وعوامل السقوط . جدة : دار العلوم للطباعة والنشر.
١٠٩. سبع ، توفيق محمد( 1984م) قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم صنعه القرآن . القاهرة : دار المنار .
١١٠. السحيباني ، حمد صالح ( 1423هـ) الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم . الرياض : مجلة البيان .
١١١. سرحان ، منير المرسي ( 2003م) في اجتماعيات التربية ، الطبعة الرابعة ،بيروت : دار النهضة العربية .
١١٢. السعد ، نورة ( 1997م) التغيير الاجتماعي في مالك بن نبي : دراسة في بناء النظرية الاجتماعية . الدمام: الدار السعودية للنشر والتوزيع.
١١٣. سعيد ، جودت ( 1408 هـ ) اقرأ وربك الأكرم . دمشق : ب . ن .
١١٤. سعيد ، جودت (1404هـ) العمل قدرة وإرادة . الطبعة الثانية ، دمشق : مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري .
١١٥. سعيد ، جودت (1404هـ) فقدان التوازن الاجتماعي . الطبعة الثالثة . دمشق : مطبعة زيد بن ثابت .
١١٦. سعيد ، جودت ( 1415هـ) حتى يغيروا ما بأنفسهم . الطبعة السابعة .بيروت : دار الفكر المعاصر .
١١٧. سعيد ، جودت( 1404 هـ ) حتى يغيروا ما بأنفسهم .الطبعة السادسة . دمشق :مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري
١١٨. سعيد ، صبحي عبده(1994م) الإسلام وحقوق الإنسان. القاهرة : دار النهضة العربية.
١١٩. سفر ، محمود محمد ( 1989م) دراسة في البناء الحضاري : محنة المسلم مع حضارة عصره، كتاب الأمة، العدد 21. قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية.
١٢٠. سفر ، محمود محمد ( 1404هـ) إنتاجية مجتمع . جدة : مكتبة تهامة .

١٢١. سفر ، محمود محمد ( 1400هـ) الحضارة تحدٍ ، الكتاب العربي السعودي 24. جدة : مكتبة تهامة .
١٢٢. سفر ، محمود محمد ( 1410هـ) ثقب في جدار التخلف . الرياض : دار الصافي للثقافة والنشر .
١٢٣. سفر ، محمود محمد (1426هـ) الإصلاح رهان حضاري : التغيير ، كيف وأين ؟ . بيروت : دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع .
١٢٤. سلامة ، غسان وآخرون ( 1989 م) الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
١٢٥. سلامة ، غسان ( 1987م) المجتمع والدولة في المشرق العربي . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
١٢٦. سلامة، إبراهيم ( 1373هـ) خلق ودين (دراسات اجتماعية أخلاقية). مصر : شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
١٢٧. السمالوطي ، نبيل( 1408هـ ) بناء المجتمع الإسلامي ونظمه : دراسة في علم الاجتماع الإسلامي ، الطبعة الثانية ، جدة : دار الشروق .
١٢٨. سيف ، محمود محمد (1994م) أسس البحث الجغرافي ، دار المعرفة الجامعية : الإسكندرية .
١٢٩. السيف، محمد بن إبراهيم( 1418هـ ) المدخل إلى دراسة المجتمع العربي السعودي. الطبعة الثانية ، الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع.
١٣٠. شاكر ، محمود ( 1988م ) التخلف. بيروت: المكتب الإسلامي.
١٣١. شامة ، محمد عبد الغني ( 1997م) التخلف في العالم الإسلامي بين الداء والدواء، سلسلة قضايا إسلامية. ع29، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
١٣٢. شرابي ، هشام ( 1991م) مقدمات لدراسة المجتمع العربي . الطبعة الرابعة. بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر .
١٣٣. شرابي ، هشام ( 1993 م) النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي . الطبعة الثانية ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .

١٣٤. شفيق ، محمد ( 1998م) السكان والتنمية، القضايا والمشكلات. الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث .
١٣٥. شفيق ، محمد ( 1994م ) التنمية الاجتماعية: دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع . الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
١٣٦. شفيق ، محمد ( 2006م) التنمية الاجتماعية : دراسات في قضايا المجتمع . الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث .
١٣٧. شوقي ، جلال ( 1414هـ) أدوات التنمية في ظل التحدي الالكتروني ، الإنسان ومستقبل الحضارة : وجهة نظر إسلامية ، كتاب المؤتمر العام التاسع عمّان : 23–25 من المحرم 1414هـ .
١٣٨. الشيباني ، عمر محمد ( 1985م) التربية وتنمية المجتمع العربي . ليبيا : الدار العربية للكتاب.
١٣٩. الشيباني، عمر محمد( 1983م) فلسفة التربية الإسلامية. طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع.
١٤٠. صادق ، محمد توفيق ( 1986م) التنمية في دول مجلس التعاون : دروس السبعينات وآفاق المستقبل . الكويت: عالم المعرفة.
١٤١. الصاوي ، محمد وجيه ( 1997م ) في الثقافة والمجتمع: أفكار ناقدة من زاوية تربوية، ج 1. القاهرة : دار الكتب .
١٤٢. الصاوي ، محمد وجيه (2005م) التعليم في الوطن العربي. القاهرة : المطبعة الحديثة.
١٤٣. طنيب، محمد وآخرون( 1994م) أبعاد التنمية في الوطن العربي. عمان : دار المستقبل .
١٤٤. العاني ، أسامة (2002م) المنظور الإسلامي للتنمية البشرية . العدد 70. أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية .
١٤٥. العبادي ، عبد الله حسن ( 1415هـ) أفكار في التنمية . كتاب الرياض . الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية .
١٤٦. العبد ، صلاح وآخرون (1998م) علم الاجتماع التطبيقي. القاهرة: النهضة المصرية.
١٤٧. عبد الحميد ، محسن (1409هـ) الإسلام والتنمية الاجتماعية ، دارة المنارة : جدة .

١٤٨. عبد الدايم ، عبد الله ( 1991م ) نحو فلسفة عربيه تربويه : الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
١٤٩. عبد الرحمن ، أسامة ( 2003م) تنمية التخلف وإدارة التنمية : إدارة التنمية في الوطن العربي والنظام العالمي الجديد . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
١٥٠. عبد الرحمن ، أسامة ( 2000م) الإسلام والتنمية . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
١٥١. عبد الرحمن ، عواطف ( 1984م) قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث. عالم المعرفة، العدد 78. الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
١٥٢. عبد العال، حسن ( 2000م) في مناهج البحث التربوي. طنطا: التركي للطباعة .
١٥٣. عبد الغني ، النوري ( 1986م) التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. قطر: دار قطري بن الفجاءة .
١٥٤. عبده ، محمد( 1996م) الإسلام بين العلم والمدنية، ج 2. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٥٥. عبود ، عبد الغني ( 1418هـ) في التربية المستمرة ومحو الأمية وتعليم الكبار . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
١٥٦. عثمان ، عبد الكريم (1420هـ) معالم الثقافة الإسلامية . مؤسسة الرسالة : بيروت .
١٥٧. العساف ، صالح بن حمد( 1416هـ) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية . الطبعة الثانية . الرياض : مكتبة العبيكان .
١٥٨. عطية ، جورج (2003م) الكتاب في العالم الإسلامي(عبد الستار الحلوجي ، مترجم ) سلسلة عالم المعرفة، العدد 297. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
١٥٩. العظم ، صادق جلال ( 1997م). ذهنية التحريم .الطبعة الثالثة ، قبرص : مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية .
١٦٠. العقل، ناصر عبد الكريم(1414هـ) التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية . الطبعة 2 ، الرياض : دار المسلم .
١٦١. العلي ، دردة احمد ( 1423هـ ) هجرة العقول العربية : أسبابها وسبل معالجتها . المنارة : بيروت .

١٦٢. علي ، سعيد إسماعيل (1999م) رؤية سياسية للتعليم. القاهرة، عالم الكتب.

١٦٣. علي ، سعيد إسماعيل ( 1987م) الفكر التربوي العربي الحديث . عالم المعرفة، العدد 113. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٦٤. علي ، سعيد إسماعيل (1997م) الأصول السياسية للتربية. القاهرة : عالم الكتب.

١٦٥. علي ، سعيد إسماعيل (1999م) دفتر أحوال التعليم. القاهرة : عالم الكتب.

١٦٦. على ، نبيل و حجازي ، نادية (2005م) الفجوة الرقمية : رؤية عربية لمجتمع المعرفة. عالم المعرفة، العدد 318، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٦٧. علي، نبيل( 1994م) العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، ع 184. الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

١٦٨. علي، سعيد إسماعيل(1982م) ديمقراطية التربية الإسلامية. القاهرة : عالم الكتب .

١٦٩. عمار ، حامد ( 1992م) في بناء الإنسان العربي. الكويت : دار سعاد الصباح.

١٧٠. عمارة ، محمد (1997م) الغرب والإسلام. القاهرة : نهضة مصر.

١٧١. عمر ، معن خليل ( 1998م) علم المشكلات الاجتماعية . عمان : دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع .

١٧٢. عمر ، معن خليل( 1997م) نظريات معاصرة في علم الاجتماع . عمان : دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع .

١٧٣. العوضي ، رفعت ( 2004م ) الدليل الإحصائي للعالم الإسلامي، مؤشرات مقارنة. القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر.

١٧٤. العيسوي ، إبراهيم (2001م) التنمية في عالم متغير : دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها . الطبعة الثانية . القاهرة: دار الشروق .

١٧٥. العيل طيري ، عثمان بن الشيخ عمر ( 1428هـ) المنح الوهبية في ذم القبلية والعصبية. الطبعة الثانية . ب . ن .

١٧٦. غبان ، محروس (1994م) التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية ودور التربية الإسلامية في تحقيقها . المدينة المنورة : مكتبة دار الإيمان .

١٧٧. الغذامي ، عبد الله ( 2009م) القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة. الطبعة الثانية . بيروت : المركز الثقافي العربي .

١٧٨. الغزالي ، محمد (د. ت): كيف نفهم الإسلام؟ القاهرة : دار الكتب الحديثة .
١٧٩. الغزالي ، محمد ( 2005م) سر تأخر العرب والمسلمين . الطبعة السابعة . القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٨٠. الغزالي ، محمد (2000م) كيف نتعامل مع القرآن . دمشق : دار القلم .
١٨١. غليون ، برهان ( 1987م) اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية. الطبعة الثانية. بيروت: دار التنوير.
١٨٢. فاروق ، عبد الخالق (1991)مصر وعصر المعلومات، محاذير حول احتواء العقل المصري. القاهرة : الدار العربية للطباعة والنشر.
١٨٣. الفاروقي ، إسماعيل راجي ( 1984م) أسلمة المعرفة، المبادئ العامة وخطة العمل. الكويت: دار البحوث .
١٨٤. فروخ ، عمر ( 1984م) تاريخ الأدب العربي . بيروت : دار العلم للملايين.
١٨٥. الفيومي ، محمد إبراهيم (1993م) الاستشراق رسالة استعمار : تطور الصراع الغربي مع الإسلام. القاهرة : دار الفكر العربي.
١٨٦. قباني ، عبد العزيز ( 1997م) العصبية بنية المجتمع العربي . بيروت : دار الآفاق الجديدة .
١٨٧. القرضاوي ، يوسف ( 1997م) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي. ط 2. القاهرة : مكتبة وهبة.
١٨٨. القرضاوي ، يوسف ( 1993م) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا؟ الطبعة الثانية. القاهرة : مكتبة وهبة.
١٨٩. القرضاوي ، يوسف ( 1994م) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. القاهرة : مكتبة وهبة .
١٩٠. القرضاوي ، يوسف( 2001م ) مدخل لمعرفة الإسلام، مقوماته، خصائصه، أهدافه، مصادره. بيروت : مؤسسة الرسالة .
١٩١. القرضاوي، يوسف(1998م) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده. القاهرة : دار الشروق .
١٩٢. القريشي ، علي حسن ( 1989م) التغيير الاجتماعي عند مالك ابن نبي : منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر . القاهرة : دار الزهراء للعلام العربي .

١٩٣. القريشي ، علي حسن (2003م) الغرب ودراسة الآخر :إفريقيا نموذجا . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٩٤. قطب ، سيد (1993م) هذا الدين، الطبعة 16. القاهرة : دار الشروق .
١٩٥. قطب ، سيد( 1982م) معالم في الطريق. بيروت : دار الشروق .
١٩٦. قطب سيد ( 1982م) السلام العالمي في الإسلام، الطبعة 5. القاهرة : مكتبة وهبة .
١٩٧. قطب، سيد( 1985م ) العدالة الاجتماعية في الإسلام، الطبعة 7. القاهرة : مكتبة وهبة
١٩٨. قمر ، عصام توفيق ومبروك ، سحر فتحي و عزب ، محسن عبد الستار . ( 2008م) مدخل إلى دراسة المجتمع العربي . عمّان: دار الفكر .
١٩٩. كرم ، أنطونيوس(1982م) العرب أمام تحديات التكنولوجيا، عالم المعرفة، ع 59. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
٢٠٠. الكواري ، علي خليفة ( 1985م) نحو إستراتيجية بديلة للتنمية الشاملة. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
٢٠١. الكواكبي ، عبد الرحمن ( ب . ت ) طبائع الاستبداد ومصارع العباد . القاهرة : مطبعة الأمة .
٢٠٢. الكيلاني ، فاروق (1982م) شريعة العشائر في الوطن العربي . بيروت: دار العلم للملايين .
٢٠٣. الكيلاني ، ماجد عرسان ( 1427هـ) التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر . بيروت : مؤسسة الريان.
٢٠٤. الكيلاني ، ماجد عرسان (1430هـ) هكذا ظهر صلاح الدين، وهكذا عادت القدس . الطبعة 2 . دار القلم : دبي.
٢٠٥. الكيلاني ، ماجد عرسان(1998م) أهداف التربية الإسلامية. بيروت : مؤسسة الريان.
٢٠٦. الكيلاني، ماجد عرسان (2005م) مناهج التربية الإسلامية. دبي : دار القلم
٢٠٧. لاندو ، روم (1977م) الإسلام والعرب ( منير البعلبكى ، مترجم) الطبعة 2. بيروت : دار العلم للملايين.
٢٠٨. مؤسسة الفكر العربي (2009م) التقرير العربي للتنمية الثقافية . بيروت : د ن
٢٠٩. مؤسسة الفكر العربي (2010م) التقرير العربي للتنمية الثقافية . بيروت : د ن

٢١٠. مؤنس ، حسين (1998م) الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الطبعة الثانية ، العدد 237. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٢١١. محمد ، محمد علي (1981م) وقت الفراغ في المجتمع الحديث : مبحث في علم الاجتماع . الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية .

٢١٢. محمود ، زكي نجيب (1987م) في تحديث الثقافة العربية. بيروت : دار الشروق.

٢١٣. محمود ، زكي نجيب( 1982م ) تجديد الفكر العربي. الطبعة 7. القاهرة: دار الشروق.

٢١٤. محمود ، عبد الحليم (1993م) أوروبا والإسلام، الطبعة 4. القاهرة، دار المعارف .

٢١٥. محمود ، علي عبد الحليم 01995م) التربية الروحية . القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢١٦. مرسي ، محمد منير(2000م) التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية. القاهرة : عالم الكتب .

٢١٧. مسعود ، عبد المجيد( 1419هـ ) القيم الإسلامية والمجتمع المعاصر . كتاب الأمة ، الدوحة: دار الكتب القطرية .

٢١٨. المشهداني ، هاشم محمد ( 2002م ) العصبية **في** ضوء الإسلام . الدوحة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع .

٢١٩. المطوع ، جاسم محمد بدر ( 1408هـ) الوقت عمار أم دمار . الطبعة الثالثة ، الكويت : دار الدعوة.

٢٢٠. النجار ، حسين فوزي (1985م) الإسلام والسياسة. القاهرة : دار المعارف .

٢٢١. النجار ، زغلول راغب ( 1988م) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، كتاب الأمة، العدد 20. قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية.

٢٢٢. النجار ، زغلول راغب ( 1989م) أزمة التعليم وحلولها الإسلامية. القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٢٣. نجم الدين ، علي ( 2005م) ظواهر الفوضى والعنف وإشكالية التخلف في المجتمع الفلسطيني ومجتمعات المشرق العربي : دراسة حالة فينومينولوجية ونفس اجتماع . القدس : د.ن.

٢٢٤. النحلاوي ، عبد الرحمن (1425هـ) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، الطبعة 3 . دمشق ك دار القلم .
٢٢٥. النقيب ، عبد الرحمن (1997م) التربية الإسلامية المعاصرة في مواجهة النظام العالمي الجديد. القاهرة : دار الفكر العربي .
٢٢٦. النوري ، عبد الغني (1988م) اتجاهات جديدة في اقتصاديات التعليم في البلاد العربية . الدوحة : دار الثقافة .
٢٢٧. هلال ، عصام الدين هلال ( 2003م) التربية والطريق الثالث : دراسة في الفكر التربوي والمنهج الجدلي الواقعي ، القاهرة : دار فرحة للنشر والتوزيع
٢٢٨. الهنداوي ، حسن إبراهيم( 2004م) التعليم وإشكالية التنمية، كتاب الأمة، العدد 98. قطر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .
٢٢٩. هونكة ، زغريد (1969م) شمس العرب تسطع على الغرب ( فاروق بيضون وكمال دسوقي ، مترجم) بيروت: منشورات المكتب التجاري .
٢٣٠. وزارة الإعلام (ب. ت) المملكة العربية السعودية : تاريخ وحضارة وتنمية – 60 عاما من الإنجازات . الرياض : الإعلام الخارجي .
٢٣١. وزارة التخطيط (2010م) خطة التنمية التاسعة من 1431/32 – 35/ 1436هـ . الرياض : د . ن.
٢٣٢. وزارة المعارف (1414هـ) أربعون عاماً من عمر التعليم في وزارة المعارف (1371–1413هـ) سمات وملامح. الرياض: مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي.
٢٣٣. ياسين ، السيد ( 2000م )إستراتيجية الرؤية الثقافية للشخصية العربية : دور الثقافة في تحقيق الوفاق العربي. القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
٢٣٤. يالجن ، مقداد ( 1409هـ ) أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ، ط 2 ، الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع.
٢٣٥. يالجن، مقداد ( 1403هـ) دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية . بيروت : دار الشروق .
٢٣٦. اليونسكو ، (1999م) ذلك الكنز المدفون . القاهرة : مركز مطبوعات اليونسكو .

**ثالثاً : المجلات العلمية والدوريات .**

٢٣٧. أبو العينين ، علي خليل ( 1987م) التربية الإسلامية والتنمية ، الرياض : مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد 22 . 1987م.
٢٣٨. الألكسو ، دراسة تحليلية عن التطور الثقافي في الوطن العربي 2007-2008م ، الحولية العربية للثقافة . تونس . 2010م .
٢٣٩. بابا عمى ، محمد (2006م) الإنسان محور التنمية في المنهج القرآني . مكة : مجلة حراء . العدد الرابع . يوليو – سبتمبر 2006م.
٢٤٠. البليهي ، إبراهيم ( 1425هـ) سلطة العوام أحد منابع الجهل والظلم والتخلف . الرياض : صحيفة الرياض، العدد 13334. 1425/11/14هـ .
٢٤١. البليهي ، إبراهيم (1428هـ) التعصب يخنق العلم ويُنمي الجهل .الرياض : صحيفة الرياض ، العدد 14342. 1428/9/18هـ .
٢٤٢. الخولي ، عبد البديع عبد العزيز( 1992م) العلم في الإسلام، جامعة الأزهر : مجلة كلية التربية، العدد 23 .
٢٤٣. الخولي ، عبد البديع عبد العزيز( 1992م) معالم التربية الجهادية، القاهرة : دراسات تربوية، العدد 7، ج43 .
٢٤٤. الدعيس ، محمد ناجي ( 2011م) عصف وطني : الأمية المجتمعية . اليمن: صحيفة 26سبتمبر . العدد 1371 . 12 أكتوبر-تشرين الأول 2011 .
٢٤٥. الرميحي ، محمد (1998م) . متى تنتهي حيرتنا العقلية وتبدأ معجزتنا الاقتصادية ؟ . الكويت : مجلة العربي . رقم العدد 470 ، كانون الثاني 1998.
٢٤٦. سلطان ، حسام قاسم ( 2009م ) مركز دراسات التخلف . اليمن : صحيفة الأيام . العدد 5611 . 2009/1/18م .
٢٤٧. شبرا ، محمد عمر( 1978) النظام الاقتصادي في الإسلام، دور الدولة، القاهرة : مجلة المسلم المعاصر، العدد 16.
٢٤٨. الصباغ ، زهير( 1982م ) البيئة الخارجية للقارات الإدارية في الدول العربية . مسقط : الإداري ، معهد الإدارة العامة . العدد 10.
٢٤٩. عبد الله و عودة ( 1425هـ) قيمة الزمن في القرآن الكريم ، الرياض : مجلة البحوث الإسلامية . العدد الرابع والسبعون . ذو القعدة إلى صفر 1425هـ-1426هـ .

٢٥٠. عبد المجيد ، ليلى ( 1994م) السياسات الاتصالية والإعلامية وأثرها في الثقافة والتربية، الكويت : مجلة عالم الفكر، العدد الأول، سبتمبر. 1994م .
٢٥١. عفيفي ، محمد الصادق( 1987م) المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان، مكة : رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق، العدد 62، السنة السادسة.
٢٥٢. عكاظ . مواجهة الجريمة بتكريس الردع الاجتماعي ومحو ثقافة الثأر . جدة : صحيفة عكاظ . 1432/4/4هـ . العدد : 3552)
٢٥٣. عمارة ، محمد ( 1418هـ) أسباب التخلف وسبل النهوض . الرياض : مجلة المعرفة ، العدد 33 . ذو الحجة 1418هـ .
٢٥٤. عمارة ، محمد(2006م) روح الحضارة الإسلامية . مكة : مجلة حراء . العدد الرابع. يوليو ، سبتمبر 2006م.
٢٥٥. غنايم، محمد (1405هـ) منهج الإسلام في العناية بالزمن ، مجلة الجندي المسلم، السنة الثانية عشرة، العدد الثامن والثلاثون، ذو الحجة 1405هـ .
٢٥٦. لطفي ، عنتر ( 1996م): ملامح التغير في منظومة إعداد المعلم في ضوء التحديات المستقبلية ، مجلة كلية التربية: جامعة الأزهر، العدد السادس والخمسين .
٢٥٧. محفوظ ، محمد ( 1432هـ) في معنى التغيير الذاتي . صحيفة الرياض . رقم العدد15836 ، 1432/12/6هـ.
٢٥٨. محفوظ ، محمد ( 1427هـ) في معنى التخلف الثقافي . صحيفة الرياض . رقم العدد 14036، 1427/11/7هـ
٢٥٩. مدكور ، علي أحمد ( 1987م) البحث عن هوية تربوية، دراسات تربوية، م 2، ج7. القاهرة، رابطة التربية الحديثة .
٢٦٠. مرسي ، محمود أحمد (1983م) التسرب في تعليم الكبار . البحرين : المظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . العدد السادس . 1983م.
٢٦١. المنجرة ، المهدي . حوار التواصل . سلسلة شراع، العدد الأول، مايو 1997 م .
٢٦٢. منصور. ، عبد المجيد سيد احمد ( 1991م) توجيه وإرشاد الشباب المسلم ، سلسلة دعوة الحق. ، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي . العدد 107 .

٢٦٣. هاشم ، أحمد عمر ( 2004م) المساواة حق من حقوق الإنسان، القاهرة : مجلة الأزهر، ج3، السنة 77.
٢٦٤. هلال ، نبيل ( 2010م) دور النظام التعليمي في تخلف الأمة الإسلامية ، اليمن : جريدة الوحدة ، العدد . 30 أبريل 2010م.
٢٦٥. وطفة ، علي أسعد (**2004م**) التربية العربية وإشكالية الحداثة . جريدة الأسبوع الأدبي . العدد 906 . 2004/5/8
٢٦٦. يونس ، محمد محمد (2004م) أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر . مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها . ج 17. رقم العدد 29 . صفر 1425هـ .

**رابعاً** : **الرسائل العلمية** :

٢٦٧. أبو السعود ، رضا سميح ( 2003م) الجهود التربوية لجامعة الدول العربية في ضوء أهداف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دراسة تقويمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية : جامعة الأزهر .
٢٦٨. بسيوني ، فؤاد (1981م ) التخطيط للتربية في ظل السلام . رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية: جامعة طنطا.
٢٦٩. بوسلهام ، العربي ( 1988م) إشكالية التقدم والتخلف الحضاري، دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس : الرباط.
٢٧٠. الثبيتي ، جرادان ( 1413هـ) التربية الإسلامية وتقدير قيمة الوقت . رسالة ماجستير . كلية التربية : جامعة أم القرى .
٢٧١. الجهني ، عبد الرحمن (1430هـ) منهج التربية الإسلامية في بناء كفاءة الأداء وأثره في عملية التنمية ، رسالة دكتوراه . كلية الدعوة وأصول الدين : الجامعة الإسلامية بالمدينة .
٢٧٢. حمد ، إسعاف (1996م) وسائل الاتصال الجماهيري ودورها في عملية التنمية الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب : جامعة دمشق .
٢٧٣. خليل ، رضا حمدي ( 2001م) الجهود الأهلية في الحملة القومية لمحو الأمية، 1992م – 2001م ، رسالة ماجستير ، كلية التربية: جامعة الأزهر.

٢٧٤. خوج ، فخرية (1423هـ) مدى فاعلية البرامج الدينية بالقنوات التلفزيونية الفضائية بدول مجلس التعاون الخليجي في تحقيق أهداف التربية الإسلامية. رسالة دكتوراه ، كلية التربية : جامعة أم القرى .

٢٧٥. دنيا ، شوقي ( 1982م) تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة: جامعة الأزهر.

٢٧٦. الشلوي ، فهد ناجي ( 1428هـ) دور التربية الإسلامية في مواجهة الأزمات من خلال السيرة النبوية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة أم القرى .

٢٧٧. الصحفي ، كامل (1427هـ) عوامل استثمار الوقت المدرسي ودرجة توفرها بمدارس التعليم العام للبنين التابعة لإدارة تعليم المهد من وجهة نظر مديري المدارس . رسالة ماجستير ، كلية التربية : جامعة أم القرى .

٢٧٨. العجلاني ، يوسف ( 1427هـ) التنمية الاجتماعية من منظور التربية الإسلامية . رسالة دكتوراه، كلية التربية ، جامعة أم القرى .

٢٧٩. عجمي ، كمال عبد النبي ( 1426هـ) دور المؤسسات التربوية في مواجهة بعض مظاهر التخلف من منظور التربية الإسلامية. دراسة دكتوراه، كلية التربية : جامعة الأزهر.

٢٨٠. مطاوع، وسامة مصطفى ( 1981م) دور كليات البنات في تدعيم بعض القيم الاجتماعية والدينية لدى طالباتها، رسالة ماجستير ، كلية التربية : جامعة عين شمس .

٢٨١. معوض ، جلال عبد الله (1982م) ظاهرة التخلف، حول التعريف بعلاقة المتغير الاقتصادي بالتطور السياسي. رسالة ماجستير. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

٢٨٢. النعماني ، هناء عبد الحميد ( 1417هـ) تأثير الأطر الثقافية الاجتماعية على الخطة الإستراتيجية لمنظمات الأعمال دراسة تحليلية لظاهرة القبلية كأحد أبعاد الإطار الثقافي– الاجتماعي للمنظمات السعودية . رسالة ماجستير ، كلية الاقتصاد والإدارة : جامعة الملك عبد العزيز.

**خامساً : الندوات والمؤتمرات :**

٢٨٣. بدران ، إبراهيم( 2000م) حالة العالم الإسلامي وجدوى وضع سياسة متكاملة للتنمية التكنولوجية، الإسلام ومتغيرات العصر، المؤتمر العام الثاني عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢٨٤. التميمي ، عبد الجليل (2001م) موقع العالم الإسلامي من العالم المتقدم في مجال تكنولوجيا المعلومات: الإسلام ومتغيرات العصر، المؤتمر العام الثاني عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢٨٥. الجوزو محمد على( 2001م) القيم الدافعة من منظ ور إسلامي للتقدم العلمي والتكنولوجي، الإسلام ومتغيرات العصر، المؤتمر العام الثاني عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٢٨٦. حمدة ، عبد المجيد ( 2000م) مكانة العمل في الإسلام، نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي، المؤتمر العام الحادي عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٢٨٧. الحولي ، عليان عبد الله: الأنظمة التربوية في العالم الإسلامي، الواقع والتحديات والدور المطلوب، ندوة التحديات التربوية التي تواجه العالم الإسلامي في القرن المقبل . القاهرة : رابطة الجامعات الإسلامية، من10 . 1998/2/13م.

٢٨٨. الخطاب الثقافي السعودي الثالث حول القبلية والمناطقية والتصنيفات الفكرية وأثرها على الوحدة الوطنية الذي نظمه مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني . 22-1432/1/23هـ

٢٨٩. دنيا ، شوقي أحمد( 1997م) الأمن والتنمية، علاقة تبادلية، الأمن والتنمية الاقتصادية، سلسلة المنتدى الاقتصادي، اللقاء الأول. القاهرة : مركز صالح عبد الله .

٢٩٠. سفر محمود محمد ( 1986م) التحدي الحضاري وكيف نواجهه؟ أبحاث اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي. الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٢٩١. عبود ، عبد الغني( 2002م) الانتماء للمجتمع في الإسلام على المستوى المحلي والأمة والبشرية، ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام. القاهرة : مركز صالح عبد الله ومركز الدراسات المعرفية .

٢٩٢. فراج، عثمان،( 1417هـ) الثقافة ودورها في التنمية مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ، الدورة العاشرة، تونس : 18-19 شوال 1417هـ .

٢٩٣. الكاشف ، علي عمر (2007م) فلسفة التنمية الشاملة والتربية : رؤية سوسيوتربوية . المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية جامعة الأزهر بالاشتراك مع مركز الدراسات المعرفية المنعقد في الفترة من 18-19 فبراير 2007م.

٢٩٤. مصطفى ، عبد السلام ( 2006م ) تطوير مناهج التعليم لتلبية متطلبات التنمية ومواجهة العولمة . كلية التربية النوعية ، جامعة المنصورة : مصر . مؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة . من 12-13 أبريل 2006 .

**سادساً : المواقع الإلكترونية وصفحات الإنترنت :**


٢٩٥. الإدريسي ، محمد العربي(2010م) منهج عرض السنن الاجتماعية من خلال القرآن الكريم ، مجلة العلوم الاجتماعية.www.swmsa.net .استرجعت بتاريخ 1433/2/30هـ

٢٩٦. تيشوري ، عبد الرحمن ( 2005م) دراسة مقارنة لأهم مشكلات التربية في الوطن العربي . www.ahewar.org ، استرجعت بتاريخ 1433/1/13هـ .

٢٩٧. الرديعان ، خالد بن عمر ( 2008م) معضلة قبيلي – خضيري : هل نحن مجتمع إثني ؟ مركز اسبار للدراسات والبحوث والأعلام . www.asbar.com.استرجعت بتاريخ 1433/1/7هـ .

٢٩٨. فياض ، محمود ( 2007م) القومية الإسلامية . مركز دراسات العصبية القبلية www.asabia.comاسترجعت بتاريخ 1433/1/4هـ .

٢٩٩. المطيري ، حاكم ( 2003م) في تغيير المجتمعات الإنسانية . www.dr-hakem.com ، استرجعت بتاريخ 1433/1/1هـ

## قائمة محتويات الدراسة


| الموضــــــــــــــــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| البسملة......................................................................... | ب |
| آية قرآنية.. ........................................................................... | ج |
| ملخص الدراسة باللغة العربية ........................................................ | د |
| ملخص الدراسة باللغة الانجليزية .. ................................................... | هـ |
| الإهداء ........................................................................... | و |
| الشكر والتقدير ............................................................................ | ز |
| قائمة محتويات الدراسة ........................................................................ | ح |
| **الفصل الأول** | |
| **مدخل إلى الدراسة** | |
| مقدمة. ........................................................................... | 1 |
| مشكلة الدراسة : ........................................................................ | 3 |
| أسئلة الدراسة: . ........................................................................... | 4 |
| أهداف الدراسة : .................................................................................. | 4 |
| أهمية الدراسة :.................................................................................... | 4 |
| حدود الدراسة ...................................................................................... | 5 |
| مصطلحات الدراسة.................................................................... | 5 |
| منهج الدراسة:........................................................................................ | 7 |
| الدراسات السابقة :..................................................................................... | 8 |
| التعليق على الدراسات السابقة: ............................................................. | 11 |

| الموضـــــــــــــــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| **الفصل الثاني** **مفهوم التخلف الاجتماعي** | |
| **المبحث الأول** : تعريف التخلف الاجتماعي لغةً و اصطلاحاً: ..................................... | 14 |
| **المبحث الثاني**: التخلف الاجتماعي من المنظور الإسلامي :. ................. | 16 |
| **أولاً** : مواجهة القرآن الكريم للتخلف الاجتماعي : ....................................... | 16 |
| **ثانياً** :علاج التخلف الاجتماعي في القرآن الكريم : ......................................... | 19 |
| **المبحث الثالث : التخلف الاجتماعي (الملامح ، المؤشرات):** ............................... | 20 |
| **أولاً** :ملامح التخلف الاجتماعي :.............................................................. | 20 |
| **ثانياً**:مؤشرات التخلف الاجتماعي :............................................................ | 25 |
| **المبحث الرابع : خصائص التخلف الاجتماعي :** .............................................. | 30 |
| **أولاً** :دوران الأفكار في فلك الأشخاص وتقديس الأشخاص..................................... | 30 |
| **ثانياً**:الغياب الاجتماعي ................................................................ | 33 |
| **ثالثاً**: فقدان القيم الأخلاقية....................................................... | 34 |
| **رابعاً**: انعدام المحيط الثقافي.. ...................................................... | 35 |
| **خامساً** :التنافر بين السلوك والأفكار..... ...................................................... | 36 |
| **المبحث الخامس : العلاقة بين التخلف الاجتماعي وأنماط التخلف الأخرى:** ... | 37 |
| **أولا**:العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتخلف الاقتصادي : .................. | 38 |
| **ثانياً**:العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتبعية الاجتماعية : ............................................ | 40 |
| **ثالثاً**:العلاقة بين التخلف الاجتماعي والتخلف السياسي : . ............................ | 44 |

| الصفحة | الموضـــــــــــــــــــــــــــوع |
| --- | --- |
| 49 | **رابعاً**:العلاقة بين التخلف الاجتماعي والسنن الاجتماعية الكونية.: .................... |
| | **الفصل الثالث** **أسباب التخلف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية** |
| 56 | **المبحث الأول : أسباب خارجية :** ......................................................... |
| 56 | أ : العوامل الجغرافية ( المكانية) : ............................................................ |
| 59 | ب : الاستعمار البشري والفكري :. . ..................................................... |
| 62 | ج: التبعية للآخرين :......................................................................... |
| 64 | د: نوع الجنس واللون :...................................................................... |
| 66 | **المبحث الثاني : أسباب داخلية :** . ................................................. |
| 67 | أ : غياب الروح الإسلامية :. ......................................................... |
| 71 | ب : النظام التربوي والتعليمي :. ........................................................ |
| 75 | ج: جمود الفكر العربي ومرضه : ............................................ |
| 78 | د : الإرادة السياسية :........................................................................ |
| | **الفصل الرابع** **مظاهر التخلف في المجتمعات العربية والإسلامية** |
| 81 | المبحث الأول : التعصب القبلي........................................................ |
| 83 | أ : تعريف العصبية القبلية لغة :. ............................................................ |
| 83 | ب: تعريف العصبية القبلية اصطلاحا : ................................................. |
| 85 | ج: نبذة تاريخية عن التعصب القبلي :..... ... ...................................................... |
| 92 | د: معالم التعصب القبلي :.. ........................................................................ |
| 102 102 | المبحث الثاني : إهدار الوقت |

| الموضـــــــــــــــــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| أ - تعريف الوقت لغة : ......................................................... | |
| ب- تعريف الوقت اصطلاحاً : ............................................................................ | |
| ج : معالم إهدار الوقت : ............................................................................... | 104 |
| المبحث الثالث : تفشي الأمية بأنواعها : .................................................. | 112 |
| أ : تعريف الأمّية لغة واصطلاحاً : ................................................................ | 112 |
| ب : الأمية الأبجدية :.......................................................................... | 114 |
| ج : معالم تفشي الأمية الأبجدية :............................................................ | 115 |
| د : الأمية الحضارية :.......................................................................... | 120 |
| هـ : معالم الأمية الحضارية : ........................................................................... | 121 |
| **الفصل الخامس** **دور التربيـة الإسلاميـة في مواجهـة بعـض مظاهـر التخـلف الاجتماعي** | |
| **المبحث الأول** : التنمية الاجتماعية :................................. | 130 |
| **المبحث الثاني** : دور التربية الإسلامية في مواجهة التعصب القبلي: . ............................ | 137 |
| **المبحث الثالث** : دور التربية الإسلامية في مواجهة إهدار الوقت:.......................... | 152 |
| **المبحث الرابع** : دور التربية الإسلامية في مواجهة تفشي الأميّة:............................. | 165 |
| **الفصل السادس** **النتائج و التوصيات** | |
| **النتائج** . ........................................................................................ | 175 |
| **التوصيات** : .. ........................................................................... | 176 |
| **المصادر والمراجع** . ....................................................................... | 178 |